فيليب بوران

هتلر واليهود

مكتبة علاء الدين

Éditions Le Manuscrit

12604

فيليب بوران

هتلر واليهود

فيليب بوران

هتلر واليهود

ألقى المؤرخون الضوء على مسألة إبادة اليهود الأوروبيين على أيدي النازية وعلى الطرق والوسائل التي استعملت في تنفيذها، وعلى عدد ضحاياها. إننا نتساءل اليوم عما وصل إلينا عن الأحداث التي سبقت المجزرة أو عن سلسلة القرارات والحوادث التي أدت الى إرسال أول قافلة نحو الهلاك؟

فيليب بوران، مؤرخ سويسري بارز واستاذ في معهد الدراسات الدولية العليا في جنيف، يشرح بطريقة علمية عملية تأسيس الابادة ويستخلص منها العبر المهمة لعالم القرن الواحد والعشرين.

17,90 €
ISBN : 978-2-304-02566-8
ISBN 13 : 9782304025668

مكتبة علاء الدين
www.aladdinlibrary.org

Éditions Le Manuscrit
www.manuscrit.com

هتلر واليهود

فيليب بوران

هتلر واليهود

ترجمة من الفرنسية: سمير حداد

مكتبة علاء الدين

Éditions Le Manuscrit

مكتبة علاء الدين

Bibliothèque Aladin

Aladdin Library

www.aladdinlibrary.org

© CDCJ مجموعة قاديش : إلقاء القبض على اليهود في غيتو فرصوفي

© Éditions Le Manuscrit, 2009

www.manuscrit.com

ID Ouvrage : 12604 (A)

ISBN : 978-2-304-02566-8 (livre imprimé)

ISBN 13 : 9782304025668 (livre imprimé)

ISBN : 978-2-304-02567-5 (livre numérique)

ISBN 13 : 9782304025675 (livre numérique)

مكتبة علاء الدين الالكترونية

"خير جليس في الأنام كتاب". إنها حكمة عالمية تختصر في أحرفها مجمل الثقافات والحضارات الإنسانية. منذ اكتشف الإنسان القراءة والكتابة، ساعده الكتاب على التفاعل مع الآخرين بأفكاره ومشاعره وقلقه وفرحه، وأيضًا عمل بفضل تلك المشاركة على تقدم علم المعرفة.

هذا ما تصبو إليه مكتبة علاء الدين عندما تقوم بترجمة العديد من الكتب في مجالات الثقافة الإنسانية.

إنّ هدف مكتبة علاء الدين الوصول إلى ضمير كل قارئ لتنير على مجالات الحوار لتمكين العقل والمحبة من التغلب على العصبية والجهل.

وباكورة منشورات مكتبة علاء الدين هو كتاب ينير في طياته على صفحات مظلمة لتاريخ الانسانية، تاريخ السفالة والمرارة وما أعني به هو كتاب إبادة اليهود.

إنّ اللجنة العلمية لمكتبة علاء الدين المكونة من مفكرين في مختلف الثقافات وبمشاطرتها القيم المرتكزة على علم المعرفة واحترام الآخر، برفضها النزاعات التذكرية والسلبية المعتقدية، تطمح الى العمل على نشر معرفة أفضل لثقافاتنا المشتركة والمميزة وخاصة المتعلقة بالثقافتين الاسلامية واليهودية.

جاك أندريانى

سفير فرنسا

رئيس اللجنة العلمية لمكتبة علاء الدين الألكترونية

المقدمة

القوافل المثقلة من جميع أنحاء أوروبا تتجه نحو الشرق. ملايين من البشر تلتهم في مصانع أنشأت خصيصاً لتصنيع الجثث. عمال المصانع يلملمون ما تخلفه الجثث من ملابس ومن مقتنيات ثمينة وكل ما يمكن إستعماله. هكذا كانت المحرقة التي أمحت كل أثر لإنسان مر بذلك المكان، وهكذا تلخّصت مسألة إبادة اليهود الأوروبيين على أيدي النازية، كما عرضها المؤرخون الذين ما انفكوا يبحثون ويعللون، ملقين الضوء على الجريمة المنظمة وعلى الطرق والوسائل التي استعملت في تنفيذها، وعلى عدد ضحاياها. وليس من ضرورة إضافة أوارق جديدة الى هرم الأعمال التي قامت بها النازية بعد أن أصبح كل شيء معلوماً[1]. إننا نتساءل اليوم عما وصل إلينا عن الأحداث التي سبقت المجزرة أو عن سلسلة القرارات والحوادث التي أدت الى إرسال أول قافلة نحو الهلاك؟

يبدو أنه لم يكن هناك بد من تولد الإبادة بالشكل الشنيع الذي جاءت عليه، ولا بد للإبادة من أن يكون لها دوافع ومسببات بدا من الصعب التحقق منها والإحاطة بها من الناحية التاريخية. وذلك عائد الى ضخامة وتواتر الأحداث كما تنوع أشكال المجزرة، سواء من حيث الظروف أو من حيث التنفيذ أو في الحل النهائي الذي تمخضت عنه هذه الإبادة، أمر ما يزال يقف حائلاً دون فهم المؤرخ لها مما يجعله يشك في صدق ما وصله من معلومات حول المسألة. في الواقع، ومنذ عدة سنوات، يدور جدل حول إمكانية قبول ما حدث على الشكل الذي وصف عليه، خاصة وأننا لا نملك سوى معلومات أولية عنه. فهل كان هدف سياسة النظام النازي الفعلي الوصول الى الحل النهائي، الإبادة؟ وهل كان هذا الحل النهائي شرطاً لوجود هتلر بالصورة التي عرفناه بها؟

كثير من المؤرخين بمن فيهم طبقة الشعب المتنور لديهم جواب هذه المسألة: لقد حرص قائد الرايخ الثالث هتلر على إنجاز برنامج كان قد وضعه بنفسه وذلك منذ

وقت طويل يتلخّص بنقطتين أساسيتين أولهما إجراء جولة في الفضاء الحيوي يكون مركزها الشرق كان من نتيجتها إبادة اليهود، التي هي الهدف الثاني الذي رمى إليه.

من المؤكد أن حكاية النظام النازي لم تتبع خط سير تم الإعداد له من قبل فهرر يتمتع بكامل وعيه. إن ليونة هتلر الإستراتيجية وحذقه في الاستفادة من الفرص على الرغم من ضغوطات اللعبة الدولية قد طبعت سياسته برجات عدة وأحياناً بانعكاسات. وأبرز دليل على ذلك ما حصل عند توقيعه لمعاهدة الحلف الألماني – السوفياتي. ولكن هذه الضغوطات والانعكاسات لم تؤد بالضرورة الى تحويل جذري في دفة الإدارة التي كانت تسعى الى أهداف متصلبة في قراراتها. لا شك أن النظام النازي كان له منافسون، وأنه كان يعيش حالة من الصراعات الداخلية على السلطة، إلا أن هذه المنافسات والصراعات كان هتلر نفسه من يؤجج سعيرها أو على الأقل كان يتغاضى عنها متبعاً بذلك شعار (فرّق تسُد). وهكذا نتبين أن هتلر إنما كان يمسك بنظامه بقبضة من حديد حتى النهاية. فقد كان بشخصيته ومبادئه السبب المباشر في ارتكاب ما ارتكب من فظاعات كان محركها الأول كراهيته وعداءه للسامية وذلك منذ عام 1920 حين تولدت لديه قناعات بضرورة التخلص من اليهود، فكرة كامنة في داخله أقدم على تنفيذها ما أن سمحت له الظروف بذلك[2].

منذ أكثر من عشر سنوات يدين بعض المؤرخين مسألة التمثيل باليهود بمحاولة منهم الإثبات لزملائهم أن هتلر إنما هو حالة منفردة بما مثله من عداء لكل ما هو معتقدات. هذه المحاولة كان من شأنها أنها أثارت فرضية جدال مرفوضة بالطبع غير أنها جاءت بمثابة مخاض ولاّد [3]. وكي نتتبع هذه النظرية التي تستوجب البحث خاصة أننا عندما نتعرض لدراسة لـــ الرايخ الثالث، نصطدم بفوضى سلطوية تفرّد بها نظامه[4]. فوراء واجهة النظام المنسقة المصقولة بالدعاية المغرضة كان الرايخ يضيع ويتلاشى، كي يبرز مكانه تشابك من القوى التقليدية مثل الإدارة والجيش وقوى جديدة داخل الحزب بفروعها المتعددة راحت تشوش على كل ما لم يتم إبادته، مما أدى الى تولي قوى الـــ أس أس، وهي شعبة التدخل الخاص التي كانت تعيش إدارة الشرطة عالة عليها، تهاجم بعنف أقطاب الجيش مما خلق جواً عاماً من الفوضى والتوهان تبلورا باتخاذ سلسلة من القرارات المفاجئة غير واضحة الرؤية والمعالم على

مدى بعيد، كما تبني قرارات كانت غالباً ما تتخذ كحل وكإرضاء لقوى متنازعة فيما بينها بشكل أظهر أن هذه القرارات وإن كان لها هدف فإنه لا يمكن الوقوف على كنهه.

ليس هناك أدنى شك في أن النظام كان يدور حول رجل واحد. هتلر نور النظام وشمسه، هو من يوزع السلطات على مستحقيها، وهو من يمنح البركات ويحجبها؛ هو نبراس العقيدة النازية. ولا شك أنه كان يؤيد ويدعم الشعارات العنصرية التي كان نظامه ينادي بها والتي كانت تشكل مزيجاً فكرياً معقداً لا يستطيع هتلر، وإن أراد، استقراء أبعاده نظراً لكثافة الحقد بالنسبة الى هشاشة مبادئه. إن سياسة الرايخ الثالث كانت تدل بوضوح على عدم تجانس يعجز بسببه عن قيادة برنامج واضح المعالم. وفوق هذا، وإن كان هناك برنامج، فإن هتلر كان عاجز عن قيادته لما أدخل على إدارته من وسائل شاذة. فقد كان من عادة هتلر أن يوزع المهام على ضباطه دون أن يشغل باله بتحديد التدابير الواجب اتخاذها، وبالتالي فهو لم يكن يقبل آراء أحد كما لم يكن يعاقب مبادرات شاذة تصدر عن أحد من ضباطه، بل كان كل ما يشغله هو المحافظة على هيبته دون أن تشغله الصراعات الدائمة الناتجة عن تصرفاته، تاركاً للظروف حلها بدلاً من اتخاذ موقف منها. لذا، فإن دوره لم يكن مباشراً دائماً بسبب نزعاته الإيديولوجية التي من شأنها أن تزكي المنافسة بين مختلف شعبات النظام مما كان يخلق جواً من تعدد النزعات بين صفوف الحزب الواحد.

إن السياسة التي أتبعت ضد اليهود تقدم مثالاً حياً، حيث أننا عند فحصها عن قرب تبدو وكأنها أبعد ما تكون عن خط سياسي واضح بقدر ما هي برنامج إبادي. فحتى بداية الحرب الثانية بل قبلها في عام 1941 كان قواد النظام النازي يراقبون هجرة اليهود الى خارج المانيا بأدق تفاصيلها. كما أن اليهود هم أنفسهم من سيجبر الألمان على التمدد خارج حدود دولتهم الى كافة أنحاء أوروبا سعياً وراء تقتيلهم. فإن كان هتلر قد غذى برنامجاً واضحاً يهدف الى إبادة اليهود، فلماذا يتركهم يهربون الى الخارج بدلاً من إبقائهم تحت قبضته انتظاراً لليوم الموعود؟.

في الحقيقة لم يكن لهتلر برنامج بل هوس ملك عليه وجدانه: تحرير الرايخ من اليهود الذين تتزايد أعدادهم يوماً بعد يوم. وكل الخطوات التي اتخذها من أجل

تحقيق ذلك باءت بالفشل خاصة وأن الحرب التي اندلعت بين ألمانيا وإنكلترا وضعت حداً لتلك الهجرة، وبالتالي أنقذت اليهود من مشروع إنشاء تجمع يهودي في مدغشقر. كما أن غزو الاتحاد السوفياتي، الذي كان يهدف أصلاً الى توطين اليهود فيها بعد فشل مشروع مدغشقر، باء هو أيضاً بالفشل بسبب مقاومة الجيوش الروسية. كانت عمليات ترحيل اليهود تجري تبعاً للتقدم الألماني داخل الأراضي الروسية، وهذا ما عد تسرعاً من قبل قائد الرايخ الذي وجد نفسه في مأزق إزاء تصرفات بعض المسؤولين المحليين في الشرق الذين عمدوا الى التخلص من يهود الغيتو الغير قادرين على العمل. ثم اعتبر هذا الحل العشوائي سنّة تتبع ما اضطر هتلر الى اتخاذ قرارات مؤيدة لهذا الحل بعد أن أصبح اليهود عبئاً لا مكان لإيوائه. ولم يكن سوى الموت سبيلاً للتخلص من هذا العبء. وهكذا أتى الحل النهائي عاقبة تلائم هوس هتلر ضد السامية وتصرفات إدارة الغيتو الأحادية الجانب التي جاءت كرد فعل على تطور الأوضاع في الغيتو صعب السيطرة عليها5.

وكما يتبين مما سبق فإن الخطوط العريضة للإبادة تبدو في غاية الوضوح. لكن هذا لم يمنع قيام نظريتين واحدة تعارض الأخرى، وكل واحدة تفهم على طريقتها كيفية تطبيق الحل النهائي. الأولى ينادي بها "أصحاب نظرية التعمّد" الذين يقولون بأن إبادة اليهود إنما جاءت نتيجة برنامج وضع ونفذ من قبل رجل السلطة المطلق الذي هو هتلر. أما المنادون بالثانية فهم القائلون بأن الأجهزة التابعة لهتلر هي من قرر ونفذ. فحسب هذه النظرية، فإن الحل النهائي جاء نتيجة عمليات اضطهاد وملاحقة من قبل رجال السلطة الذين كانوا يعملون وفق أنظمة غير قائمة على أساس بل على عشوائية نتيجة لعشوائية النظام القائم. ويمتد الخلاف بين هاتين النظريتين كي يشمل تأريخ الإبادة. فالقائلون بنظرية التعمد يؤكدون بأن المسار الخطير قد بوشر في عام 1940 كي يمتد الى ربيع عام 1941؛ وهي فترة الاستعدادات لغزو الاتحاد السوفياتي وأن هتلر قد أعطى الأمر بإظهار نيته الى حيز التنفيذ. أما أصحاب النظرية الأخرى فيحددون هذه الفترة بخريف العام 1941 حين ابتدأت المجازر على الصعيد المحلي وأن هتلر قد عاقب الفاعلين، ومن ثم عمل على إدراج ذلك ضمن نظام عملي على صعيد أوروبي. إن الفارق بين التأريخين، ربيع أو خريف، لهو من الأهمية بالنسبة لحدث من هذا النوع، مما يؤكد عدم الدقة فيما وصل إلينا من معلومات حول مقتل

ملايين من البشر في حادثة لا تبعد عن زماننا أكثر من خمسين عاماً. وهذا الأمر إنما هو عائد في الدرجة الأولى للثغرة الهائلة في التوثيق لهذه الحادثة خاصة في غياب أي وثيقة مكتوبة وموقّعة من قبل هتلر نفسه. ومما لا يمكن تصديقه أن الأوامر كانت شفاهية ولا يوجد أية تعليمات خاصة بشأن عملية على هذا القدر من الضخامة. على أية حال، لا يوجد بحوزة أحد وثيقة تنبئ عن سير وتنظيم وتنفيذ قرار من هذا النوع وأن الغموض التام يحيط بكل المحاورات التي دارت بين هتلر وبين قائد جيشه هملر خلال عام 1941. فالمؤرخ يعمل من خلال دلائل تبدو هنا قليلة ومتفرقة مما يجعل قراءتها بعيدة المنال. فعبارة "الحل النهائي" بحد ذاتها تتخذ معنى آخر مع الوقت بعد أن يضاف إليها عامل آخر لا يقل أهمية في صعوبته والذي يعود الى تصرفات هتلر كشخصية لا مثيل لها في عالم الإجرام. وربما يكون من السهل علينا رصد حياة تشرشل أو روزفلت الخاصة أكثر من قدرتنا على الزعم بأننا نستطيع الإحاطة بتلك الخاصة بحياة هتلر.

إن الصراع على ترجمة الوقائع والأحداث لقائم لا شك فيه وليس لدينا أي سبب لتجاهله، غير أن الجدل الذي يعارض النظريات القائمة سيكون من شأنه أن يبرز استحقاقات وقدرات كلا الطرفين كما سيكون من شأنه أن يلقي الضوء على الأغراض التي تطرح مشكلاً لكلا الطرفين[6] ، يضيع على إثره سياق الحدث والدور الذي لعبته الظروف وعن أهمية سلسلة كبيرة من العوامل التي لم يكن بوسع رجل واحد خلقها أو السيطرة عليها. الحل النهائي غير واضح ولا يمكن شرحه إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار المشاركة الفعالة التي قامت بها أقسام كثيرة ضمن النظام الواحد وبالتحديد النخبة المحافظة التي شكلت الدعم الرئيسي كي يتمكن الطاغية النازي من إنجاز جرائمه.

إن النظرية المعتمدة تهدف الى المبالغة في وصف التجانس في العقيدة الهتلرية والتأكيد على قدرته المطلقة في إصدار أوامر تنفذ ولا يراجع فيها. بالمقابل فهي تهمل أو تقلل من أهمية أن يكون هناك سبب أدى الى تغيير الفكرة من تهجير اليهود الى طردهم، كما تؤكد على أن سنوات أوزفيتش ليست سوى تسليم بشيطانية هتلر

وبتحقيق برنامجه عن طريق التمويه الذي مورس من قبل جماعته وذلك بارتكابهم سياسة متعددة المظاهر.

ولكن إذا كان المحافظون على حسن سير العمل قدموا التعقيد والالتواء على مجرى الأحداث التاريخية فإنهم في المقابل بالغوا كثيراً في الطرف الآخر. لأن المسألة ليست في معرفة إن كان هتلر هو الوحيد المسؤول عن الإبادة، إنما في معرفة ما إذا كانت الأمور في عام 1941 هي على ما وصفت عليه وأن الإبادة كان لا بد لها أن تقع وإن لم تكن لديه الرغبة في ذلك، وعما إذا كانت هذه الرغبة بدورها لم تتفرع عن أيديولوجية عامة أدت الى توجهات والى حلول نهائية. وكي نبرهن أن هتلر كان أسير نظامه الذي كان يرأسه فإن النظرية الوظيفية لا بد وأن ترتكز وباستمرار على معطى ثابت وهو التعارض ما بين التصريحات القاتلة لهتلر وسياسة التطهير التي مارسها الرايخ الثالث.

من المؤكد أن هتلر كان متردداً أحياناً ويتكل كثيراً على معاونيه في تنفيذ بعض الأمور. كما أن عدداً من قرارات النظام اتخذت بشكل خاطئ بدون أن يكون للفهرر يد بذلك، ولكن كل هذه الاستنتاجات غير صالحة إلا في حدود ضيقة. وهكذا تابع هتلر خطوة بخطوة السياسة الخارجية والسياسة العسكرية. وبالرغم من كل الثغرات التي تضمنتها الوثائق، من الصعب تبيان حضوره الكامل ودوره الفاعل فيها بالرغم من أن الأعمال على الأرض قاربت صميم أفكاره وخاصة مسألة اليهود. إن الدور الذي يلعبه عظام الرجال مرهون بالمركز الذي يحتلونه بالنسبة لفترة الأحداث تلك وخاصة إذا كانت تلك الأحداث مشكوكاً بأمرها من وجهات نظر عديدة. كل ما قدمنا، لا يمنع من أننا أمام موقف لعب فيه رجل واحد دوراً لا يمكن لغيره لعبه[7].

المسألة الأساسية التي أظهرها النقاش إبراز دور هتلر وكذلك المنعطف الذي أدى الى التبديل في سياسة النظام. فالمؤرخون الذين انكبوا مؤخراً على دراسة هذا الموضوع، يمكننا ملاحظة تشدد في مواقفهم مما أدى الى ذهابهم في تيارين اثنين. الأول أن ظروف عمل النظام وإطلاق عملية الإبادة لا يمكن لها إلا أن تكون مركزية تحت إدارة هتلر. ثم أن القرار لم يكن بالضرورة بين ليلة وضحاها بل نضج في فترة

انتقالية قبل أن يعتمد نهائياً في صيف أو خريف 1941 وليس في ربيعه. غير أن خلافاً يبقى قائماً حول عمق الموضوع أظهرته ثلاث دراسات صدرت عن المؤرخين الذين إنكبوا على دراسة الموضوع.

إن المؤرخ الألماني (إيبرشارد جاكيل) الذي أكد في كتاب له أصبح كلاسيكياً، تناسقاً في النظرية الهتلرية، يؤكد اليوم على عدم التناقض بين أفكار وتصرفات هتلر وبأن عدم الانسجام هذا لا يفيد عن الأفضليات لديه. ولا يتردد المؤرخ في التأكيد على أن هتلر كان يريد إبادة اليهود بالرغم من أنه لم يصرح بذلك علناً. غير أن هذه الإرادة رافقتها خطوات غير أكيدة سببتها ضخامة مشروع من هذا النوع. لقد شجع هتلر ضباطه على ارتكاب أمور لا يستطيع تنفيذها بنفسه و لم يتصورها يوماً ممكنة التحقيق. كما أنه قد امتحن مقدرة ضباطه على القيام بعمل من هذا النوع. عمل شيطاني ولكنه ليس خالياً من أخطاء لأنه وكما قلل من شأن أخطاء خريف العام 1939 فهو قد بالغ في المصاعب التي ستواجهه في عمل الإبادة ذاك عام 1941. وهذا ما يشرح الإلتواءات التي مرت بها المسيرة في طريقها الى الحل النهائي. هذه القراءة التي تهدف الى عمل موافقة ما بين عشوائية وبين تعمّد تبقى نية هتلر في الإبادة هي النقطة المركزية والأساس في الموضوع. أما الظروف والملابسات فهي لا تشكل سوى المنظر الخلفي للوحة والذي هو بدون أهمية سوى أنه يجمع بصورة عامة في ذهن هتلر بين الإبادة وظروف الحرب[8].

من جانب آخر يبين المؤرخ الأميركي (كريستوفر براوننغ) الذي ينعت نفسه بالمعتدل، أن إبادة اليهود لم تكن من أهداف هتلر في سنوات العشرين أو الثلاثين. وإن كان قد أمر بذلك فعلاً فهو لفشل حلوله الأخرى التي ما فتئ يضعها الواحد تلو الآخر دون أن يعود عليه ذلك سوى بالحسرة. إن التجارب التي قام بها عامي 1940 – 1941 كان لا بد لها من تأصيل دوافع مجازر موجودة أصلاً في تفكيره، والتي لم يكن قد جسدها في مشروع كامل من قبل. بعد نجاح عملياته في الإتحاد السوفياتي حيث يوجد ملايين آخرين من اليهود، وتنصيبه لنفسه وارثاً لقضية، فإنه كان مدفوعاً بهوى تطهير الرايخ الكبير، وبردود فعل إخفاقاته السابقة، مما أدى به الى سلوكه سبيل إبادة اليهود[9].

وأخيراً (آرنو أيارور) الذي ذهب الى مذهب قريب من براوننغ وقال بأن العملية كلها إنما تدور حول سلك الضباط العامل تحت سلطة هتلر. وبرأيه أن عداء هتلر للسامية ليس إلا واحد من مركبات عقيدته، هذا إضافة الى عدائه للبولشفيه ولمذهب التوسع المنتشر آنذاك في الشرق. إذن فمن المشكوك فيه أن يكون هتلر قد عمل على انحراف برنامجه الى إبادة. فإذا كان قد تورط في عملية الإبادة الجماعية فقد يكون ردة فعل على فشل حملته في الاتحاد السوفياتي، التي تعتبر بدورها كحملة صليبية فاشلة تورط فيها هو وكل مركبات عقيدته التي ناضل من أجلها سنواتا طويلة. على عكس براوننغ الذي يعزو موت ذاك العدد من الأشخاص كردة فعل على نشوة انتصاره، بينما رأى (أيارور) أن الإبادة الجماعية إنما جاءت نتيجة تشابك فشل الحملة على الاتحاد السوفياتي مع فشل في أمكنة أخرى[10].

المواقف إذن تبقى على حالها، تواصل استقطاب تيارين من القراءات: فمن جهة هي نية مباشرة في الإبادة ومن جهة أخرى هي قرار جذري ناتج عن الظروف. وبدوري، عندما ألاحق العملية من بدايتها الى وصولها الى الحل النهائي فإني أرى فيها قراءة أخرى حيث تتداخل القراءتان المتواجدتان معاً. فيما يتعلق بي فإني أعتبر أن هتلر كان قد نوى فعلاً العمل على إبادة اليهود غير أن هذه النية لم تكن مطلقة ولكنها مشروطة بوضع محدد سلفاً وهو فشل حملاته في الخارج مما يترك مجالاً أوسع لمتابعة برنامج سياسي آخر.كما أؤيد من جهة أخرى فكرة القائلين بالأجهزة، فأقول بأن تشابك الظروف خلق جواً ملائماً للسير في تنفيذ مشروع كان قد سبق وتم إعداده في الأذهان. لقد لعب فشل حملته ونتائجها السلبية دوراً إستراتيجياً هاماً في وضع برنامج الإبادة قيد التنفيذ.

في الصفحات القادمة ستكون الرؤية محصورة بما أراه مهماً من أجل تبيان النظرية التي أؤمن بها والتي ستتركز على الصف الأول من الضباط النازيين، في مقدمتهم هتلر ونظرياته وفي الوقت ذاته سأقوم بدراسة لكيفية تقدير هتلر للمواقف الإستراتيجية لنظامه. وفي ظل هذه اللوحة التي نحاول رسمها نكتشف مظاهر كثيرة بقيت لسنوات في الظلمة أهمها الجذور التاريخية للعداء ضد السامية، تصرفات النخبة من الشعب الألماني، سياسات قصر النظر المتبعة من قبل القوى الغربية. والأخطر من هذا أن

الضحايا غائبون إلا على أساس كونهم هدف إضطهاد لم يسبق له مثيل. يجب عدم الغياب عن ذهن القارئ أن هؤلاء كانوا أيضاً بشر معرضين للتعذيب والإذلال، ومصادرة ما يملكون، أحياناً كثيرة يتعرضون للإمتهان في كراماتهم الى أن أتى اليوم الذي تحولوا فيه الى مصانع الموت.

الفصل الأول

عداء هتلر للسامية

شغل هتلر مركزاً حيوياً في الرايخ الثالث وقد تميز بعدائه المتعصب ضد السامية. وعلى هذه النقطة يتفق جميع المؤرخين بمختلف ميولهم وإن اختلفوا فيما يتعلق بالدور الفعلي الذي لعبه هتلر. من الضروري معرفة عقيدته التي كان يؤمن ب، وخاصة عداءه للسامية، كي نفهم مجرى الأحداث التي جرت في عهده وخاصة عداءه للسامية. فأي مكان احتل اليهود في عقيدة هتلر، وأي مصير كان ينتظرهم ؟ حول ما إذا كان هتلر قادراً على إبادتهم، فإن الأحداث أظهرت ذلك بما فيه الكفاية. ولكن من أجل إلقاء الضوء على الأسباب التي جعلته يفعل ما فعل فلا يمكن ذلك دون التعمق في رؤيته للعالم والتي قادته الى ما وصل إليه.

إن الأمر الأساسي الذي يمكن ملاحظته هو الكثافة والاستمرارية المدهشة التي رافقت هذه الرؤية خاصة بعد نضوج المرحلة التمهيدية منها. فمنذ بداية 1920 وعندما كان هتلر مجرد محرض باڤاري، تعالت أصوات معروفة تنادي بشعار: العنصرية ومعاداة السامية هي المثال لدولة وطنية موحدة، مبدأ الرئيس، إدانة للديموقراطية، للثورة الألمانية ولمعاهدة ڤرساي. في عام 1923 أضيف ملحق الى هذا الشعار وهو غزو الفضاء الحيوي في الشرق، زيد عليه فيما بعد مفهوم عام للسياسة الخارجية.

منذ ذلك الوقت كل ما يأتينا من حديث عام وخاص لهتلر الى ما ورد في وصيته في ربيع 1945 يؤكد على استمرارية رؤيته تلك التي طالما أعلنها وكررها مراراً. لا شك أنه وعلى مر الأيام كانت هناك مواضيع معينة يتم تداولها باستمرار. غزو الفضاء الحيوي والعداء للسامية شعارات كانت تتداول في 1920 تحولت الى خلفية عامة بين عام 1930 وأيضاً 1932 وذلك عندما اضطر هتلر الى تأليب الناس حوله. ولكنها لم تختف تماماً[11] بل بقيت. أما ما كان يخبئه من مصير للشعوب المغلوبة – نفي او بل بقيت وبقي معها كل ما كان يخبؤه من مصير للشعوب المغلوبة – نفي

او إبادة، تحويل ملايين من البشر الى عبيد جهلة – فبقي حكراً على المقربين من خاصته وعلى ضباط الحزب فقط[12].

إن عماد الرؤية الهتلرية للعالم يكمن في "المبدأ الأزلي للصراع من أجل الحياة" حيث العنصر الأقوى يهيمن ويفرض إرادته على من هم أضعف منه. فمن وجهة نظر هتلر، تتألف البشرية من أعراق متباعدة واحدتها عن الأخرى كما هي عند الحيوانات تماماً. وهي تتكون من طبقات قد تم إثباتها والتأكد منها خلال التاريخ، وأن هذه الطبقية هي ضعيفة بحد ذاتها، وأن صفاء الدم وحده الذي يحافظ على وحدة النوع. ولأن الشعب الألماني كان يجهل هذه الدروس الخالدة للطبيعة فقد دخل في مرحلة من الانحطاط ابتدأت عند إنشاء الرايخ البسماركي الذي كان من أعراضه، عدا خسارة القيم الوطنية لصالح النظريات كالليبرالية مثلاً، والديموقراطية والماركسية، انتشار الأمراض الجنسية والأخرى الوراثية، ثم *التهجين البشري* مع أعراق أقل منها أصالة.

من أجل تخليص العرق الألماني من الانحطاط كان لا بد من تطهيره وزيادة توالده. منذ بداية العشرينات كان هتلر يحرم زواج الألمان من الغرباء وخاصة السود واليهود. الى هذا الصراع كان لا بد من اقتباس مقاييس أخرى من التطهير الجذري كما جاء في تصريح له بذلك الى مجلة أميركية شهرية في عام 1923 بأن ألمانيا بحاجة الى علاج فعال وربما تحتاج الى بتر بعض أعضائها. إن المصابين بالسفلس، والكحوليين والمجرمين لا بد من عزلهم ووضعهم في مكان لا يمكنهم فيه التوالد. يقود هذه الفكرة هدف واحد وهو أن حأيارة الأمة أهم من حأيارة التعساء فيها[13].

في كتابه الذي يحمل عنوان "كفاحي" يكرر هتلر هذه المقولات ويتحدث عن اتخاذ قرارات قاسية وقاطعة. يجب أن يقدر على فعل ذلك " إذا لزم الأمر، بدون شفقة، يجب عزل الذين لا يمكن لهم الشفاء، تدبير بربري لمن كتب لهم الشقاء وكانوا من المصابين، وبركة للمعاصرين وللأجيال القادمة". إن الدولة العنصرية قد منعت المرضى، وأيضاً الذين في عائلتهم لوثة عقلية [14]، من إنجاب الأطفال بل ذهبت الى أبعد من ذلك حين عمدت على إستلاخ أطفالهم. وعلى العكس من ذلك، فقد شجعت على الزواج والإنجاب للأصحاء، وقاومت الإجهاض، وقدمت مساعدات

للعائلات المتعددة الأفراد. لقد قام بكل شيء يساعد على تحقيق هذا " الهدف السامي الذي سعى إليه: عرق تم التوصل إليه تبعاً لقواعد وأصول تحسين النسل[15]".

إن إعادة تركيب العرق هذه لم تكن الغاية بحد ذاتها وإنما هي وسيلة في سبيل هدف معين: عظمة وقوة سلطان الشعب الألماني. وبعد أن يعيد للأمة وحدتها السياسية، وبعد أن يكون أن اعتمد التصفية العرقية، سيكون بإمكانه بدء الجولة في الفضاء اللازم من أجل الاهتمام بالأمة. بحسب رأي هتلر إن الشعب الألماني يملك كامل الحق في الانتشار وذلك بسبب عدم المطابقة المتواجدة ما بين عدد السكان الهائل مع مساحة الأرض. بالطبع هو تفكير خبيث لأن النظام طالما أ نه يقوم بكل ما في وسعه لزيادة عدد السكان. ما هدف إليه هتلر صراحة، هو السيطرة على العالم، أو على الأقل السيطرة على أوروبا. وكما كتب هتلر في الصفحة الأخيرة من كتابه: "إن الدولة التي ، بالرغم من عدوى الأعراق، تسهر بغيرة على الحفاظ على أهم مكونات دولتها لهي جديرة بأن تسود يوماً العالم[16] " وبموجب هذا المفهوم العنصري لا يمكن لليهود أن يكونوا غائبين عنه، لأنهم ، وبرأي هتلر، هم عبارة عن عرق طفيلي يستغل إنتاج الشعوب الذين يعيشون في وسطهم؛ عرق هدام بالفطرة، عاجز عن بناء دولة له؛ عرق لا هم له سوى البحث عن مصادر السيطرة المختلفة على العالم. لأنه وكما يظهر بروتوكول حكماء صهيون، هذا الكتاب القيصري المزور الذي يؤمن به هتلر إيماناً أعمى، بأن اليهود متصلون بعضهم البعض من خلال مخطط عالمي يهدف الى السيطرة على العالم يحاولون بلوغه بشتى الوسائل. فعقيدة النور والمسالمة والديموقراطية كلها أدوات يستعملها اليهود في تليين الإرادة الوطنية للشعوب التي يختلطون بها. لكن أداتهم الكبرى هي الرأسمال وبنفس الوقت التحرك الماركسي. فبفضل الأول يعولمون الاقتصادات التي يصيرون أسيادها، وبفضل الثاني يفرقون بين أبناء الشعب الواحد ويصيرّونهم أعداء بعضهم بعض مما يؤدي بهم الى حروب من البغض والحقد تقضي على دافع المقاومة لديهم. بشكل أو بآخر، فإن اليهود هم أعداء كل إستقلال وطني حقيقي.

هذا المفهوم المذهل لم يكن يأخذ بعين الإعتبار تشعب اليهود أنفسهم في العالم والحركات المتناقضة فيهم، بل يضع شعب الشتات جميعهم في سلة واحدة. على أية

حال فإن هذا الهذيان كان من التجانس بحيث تم البحث عن ممثل أوحد له يكون عنواناً للشر، قادراً على شرح مسيرة الكون وعلى إنارة مآسي الزمن. (مفهوم على الموضة) وعلى جديد، فهتلر كان الوحيد القادر على تحمل المسيرة، لأنه وريث مفاهيم سائدة في تلك الفترة في أوروبا منذ عشرات السنين. وإن كان قد بنى عقيدته العنصرية على خلفية أفكار مستوردة إلا أنه أضاف إليها رؤيته الخاصة للعالم التي تنشطها وتذكيها بعض المبادئ العنصرية الخاصة به. من وجهة نظره، المشكلة اليهودية بحد ذاتها لم تكن سوى واحدة من المشاكل الضرورية من أجل إعادة تقويم الأمة وتدعيمها. إن اليهود لم يكونوا على نفس مستوى ذوي الأمراض العقلية في فكر هتلر بل كانوا في المركز والمحور الذي تدور حوله رؤية هتلر للعالم. ولفهم شمولية فكره المعادي للسامية لا بد من الأخذ بعين الاعتبار القاعدة الوجودية التي كان يستند إليها تفكيره والتي كانت تعطيه الزخم: هي تجربة الحرب ثم النكسة. النكسة التي أعطت لمشروع هتلر نزعته الأساسية. في كتابه، يذكر هتلر فرحه باندلاع الحرب عام 1914 مقارنة بالغضب الذي اجتاحه عندما استسلمت ألمانيا. كان يعتقد هتلر بأن الهزيمة جاءت بسبب خيانة من الخطوط الخلفية. هذا الاعتقاد كان له أثره السيء على نفسية الجندي الشاب رافقته طيلة حياته المهنية وشغلت حيزاً مهماً من فكره ظهر جلياً في أحداث تشرين الثاني 1918 حيث كان يكرر ويعيد ذلك بحرارة عاطفية وتأثر بليغ الى أن وصل الى السلطة إثر الأيام المرعبة للثورة الألمانية، تلك الأيام التي أجبرته على البحث عن أسباب الفشل الألماني ما أدت الى ضرورة تكوين حركة سياسية يكون هدفها قهر النكسة[17] . وهي الأيام نفسها التي جعلته يؤطّر لفكره ويضعه في خدمة عمل مستقبلي يكون من أهم بنوده الثبات على ما قر عليه.

لن نستطيع مهما قلنا أن نبين مدى تأثير الحرب والنكسة على نفسية هتلر اللذين أديا الى اقتناعه بضرورة عودة العمال الى الأمة وبأن الطبقة الحاكمة لم يعد لها مكان، ثم استنتاجه لمبادئه الإستراتيجية التي وجهته بعد ذلك. ويرى هتلر أن خطأ الأمبراطورية الألمانية الرئيسي أنها تركت القوى الأوروبية تتحالف ضدها في الوقت الذي لم يكن لديها حليف سوى هنغاريا التي كانت على حالتها من التفكك والتحول الى دويلات. غير أن الحكمة كانت في طلب المصالحة مع إنكلترا وبسحب

القوى البحرية والسير في طريق التوسع الاستعماري. لذا، فهو سيعمل مستقبلاً على تحاشي خلق الأعداء. ألمانيا الجديدة بحاجة الى حلفاء أمثال إيطاليا وبريطانيا العظمى. من أجل كسب الأولى بدأ هتلر الإعلان ومنذ بداية 1920 عن تخليه عن التيرول الجنوبي (النمسا الجنوبية)، كما يؤكد للثانية بأنه مستعد للتحالف معها. من المؤكد أنه كان يجهل جدية السياسة الإنكليزية المضادة لكل سيطرة إقليمية. وعندما وصل هتلر الى السلطة تركز كل همه على إقناع إنكلترا بالانضمام إليه، بالمفاوضات أحياناً وبالإرغام بعد ذلك.

إن اهتمام هتلر بتأليف الموالاة إليه لم يكن سوى وسيلة تمنحه بعضاً من الحرية بالانتقال من خطوة الى أخرى ومن ضربة الى أخرى وذلك عن طريق حروب صغيرة محلية تقربه من الهدف. أول ضحية كانت فرنسا، عدوة ألمانيا اللدود. وعندما تم له ذلك انطلق الرايخ يتوسع نحو الشرق يبحث عما يقوّت به شعبه ويدعم به قواعد سلطته العالمية. حروب سريعة وخاطفة تؤمن له احتياجات اقتصاد بلاده وتبعد عن شعبه تحمّل نتيجة حروبه هذه. وفي هذا المفهوم أيضاً نجد أن أحداث عام 1918 ما زالت حاضرة. وانحصر هم هتلر في كيفية عدم إثارة حرب على جبهتين في آن معاً، لأنها ستكون حينها الضربة القاضية لألمانيا.

إن رؤية هتلر للحرب الكبرى وللنكسة جعلته يستخلص أراء وقرارات كانت القوة من علاماتها البارزة طيلة فترة حكمه. من الحرب الأولى إستمد اعتقاده بأن سبب خسارتها هو ضعف الحكومة الامبراطورية التي وقعت ضحية إعتباراتها الإنسانية الهامشية إن لم تكن الإجرامية. كان من المتوجب أن يصفي حساباته مع الماركسيين منذ الأيام الأولى مستغلاً ثقة العمال به وولاءهم له. كان يتوجب عليه معاقبة المخربين للجهود التي بذلت من أجل الحرب، وإدانة كل متعاون مع العدو، كل هارب من أداء واجب الجندية، كل مشارك ومتسبب في أحداث تشرين الثاني. وفي نهاية المطاف كان أمامه إزالة بلا رحمة ولا هوادة كل ذيول للثورة، مما تسبب في قتل عدة آلاف من الأشخاص رمياً بالرصاص [18].

لقد كان هتلر مقتنعاً بأنه قبل أن يهزم أعداء الخارج لا بد من هزيمة أعداء الداخل المتعاونين وإلا فالهزيمة للشعب الذي لا يعرف معنى النصر منذ اليوم الأول. وكل

شعب يحتفظ بين أضلاعه بظلال الهزيمة المتمثلة بالأعداء من الداخل لا بد لقوته أن تنكسر بحيث ينتصر عدو الخارج وإلى الأبد [19]. ومن تجربة 1918 يستنتج أيضاً قراراً آخر وهو أن الإستسلام كان غلطة كبيرة وبأن الحرب كان يمكن لها أن تكون نصراً لو أنه كان يرأس البلاد رجل حازم يحارب حتى آخر لحظة، رجل قادر على التحكم والتمكن من نفسية الأمة التي حتى لو كانت محبطة فإنها لكانت تابعت الحرب حتى النهاية. إن النصر أو الموت كان شعاره الأوحد. منذ بداية 1939 كان يردد أن إستسلاماً لن يكون مهما كلف الأمر.

إنما كان للنكسة أثرها العكسي على نفسية هتلر وزاد من عدائه للسامية الذي إنقلب الى تعصب ملفت للنظر نقطة مركزية محمومة هي أشبه بالهوس منها بالعداء. لا شك أنه كان في فيننا كما يقول في كتابه عندما تحول كرهه للسامية الى عداء متعصب [20]. ولكننا يمكننا وصف هذه المرحلة بأنها كان لا تزال في طور العداء الفكري بالرغم من أنها بدت وكأنها تنطلق من إحساس داخلي بالمرارة. نلاحظ ذلك في المقطع الذي يربط فيه ردات فعله هذه بأحداث تشرين الثاني 1918 حين إستعمل كلمة كره "حينها تولّد لدي إحساس بالكره، الكره تجاه من قام بهذه الأحداث". هذا المقطع تبعته عدة أسطر بعدها إستنتاج يقول فيه: "لا يمكن التفكير بإقامة حلف مع اليهودي، فقط أخذ قرارات.. كل شيء أو لا شيء! أما فيما يتعلق بي، فأنا قد قررت أن أقوم بعمل سياسي [21]". من المحتمل أن يكون في هذه المرحلة قد تحول في نفسه عداؤه للسامية الى هوس وجودي، منحه الكره صفة دائمة . وفي هذه المرحلة تكونت لديه رؤيته الخاصة عن العالم وذلك نتيجة للأسباب التي منحها لنفسه كمسببات للنكسة. هذه النكسة التي فسرها هتلر بأنها تحقيق لحرب خاضها اليهود ضد الألمان بلا هوادة، حرب داخلية وخارجية في آن. في الخارج، أشعل اليهود نيران البغض ضد ألمانيا ودفعوا بالعالم كله داخل أتون الحرب [22]. في هذا الوقت كان أخوانهم في داخل ألمانيا يسيطرون على مقاليد الاقتصاد كما شجعوا العمال على الثورة، وعندما آن لهم الأوان طعنوا ألمانيا في الظهر. وهكذا أصبحوا المسؤولين الوحيدين عن النكسة وعن العبودية المفروضة على الألمان إثر معاهدة فرساي. لن ينتهي الصراع معهم إلا بعد إنتصار أحد الطرفين.

بطريقة منطقية، احتل اليهود مركز الصدارة في مفهوم هتلر للسياسة الخارجية. إن خصوم ألمانيا الجديدة هم: الاتحاد السوفياتي وفرنسا. وفي الاتحاد السوفياتي فإن اليهود هم الحاكم بأمره بعد أن تقنعوا بقناع الشيوعية حيث تم لهم القضاء على الطبقة القديمة الحاكمة والتي كانت من أصل ألماني. وبما أنه كان عاجزاً عن تقديم عمل بنّاء فإن النظام الذي يسيطر عليه كان "ناضجاً من أجل التحطيم" [23]؛ سوء تقدير استمر حتى صيف 1941. وفي فرنسا، كانت الاتفاقات سارية بين النخبة الوطنية وبين اليهود، وقد جمعهم معاً بغض ألمانيا وإرادتهم استعباد شعبها. وعلى العكس، ففي البلاد التي أرادها هتلر حليفاً له، فإن الوضع كان مختلفاً وغير مضمون. في إيطاليا، موسوليني كان يبدو في وضع قادر فيه على حماية مصالح بلاده ضد الضغوط اليهودية. أما في إنكلترا، فالوضع كان أقل منه في الولايات المتحدة حيث أن نسبة التأثير اليهودية من المفترض أن تكون عالية. منذ البداية، اعتبر هتلر أن جهوده في كسب ود إنكلترا مرهون بالمعركة الناشبة في لندن بين القوى الوطنية والقوى اليهودية؛ كان هتلر يملك تفسيراً لكل احتمالية مفترضة في المنطقة. إذن فقد نشب صراع على المستوى العالمي بين قوى التجديد التي يرأسها هتلر وبين قوى التهويد الدولي التي تصر على تدمير ألمانيا. من هنا يأتي عداؤه شبه الدولي للسامية والذي كان يعبر عنه تحت الشعار: "يا أعداء السامية في العالم، اتحدوا". ومن هنا أيضاً وجود عقدة الرسالة والذي يظهر فيه هتلر وكأنه الرجل الوحيد الذي يقع على عاتقه عبء تخليص الأرض من الخطر اليهودي[24]. ولهذا العدو العالمي بالتحديد سيسعى هتلر الى خلق صراع يأخذ طابعاً دينياً، صراع تنيني ينتهي بطرد و"أبلسة من يحاربون السماء"[25] .

كذلك في كل خطاباته ينتصب اليهودي كي يقف في وجه نظام الكون. فهو المتمرد والمعتدي في آن واحد.وهو من كان يسعى الى تدمير ألمانيا والى فناء شعبها. هذا التهديد لشعب ألمانيا لم يكن لهتلر أن يقف أمامه مكتوف الأيدي كما يقول، فإن صراعه ليس سوى للدفاع، فرض عليه أمام التحديات التي مثلها اليهود لشعبه ولكيانه [26]. هذه العقلية التي تعمل بها تقريباً كافة الأنظمة السياسية وهي مركزية عند وطنيي اليمين المتطرف: يرى نفسه وتصرفاته وكأنها رد حتمي أمام مؤامرة شيطانية يكيدها له الغير. هذه الرؤية لا بد من أخذها بعين الاعتبار لأن بنظر هتلر

كل التدابير التي اتخذت ضد اليهود لم تكن سوى تدابير وقائية يبررها التهديد للألمان بالفناء. هذا التبرير يؤيده من الناحية التعليلية رأي اللغوي الألماني كلمبير بأن كلام هتلر يظهر تشابكاً بين جنون العظمة القيصرية وبين القلق الدائم نتيجة الإحساس بأن هناك من يلاحقك [27].

وكما نرى هنا فإن العداء للسامية يشغل مكاناً متفرداً عند عنصرية هتلر. فعقائدياً، المشكلة اليهودية تشكل مادة واحدة من برنامج مليء بالمواد أهمها التطهير العرقي الذي من شأنه أن يطبع ألمانيا بطابع واحد مما يجعل كل القرارات التي تليه في هذا الشأن تنفذ على أنها قرارات جامدة وعقلانية لا تقبل الجدال. من ناحية ثانية، هذا ما كان مقرراً في صميم برنامجه في الغزو والسيطرة. من خلال تحليل الصدمة النفسية الناتجة عن النكسة تبين أن اليهودي قد إرتقى الى الصف الخصم اللدود؛ وبالتالي أصبح صورة ملتقصة بصميم تنفيذ مشروعه، بنجاحه أو بفشله. وبهذا تصبح المشكلة اليهودية عائقاً نفسياً وقف دائماً في طريق هتلر ورافقه طيلة فترة حكمه مسبباً له انعكاسات نفسية من حين لآخر.

ولكن أي مصير كان يخبئ لليهود ، وهل وضع حدود برنامجه بهذا الشأن؟ فيما يتعلق بالأهداف التي سبق له تحديدها، فلا شيء يؤكد أن برنامجه كان قد تم تحديده. في 1919 عرض هتلر ضرورة وجود محاربة للسامية من الناحية العقلانية مرتكزة على اعتبار المشكلة اليهودية مشكلة عنصرية، وليس العداء من الناحية العاطفية الذي قد يكون من شأنه أن يقود الى عملية استئصال مباشر. لقد اقترح محاربة اليهود عن طريق استعمال أسلحة شرعية وعن طريق الخدعة المدروسة تجعلهم يسقطون تحت ضربات القضاء الذي يطبق على الأجانب يكون من شأنها اتخاذ قرارات بإبعادهم عن البلاد[28]. البرنامج السياسي للحزب النازي لشباط 1920 كان من شأنه اتخاذ إجراءات تؤيد الأفكار التي سبق له وطرحها دون أن تؤدي بالضرورة الى إقصاء كل اليهود. درجة المواطنية تكون من حق الألماني ذي العرق الأصيل، ثم اقترح طرد اليهود من بعض الوظائف وخاصة الصحافة. أما الطرد من البلاد فللمهاجرين الذين دخلوا ألمانيا بعد 2 آب 1914. النقطة السابعة من البرنامج تتعلق بواجب الدولة أن تلجأ (في حال الضرورة) الى طرد كل الأجانب.

إن الدعاية التي أطلقها هتلر في السنوات التي تلت هذا التاريخ، تشير الى أن مطالباته لم تتغير. فأحياناً تبدو قضيته وكأنها تتعلق بطرد اليهود القادمين من أوروبا الشرقية، وأحياناً بطرد كل اليهود وبمنع أي هجرة جديدة[29]. وفي أكثر الأحيان فإن طرد كل اليهود، هو ما كان ينادي به وذلك على شكل شعارات: "اليهود الى الخارج". في كانون الأول 1928 أعلن هتلر، كما كان يفعل في السابق، أنه لا يجب التهاون مع اليهود في ألمانيا إلا كغرباء[30]. كما نرى فهذه هي أقصى حدود الليبرالية لديه: في أفضل الحالات سيكون لليهود مكانة غير ثابتة ولكن الى متى. وكما تنبئنا المراجع فإنه من الصعب تكوين صورة صادقة عن حقيقة نوايا هتلر بهذا الشأن. ولكن كان واضحاً أنه قرر أن يطبق، حالما يصل الى السلطة، عدداً من الإجراءات: طرد اليهود من الوظائف العامة وكل المراكز التي تخولهم التأثير على الحياة الوطنية؛ وعلى مدى طويل سيطردون من البلاد بعد أن يسلبوا كل أملاكهم[31].

لا شك أن هتلر يواجه صعوبة في حسم أمره بشأن هذا البرنامج، في الوقت الذي ذهب فيه كتابه الى تفصيل نوايا وأهداف البرنامج ثم الوسائل والإجراءات التي ينوي اعتمادها من حيث السياسة الخارجية ولكنه بقي صامتاً حول نواياه تجاه اليهود إلا حين أصبح في الحكم. الاحتمال الأول في فكر هتلر هو ملاحظتنا بأن اليهود شغلوا حيزاً مهماً من فكره ومن عواطفه مما يجعل من السهل انجراره الى المصير الذي وصلوا إليه. الاحتمال الثاني يتعلق بطبيعة المشكلة اليهودية كونه ليس فقط مشكلة ألمانية. هكذا صرح في روشننغ بداية عام 1930: "وإن نجحنا في طرد اليهود من المانيا فإنه سيبقى دائماً عدونا العالمي[32].

على الفور، نشأ نوع من التوتر بل تناقض ما بين سياسة إبعاد اليهود، الذي كان من شأنه حل المشكلة في ألمانيا، وبين السياسة العامة التي تقتضيها المعركة ضد عدو عالمي. ورغم أن الصراع القائم ضد اليهود في ألمانيا قد أشعل العداوة في صدور كل يهود العالم ضد ألمانيا، ورغم أن هتلر كان مقتنعاً بأن ذلك سيحصل، إلا أنه قبل التحدي بالرد على أعدائه:الإحتفاظ باليهود كرهينة لديه؟ وفي أواخر عام 1922 عندما صرح علناً بهذه الفكرة. فبعد وصوله للسلطة، بدأت عملية اعتبار اليهود كرهائن في ألمانيا ما دامت معاهدات الأمن مع الدول الخارجية لم تنعقد. بعبارة

أخرى طالما بقي الوضع الدولي من النظام الحالي على ما هو عليه من الرفض[33] إن تصرفات هتلر كخطاباته اللاحقة أظهرت للعالم كله بأن رؤيته هذه لليهود كان لها جذور متأصلة في داخله.

إن إبعاد اليهود سيكون من شأنه أن يوضع في كفة ميزان مع ضرورة الاحتفاظ بهم كرهائن، على الأقل الى فترة محددة في البداية. هذا ما كان من الحلقة الأولى من السياسة الخارجية لهتلر. وبما أن هتلر لا يستطيع التعامل مع هذه السياسة دون ظروف ملائمة، الى أن جاءت الحلول العالمية كي تخفف من سلبيات هذا الحل وتجعل من الخطر اليهودي بدون ضرر. الحل الصهيوني لم يحصل على موافقة جميع الأطراف بالرغم من القول بأن مكان اليهود في فلسطين وليس في ألمانيا. كان يشك في أن اليهود عازمون فعلاً على التجمع في دولة واحدة.؛ بل أن غايتهم هي خلق تكتل مركزي عالمي مما سيوفر لهم حماية الدولة. ما هو الحل إذن؟ بحسب مذكرات بعض أصدقاء هتلر المقربين القدامى أنه قد صرح عام 1931 بأن السلطة العالمية لليهودية لن تتأثر ما إذا ما تجمع اليهود في دولة واحدة، ولكن يلزمهم تعاون كل دول العالم من أجل تحقيق ذلك[34]. وهذا لن يكون بالطبع مشروعاً للغد القريب، حسب رأيه. من هذه الكلمات نستشف فكرة خلق مركز تجمع لليهود في مكان يوضع تحت الحراسة. وبوضعهم تحت رحمة هتلر لن يكون بإمكانهم تشكيل أي خطر على الكرة الأرضية.

في كل ما تقدم يتبين لنا أن أن مشروع الإبادة غير موجود. على أية حال، فمن المقبول أن يكون المشروع قائما كهدف دون أن يكون معلناً. وفقاً لشهادة أدلي بها بعد الحرب أعلن هتلر في عام 1922 أثناء محادثة خاصة أنه عندما يصل الى الحكم سيشنق كل يهود ألمانيا في الساحات العامة وأنه سيترك جثثهم تتحلل في العراء[35]. لم تؤكد هذه الشهادة وفي السياق الذي أتت عليه أية مصادر أخرى خاصة أنها تبدو استيهاماً أكثر مما تكون برنامجاً سياسياً. ولفقدان العناصر التي تشكل أدلة مباشرة فإننا سنعمد الى اللجوء الى استكشاف الطرق الغير مباشرة. إن رؤية هتلر للعالم لهي كما ألفاظه لها متعلقات لا يمكن إلا أخذها بعين الاعتبار.

لقد فسر هتلر، وكما رأينا، كفاحه ضد اليهود وكأنه كفاح من أجل سلام العالم، كالكفاح المستميت الذي لا يمكن له أن ينتهي سوى بموت أحد الطرفين. كما أعلن وفي أكثر من مرة أن هذا الكفاح سيكون عنيفاً، وعن المؤسسة اليهودية وسيطرتها على العالم، كتب أن أي شعب " لا يستطيع إبعاد هذه اليد عن عنقه بأية أداة أخرى سوى الحسام". وهذا لن يكون "بدون إراقة الدماء"[36]. حين كان هتلر يتحدث عن اليهود فإنه كان يستعمل ألفاظاً وعبارات وكلمات تدور كلها حول الدمار؛ كان يخلع عليهم دائماً صفة العدو، العدو الذي يجب أن يضرب بلا شفقة ولا رحمة، العدو الذي يجب أن يمحى[37]. وكان يستعمل دائماً مفردات تنزع عنهم الإنسانية، وبنزعه عنهم صفة الإنسانية تسهل عليه تصفيتهم الجسدية. ميكروبات، جراثيم، مصاصو دماء، عقارب، ومخلوقات مؤذية أخرى بحيث التخلص منها يشكل إرتياحاً للإنسان. حديث كهذا من شأنه أن يحول الإنسان الى أسير له بحيث يملي عليه تصرفات تنضوي تحت لوائه. من جهة أخرى، فإن هذا الخطاب ليس فيه أي أمر شخصي لأنه ينضوي تحت تقليد معاد للسامية لم يكن بالطبع ألمانياً. في فرنسا، وفي قضية دريفوس بالذات فإن لفظة دودة كانت ترافق بمتافات تدعو الى المجزرة بشكل علني[38]. فوق ذلك، فإن هتلر كان يستعمل لفظة يهودي كصفة تطلق على كل أعدائه، وخاصة الماركسيين منهم. وكان هذا بحد ذاته يشكل عائقاً لأنه لم يكن من السهل معرفة عمن يتحدث والى من يوجه تهديداته. أكان يوجهها الى اليهود أعدائه المعروفين أم الى الخليط من الأعداء السياسيين.

غير أن صورة اليهودي العدو كانت تثير لدى هتلر حقداً كبيراً بحيث أن المجزرة كانت دائماً تدور في فلك عقله. ويبدو لي على أية حال من المبالغ به الاستنتاج بأنه كان فعلاً عازماً وبأنه قد حدد هدفاً له غير مشروط يقضي بإبادة اليهود، أو على الأقل الاستنتاج بأنه يمكن له أن يحول طاقته القاتلة الى نية بالقتل[39]. وهكذا، تضيف إمكانية تكوين شكل فعلي للمشكلة. لأن هذا القدرة الهائلة لديه على القتل، الواضحة في كل تصرفاته، تبقى غير محددة المعالم ولا الحجم بالرغم من أنها تشبه عزماً على فعل شيء ما غير واضح وغير محدد.

لقد سبق لنا أن أظهرنا الحقد الذي كان يشوب خطابات هتلر عندما الأمر يتعلق بعام 1918 . إذن وبالتحديد في المقاطع التي كان يتحدث فيها عن ثورة تشرين الثاني كان أكثر ما يذكر اليهود بتأثر بالغ يظهر مدى الرغبة لديه بتسوية حسابات دموية مع اليهود. هكذا جاء الكلام حين انتهى من الحديث عن حماس العمال الألمان في صيف 1914 ، وعن كيفية إبعادهم عن القادة الماركسيين، كتب يقول: "لقد حان الوقت للتصدى واتخاذ إجراءات ضد هذه الطغمة اليهودية الماكرة، مسممة الشعب. حينئذ كان يجب وبدون تردد أن نقيم محاكمة لهم دون أن تأخذنا بهم لا شفقة ولا رحمة إزاء صراخهم وعويلهم الذي يمكن له أن يتعالى [...] في الوقت الذي كان يسقط فيه على الجبهة أفضلنا كان يجب علينا أن نعمد في خلفية صفوفنا، الى سحق هذه الحشرة الطفيلية" [40]. وأيضاً، بعد عدة أسطر، ودائماً في معرض حديثه عن التأثير الشيطاني للقادة الماركسيين الذين، بحسب هتلر، كانوا من اليهود: لو كنا في بداية الحرب وأثناءها، قبضنا دفعة واحدة على إثني عشر أو خمسة عشر ألفاً من هؤلاء العبرانيين، المتآمرين على الشعب، وقتلناهم بالغاز السام، لكانت مئات الآلاف من خيرة العمال الألمان من كل الأجناس ومن كل المهن، لكانت صمدت على الجبهة، ولكانت التضحية بهؤلاء العبرانيين لم تذهب سدى". بالعكس، لو كنا أهينا أمر إثني عشر ألفاً من هؤلاء الأوغاد لكنا أنقذنا ربما حياة مليون من الألمان الأشراف البواسل وأبناء المستقبل[41].

يعاد بث هذه المقاطع مرات ومرات وذلك كي يثبت بأن هتلر كان يملك النية في تصفية اليهود وإبادتهم، وهذا ما يبدو لي وكأنه لجوء الى هذا النص لكشف هذه النية. إنما وكما سبق لنا وقلنا، فإن هتلر استخلص من تجربته قناعة بأن مستقبل الأمة يكمن في تطهيرها قبل أية حرب. ولكن في المقاطع التي ذكرناها، يضع هتلر نفسه في منظور آخر، لأنه يتحدث عن حرب سابقة، كي يعلن وبالرغم من كل شيء، ما كان ممكناً عمله. إن إنشاءه لكتابه بعد النكسة، يتناول قيمة مضاعفة لإجراءات يتخذها ذريعة يتمنى تطبيقها بسرعة: أولاً قيمة استعطافية، لأن إجراء من هذا النوع إنما يعبر عن رغبة للحرب، كان يمكن لها أن تقود الى النصر، منقذة بذلك حياة الآلاف من الجنود الألمان. ثانياً، قيمة انتقامية، وهذا ما هو ملفت للنظر أكثر: موت

آلاف اليهود، بالرغم من أنها ربما لن تغير شيءاً في نتائج الحرب، كان لها ما يبررها بحيث أنها تكون انتقاما لأرواح الجنود الألمان الذي سقطوا على الجبهة.

إن إجراء مماثلة بين حرب طويلة يكون ثمنها الدم الألماني، مكتوب لها أن تنتهي بالنكسة، وبموت أعداد من اليهود، لم يكن في وسع هتلر، تحت حمأة الغضب، إلا أن يذكر بالماضي، واعداً بحلول مستقبلية؟ من ناحية أنه يذكر المستقبل باستخلاصات مستنتجة من كل الحروب السابقة ومن النكسة، يجب أن نرى في هذا الخطاب حلاً يمكن تطبيقه في حال عاشت ألمانيا موقفاً آخر كهذا. وهذا ما يؤكده التصريح التالي والذي يعود تاريخه الى عام 1931 ، وفقاً لمصدر يمكن الوثوق به " لقد تعلمنا كثيراً من الحرب الأخيرة، وفي المستقبل سنستخلص النتائج (وهنا يصاب هتلر بالغضب فجأة ويتابع بحرارة وحماس) ..في حالة بدا تصرفنا الشرعي غير يكون مفهوم أو أن كفاحاً مسلحاً تبع ذلك، بسبب اليهودية العالمية التي تريد دائماً إدارة عجلة التاريخ الى الخلف... إذن وحينها سيتعرضون للسحق" [42].

يمكننا هنا أن نساند، وهذه الفرضية ستكون خاضعة للتمحيص في الفصول القادمة، أن في تصرفه إزاء اليهود بالقوة والحماس اللذين كانا عليه، فإن نيته هي قاتلة، وربما نية الإبادة أيضاً، بالرغم من أنه من الاستحالة الاستنتاج بذلك والتأكيد عليه، في حالة واحدة وهي: العودة الى حرب طويلة المدى، حرب عالمية. إن حالة كهذه تشير الى فشل كل إستراتيجياته بتحقيق ذلك عن طريق حروب خاطفة. هذا الموقف من شأنه أن ينبئ، على العكس، نصراً جديداً لليهود الذين جنوا نتائج الحرب الكبرى. والحالة هذه، فقد وعد باتخاذ إجراءات جذرية ضدهم لا يتخذها إلا لأعدائه اللدودين. إجراءات من شأنها أن تجسد إرادته في متابعة الكفاح حتى النصر أو إبادة كل من تسول له نفسه إراقة الدم الألماني، كما يعد بأن سينتقم مسبقاً للنكسة والتي ستكون بالنسبة للألمان حرباً ضد التحالف العالمي.

كما نجد في السياق نفسه قوة الزخم أو على الأقل التناقض غير المرئي الذي سبق وأشرنا إليه. سواء تعلق الأمر بالأراضي الألمانية أو بالرايخ الكبير المستقبلي، فإن خروج اليهود يشكل ضرورة حيوية بما يمثلونه من خطر رئيسي على النقاء العرقي وعلى الوحدة الوطنية. إذن كان يجب إبعادهم وبسرعة، فإن كان بالإمكان قبل أن

اندلاع صراع مسلح، وإن كان بالإمكان مع إيجاد حلول دولية كتلك التي تنادي بإيجاد تجمعلهم ما يجعلهم غير قادرين على إيذاء أحد. من ناحية ثانية، فإن وجودهم في الدائرة الألمانية يضمن لهتلر ورقة ضغط على اليهودية العالمية كي يستطيع الخروج من المأزق الرهيب للأيام الأولى. وأيضاً، كي يكون في متناول يديه شيء ينتقم به في حال فشل مشروعه بشكل عام. ويمكننا الحكم بأن أحداً من هذين الأمرين لم يكن لديه أفضلية على الآخر: لقد سارا دائماً معاً وجنباً الى جنب في فكر هتلر، مشكلين بذلك مراوحة جذرها إرادته الى حد الهوس بالكفاح ضد عدو عالمي مزعوم.

هذه المراوحة تساهم ربما في منع تشكيل برنامج واضح ومحدد، ولم يكن قد واجه صعوبة فيما يتعلق بغزوه للفضاء الحيوي، بل بقي ذلك أمراً ذهنياً بعيداً عن تلك الصعوبات. ولكن تجاه اليهود بقي الأمر محدوداً بمجموعة من الآراء التي من شأنها على تضفي على شخصيته بعضاً من التنازع عندما يتعلق الأمر باتخاذ موقف سياسي محدد. إن الفضاء الحيوي وأيضاً المشكلة اليهودية يسيران جنباً الى جنب بحيث لا يمكن فصل الواحد عن الآخر، مع احتفاظ هتلر دائماً بعلاقة يمكن لها أن تتبدل وأن تتغير حسب الظروف. بما أن غزو الفضاء الحيوي شكل الهدف الرئيسي، فإن الكفاح ضد الخطر اليهودي لم يكن له أن يستمر بشكل يمكن له أن يعيقه. لأنه إذا تمت السيطرة، فإن اليهود سيصبحون تحت رحمة هتلر. ولكن وإن قدّر لغزو الفضاء الحيوي أن يفشل، فإن الكفاح ضد اليهود يصبح هدفاً رئيسياً من شأنه أن ينوب عن الآخر كوسيلة انتقام.

أكثر ما يلفت النظر أن هتلر يبدو وكأنه ومنذ البداية قد توقع فشله لذا فقد أشار مسبقاً الى ردة فعله في حال الفشل. قبل أن يفوز بالحكم كان يلوك حلولاً مستوحاة من تجربته الشخصية للحرب 1914-1918. لن يكون هناك ثورة جديدة؛ لن يكون هناك استسلام مرة أخرى، وفي آخر المطاف فإن اليهود سيدفعون الثمن باهظاً إن حاولوا مرة أخرى إعتراض مسيرة الرايخ نحو الهيمنة. بالنظر الى شخصيته والى المنطق الهستيري الذي ينطق به بعدائه للسامية، يبدو لي من غير المحتمل أن يكون قد حدد برنامجاً يقضي بإبادة اليهود، مهما كانت الأسباب وحتى في حال نصر متوقع. إن نجاح مشروعه يظهر أن اليهود لم يكونوا في نهاية الأمر بالقوة التي تخيلها هتلر: إن

وضعهم تحت المراقبة في المكان الذي تم تجميعهم فيه كان كافياً كي يتوج إنتصاره. على العكس من ذلك، فإنه قد يكون، في حال عدم نجاح مشروعه، قد أكد طبيعتهم الشيطانية مما يخوله التصرف بطريقة أكثر جذرية من أن يكون لديه شعور بالتهديد، وبنهاية أكثر تدميراً لمؤسسته.

بهذه الطريقة من التفكير، لا بد لنا من الإشارة الى أن هتلر لم يكن مميزاً. إن فكرة معاملة اليهود كأسرى والتمثيل بهم، كلما كان الوضع سيئاً كلما كان العقاب أسوأ، تبدو الفكرة منتشرة عند اليمين المتطرف الألماني لفترة ما بعد الحرب، بحيث أبقى هذا اليمين تحليل ودراسة الفكرة موضوعاً لا يزال قائماً. في نظر الرجال الذين كانوا يعتقدون بوجود يهودية عالمية كان طبيعياً أن الشعب اليهودي سيتحمل في المستقبل تبعة ما يدور وما يمت الى الوطن بصلة.والى الرجال الذين يدعون تجسيده. ولهذا نرى أن جيوبيل قد هدد في 19 أيلول 1930 بإقامة مذابح في حال تعرض أحد القواد الألمان النازيين للإغتيال. وفي 21 آذار 1933 وبعد فترة قليلة من وصول هتلر الى الحكم أصدرت جريدة ليبزيغ التهديد التالي: "إن إنطلقت رصاصة بإتجاه قائدنا الأعلى المحبوب، فإن كل يهود ألمانيا سيلصقون بالحائط، مما سينتج عنه بحر من الدماء لم ير مثله قبل اليوم[43]." كما تحدث نازيون آخرون في الفترة نفسها عن إبادة اليهود الألمان في حال تخطى الفرنسيون الحدود بإتجاه ألمانيا. وبألفاظ أكثر عامة، فإن الأوساط كانت تتحدث عن أنه وفي حال تقدم أي جيش غريب وداس الأرض الألمانية فإنها ستمشي فوق جثث اليهود [44].

من المؤكد أن هتلر كان مميزاً من حيث كثافة الأعراض النفسية والتي تبدت في عدائه للسامية. ولم يكن هوسه بأقل صدى من تصرفاته من الناحية العقلية عن غيره من الرجال الذين يشابهونه في كونهم حولوا السياسة الى طرائق حرب، متأثرين بذلك بنتائج النكسة، مستخلصين خيالاً من العنف الذي يشبه قيام القيامة، كان اليهود فيه هدفاً بإمتياز. يمكننا التساؤل هنا عما إذا كان، على عتبة الرايخ الثالث، هؤلاء الرجال قد فكروا بالمستقبل ورأوه على أنه حقيقة حتمية مؤكدة. إنها نكسة جديدة لن تمر دون أن ترمي بثقلها على اليهود الذين وحدهم سيدفعون الثمن.

الفصل الثاني

سياسة التهجير1933ـــ1939

في 30 كانون الثاني 1933 كلف هتلر من قبل الرئيس هيدنبرغ بتشكيل حكومة "تجمع وطني"، راهن القليل على نجاحها. وفي هذه الحكومة الجديدة وجد هتلر نفسه محاطاً بعدد كبير من ممثلي حزب اليمين المحافظ، الذين أتوا الحكومة وفي نيتهم تشديد الطوق حوله. هكذا كانوا يتخيلون على الأقل. ولكن هتلر وبفضل فريق العمل الهائل الذي يكونه حزبه، وبفضل تهربهم من مسؤولياتهم، فقد إستطاع أن يحول بينهم وبين مكاسب كان يمكن لها أن تلعب ضده. وبعد حل كل التنظيمات السياسية والنقابية لم يبق على الساحة سوى الحزب النازي الذي سمح له بالتواجد، الحزب الذي عمل هتلر على تشكيله بنفسه والذي كان من أهدافه رمي الشباك حول الشعب الألماني لغرض مراقبته ومن ثم تلقينه إنجيل الأمة والعرق.

لم تكن سلطة هتلر سوى في بداياتها عندما صدرت القرارات الأولى، وأيضاً إنسحاب ألمانيا من مؤتمر عدم التسلح، من عصبة الأمم، وفق إستفتاء عام. وبعد مدة قصيرة عادت عجلة الاقتصاد الى الدوران كي تشهد ألمانيا إعادة تسلح بكميات هائلة مما ساهم في القضاء على البطالة ودعم شعبيته. إن الردع الدموي الذي قامت به AS تحول الى قنص يتزايد يوماً بعد يوم. إن موت (هيدنبرغ) في آب 1934 سمح له أن يضيف الى المركز الذي يشغله صفة رئيس الرايخ وبهذه الصفة يصبح رئيساً للقوات المسلحة. حينئذ تخلى عدد من الشخصيات المحافظة عن المراكز التي يشغلونها في الحكومة بعد أن تبين لهم غباء أحلامهم بمشروع التدجين. في بداية عام 1938 إنسحب من الحكومة آخر وزيرين من المحافظين على مستوى من الأهمية: بلومبرغ وزير الحرب الذي شغل هتلر منصبه ثم وزير الخارجية (نوراث) الذي إستبدل بـــ (ريبنتروب). ومنذ تشرين الثاني 1937 توقفت إجتماعات الحكومة بشكل رسمي مما أتاح لهتلر أخيراً أن يكون الرجل الحاكم بأمره.

منذ تعيينه، إنصب إهتمام هتلر على كيفية تحقيق برنامجه الكبير، تحسين وضع ألمانيا ثم غزو مناطق السيطرة الأوروبية. في نفس الوقت بدأ بترجمة أقواله ضد السامية الى أفعال. في السنوات الست التي سبقت اندلاع الحرب، إتخذ هتلر عدة إجراءات متلاحقة كان من نتائجها اضطهاد اليهود المقيمين في ألمانيا. تطبيق هذه الإجراءات بعشوائية جعلت المؤرخين يشككون في أن يكون لهتلر نهج سياسي معين، وهدف سوى إثبات وجوده بإعتلائه السلطة بطريقة لولبية، تنطلق منه ثم تعود إليه، تاركاً المجال لأعوانه في النظام أن يتصرفوا على هواهم.

إن السياسة المضادة لليهود كانت، وحتى اندلاع الحرب، تتم تحت ضغط منفذين عدة، البيروقراطية الوزارية أولاً ممثلة بالوزراء المحافظين التابعين بدورهم للإدارة والمدعومين من وزراء آخرين أمثال (فريك) وزير الداخلية، و(شاخت) وزير المال. هذه البيروقراطية كانت تلعب دوراً مزدوجاً في مطاردتها لليهود يتراوح بين مروّج ومعطّل في آن. ثم وضع الحزب النازي بعد ذلك تحت عهدة (هس) الذي كان يرغب بحرارة مراقبة الإدارة العامة للدولة ويعمل على تألبيها ضد اليهود. (غوبلس) و (ستريشر) وأحد وزراء الدعاية المغرضة وأيضاً (غوليتر) في برلين و (غوليتر) آخر في فرانكوني وهو متعصب جداً ضد السامية قاموا بدفع عجلة الحقد ضد اليهود شاركهم في ذلك بعض ذوي المناصب الوسطى والدنيا للحزب. وقد لعب (هملر) القائد الأعلى لقوات الوحدات الخاصة (SS) وقائد الشرطة الألمانية، دوراً متصاعداً مستقلاً تدريجياً عن الدولة وعن الحزب. ويأتي في النهاية دور هتلر الذي يتوجب عليه أن يحمي نفسه من حلفائه كما من ردات فعل مباشرة من الشعب ومن الكنيسة، والذي يجب أن يحتفظ لنفسه بدور الحكم وصاحب القرار النهائي وذلك بعلم وموافقة الجميع. إذن وكما نرى، فإن هتلر لم يكن الفاعل الوحيد المتفرد بسياسة كره السامية كما أنه لم يكن الوحيد صاحب القرار على الساحة. فهل كان الفاعل الحاسم؟ سنجيب عن هذا السؤال من خلال متابعتنا للسياسة التي طبقت في فترة سنوات السلام.

لم يأت هتلر الى السلطة حاملاً تحت إبطه ملفاً يتضمن إجراءات ضد اليهود ينفذه وفق روزنامة محددة سلفاً. مما غير مشكوك فيه أنه لم تكن في جعبته خطوط عريضة ينوي تنفيذها مستقبلاً. لقد اهتم الحزب النازي بتحضير في السنوات السابقة عدد من الدراسات والمشاريع المعدة للتنفيذ لاحقاً. وهذا ما يثبته سلسلة الأهداف المبدئية التي قام بتنفيذها القائمون على السلطة في السنتين التاليتين: طرد اليهود من الوظائف العامة، منع زواجهم مع الألمان، تصنيفهم كطبقة مواطنين من الدرجة الثانية. وبعض المشاريع ذهبت الى أبعد من ذلك كالتفكير في سحب المواطنية الألمانية عن اليهود مما سيجبر برأيهم اليهود على الهجرة أو مما يؤدي الى طردهم من البلاد فيما بعد[45].

إنطبعت الشهور الأولى من الحكم بحالة شبه عشوائية حين إندلعت المظاهرات المؤيدة للنازية تدفع بكل معارض للحزب الى معتقلات جماعية يكدسون فيها كل معارض لسياستهم. وراحت مجموعات من الـ AS تنشر الرعب في الشوارع، ينصب أفرادها على رؤوس اليهود، يضربونهم بعنف وقسوة، يسلبونهم في أحيان كثيرة ما يحملون من أموال، وأحياناً كانوا يغادرونهم فاقدي الحياة: بلغ عدد الموتى اليهود 45 شخصاً في عام 1933، مئات من الجرحى، جروح بعضهم خطيرة. إن الشعبات المحلية للحزب نشطت بدورها وقامت بتنظيم حملات حظر أو إجبار البعض على ترك وظائفهم بالقوة. من ناحيتها، فإن السلطات الشعبية أو المناطقية فقد قامت بطرد موظفيها بدعوى أن مسؤوليهم كانوا يهوداً. بالمواجهة مع هذا موقف لم يكن بوسع البيروقراطية الوزارية سوى أن تتخذ قراراً بمعاقبة "الحالة الراهنة" وذلك بإضفاء عليها صفة رسمية من خلال إعداد قوانين تتعلق بالوظيفة الرسمية يطرد بموجبها اليهود بشكل رسمي.

أثناء ذلك كان الرأي العام الدولي يشعر بالخزي تجاه تكرر عمليات النهب وعمليات العنف ضد اليهود، وانطلقت دعوات في أكثر من بلد تطالب بحظر البضائع الألمانية، فما كان من هتلر إلا أن طلب الى (غوبلس) والى (ستريشر) تنظيم حملة حظر ضد التجارة اليهودية يعتبر ساري المفعول إبتداء من أول نيسان 1933. سيما أن هذه الفكرة جاءت من صفوف الحزب وربما يكون (غوبلس) قد كتب في مذكراته أن الفهرر الآن قد إتخذ قراره[46]. ثم تدخل هتلر كي يرضي النشطاء في

حزبه. في الوقت ذاته كان هتلر يمارس ضغوطات على المحافظين كي يجبرهم على إعتماد قوانين ضد اليهود. وفي النهاية أعلن قراره مبدياً الأهمية التي يعلقها على هذه المسألة[47]. إن رؤيته للعالم قد ألهمته على الفور ترجمة للموقف قضت بأن يرد على حظر إستيراد البضائع الألمانية. لقد أعلن في 14 تموز 1933 في المجلس الوزاري أن اليهودية العالمية تسعى الى قتله؛ في حال حصل ذلك فإن اليهودي في المانيا يتحملون نتائج الحظر المفروض على الرايخ[48]. وخلال جلسة الحكومة في 29 آذار قام هتلر بتبرير الحظر الذي فرضه على اليهود الذي عليهم أن يتفهموا بأنه من الطبيعي أن حربا ضد ألمانيا لا بد وأن يتحملوا نتائجها في الدرجة الأولى[49]. إن اليهود رهائن وعرضة للإنتقام، هكذا كانت ردة فعله المميزة منذ بداية الحرب.

إن الحظر الذي ضرب ضدهم في أول نيسان لم يكن من شأنه سوى تشديد عداء الرأي العام الدولي الذي ترجم بمقاطعة البضائع الألمانية. أما في المانيا، فقد أقلق هذا الموقف طبقة المحافظين أمثال (نوراث) الذي تهيب خطر ذلك على السياسة الخارجية، وأيضاً (هيدنبرغ) الذي لم يكن من المؤيدين للحظر على التجارة اليهودية، ولكن دون أن يقوم بأية مواجهة مباشرة على الجبهة[50]. وهكذا شعر المسؤولون النازيون بالحدود المسموح لهم التحرك فيها، فمرة أخرى، بخصوص مشروع قانون حول الوظيفة الرسمية. هذا المشروع يهدف الى منع الوصول الى الوظائف كل من ليس من الجنس الآري. هذه مرة أخرى يثبت فيها الحزب أنه غير قادر على إتخاذ موقف واضح من اليهود الذي هو عاجز عن تحديد هويته. وفي نصوص تطبيق هذا القانون يتضح بأن القرار يشمل كل من كان جده يهودياً: وهكذا نرى بأن الهوية اليهودية التي لم يكن من السهل تحديدها قد إقتصرت على الديانة اليهودية. لم يكن المحافظون يعترضون على وضع قانون حول التفرقة، ولكنهم لم يكونوا يوافقون على مفهوم النازيين العنصري: الخدمات التي قدموها للبلد من شأنها أن تكون خطاً فاصلاً بين يهودي وآخر. وكان من شأن (هيدنبرغ) أن إقترح أن يتضمن القانون إستثناء المحاربين القدامى من اليهود.

وافق هتلر مكرهاً مما سيظهر في تعليقه على الحادثة التالية. ففي 14 تموز 1933 ناقشت الحكومة مشروع قانون يتعلق بالمحاماة، المهنة التي يستثني الغير آريين من

ممارستها، وخلال مناقشة النقطة التي تتعلق باليهود من المحاربين القدامى، تدخل هتلر مطالباً بالتشدد حول هذه النقطة وبإستثناء كل اليهود من كافة المناصب وكافة التعويضات "الشعب اليهودي كله مرفوض". وكان حتى تلك اللحظة القرارات بالحظر والإستثناء لا تشمل إلا اليهود الذين شاركوا في المعارك الى جانب ألمانيا دون الذين كانوا يتواجدون في مناطق المعارك ممن عملوا في وزارات التموين أو في المحاكم العسكرية[51]. وهكذا فقد عبر هتلر بوضوح أكبر عن مشروعه ضد اليهودية وعن نيته بحرمانهم من ابسط حقوق المواطنية.

لم يأخذ إجراءات أقل بشأن العوائق التي اعترضت تصفية سريعة للمسألة، مع حفاظه على اعتبارات السياسة الخارجية. في 6 حزيران 1933 عرض أمام مجموعة من المسؤولين الكبار والذين كانوا في الوقت نفسه مسؤولين في الحزب خطة عمل ينوي إتباعها: إعادة تسليح الداخل والخارج، دون أن ينسى أن يطيل الكلام عن السلام وعن نزع السلاح. كان يقود سياسة مهادنة إنتظاراً لما سيمارسه من سياسة قوة فيما بعد. ألمح الى الإتحاد السوفياتي الذي كان اليهود ينوون تدميره ثم قال" في يوما ما سنكون نحن الوارثين". في الوقت الحالي "ألمانيا الجديدة" محاطة بخصوم لا يجب إستثارتهم إن لم تستدع الضرورة ذلك. ما تبقى من العالم سبق وتم تحريضه من قبل اليهود الذي كان يترتب على عاتقهم ترك أثرهم ونفوذهم في كل مكان. وكان أي إجراء يتخذ ضد اليهود في ألمانيا يصل صداه الى كل يهود العالم كما الى الحكومات التي يديرونها، لذا يجب علينا عدم التهور والدخول في اعتبارات غير مدروسة[52] .

وبعد أن كانت الحكومة تصب إهتمامها على مشاريع قوانين تتعلق بالزواج المختلط والمواطنية هاهي تتخلى عنها وتضعها في الدرج كي تتفرغ لمشاريع من نوع آخر. فالحكومات مشغولة وهتلر الذي يشغل الدور الأول فيها كان قد أظهر بما فيه الكفاية أن مشكلته الأساسية هي اليهود وأنه يوجه بموجب ما تقضي به الظروف بشكل مدروس. في السنوات التالية قام بعدة تصرفات من شأنها أن تعطي أكثر من مثال عن هذا الطرح المدروس بطريقة أدخلت عليه بعض التعديلات الإيجابية. ففي

تشرين الأول 1933 مثلاً إعترض على أن يشمل قرار منع شراء البضائع اليهودية أن يطال كل العاملين في الحزب[53].

بالمقابل وعدا هذه الإجراءات الأولية فقد إنهمك هتلر في تضميد بعض ثغرات مشروعه، من نتيجتها أنه فرض على حلفائه المحافظين قانوناً يقضي بفرض العقم الجبري على كل مصاب بأمراض وراثية. هذا القرار شمل حوالي 400 ألف ألماني في السنوات التالية[54]. في عام 1937 أصدر أمره، بالرغم من إستنكار وزارة الخارجية، أن تمتد هذه العملية كي تشمل فئة من الأشخاص المعينين والذين لم يكونوا يعانون من أي مرض. بموجب هذا القرار فقد تم تعقيم 500 شاب ولدوا من أمهات ألمانيات ومن جنود من خارج الجنس الأبيض كانوا يعملون مع جيش الإحتلال الفرنسي[55].

في 1934 عرف التشريع الألماني فترة فراغ، إلا أن الإجراءات ضد اليهود لم تكن لتتوقف أبداً، حيث كانوا يتعرضون بشكل منفرد الى عمليات مضايقات يومية، جعلت حياتهم الاقتصادية تعاني من بعض المشاكل المادية، وخاصة في الأرياف. من ناحيتها، إستمرت الوزرات في وضع الإجراءات التشريعية التي تحد من حركتهم. وفوق ذلك كانت حركات سرية تجعل بقاءهم في ألمانيا أمراً مستحيلاً. في الحقيقة كان من أهداف هذه الإجراءات أن تجعل اليهود يفكرون بالهجرة النهائية من البلاد. هذا ما كانت تسعى إليه الأقسام العاملة تحت قيادة هملر. وبما أن ذلك كانت مستحيلاً بسبب الأزمة العالمية التي جعلت من إختيار البلد المضيف أمراً صعب المنال، لذا تم لعب ورقة الصهيونة والمراهنة على أرض بديلة في فلسطين، ولم يكن هتلر معارض لها.

وكانت شبكة المعلومات الـــ DS التي وضعت تحت قيادة (هيدريش) وأيضاً جهاز الشرطة الـــ OPIS بدءا يرددان هذه المعلومات صراحة عام 1934. ومن أجل تشجيع يهود ألمانيا على الهجرة عمدت هذه الأجهزة الى توعية اليهود على ضرورة إيجاد هوية خاصة بهم[56]. ولذلك أخذت التنظيمات الصهيونية تحظى ببعض التأييد، إذ كانت أهدافهم تتلاقى مع مصالح النظام الذي أخذ ينظر بعين الرضى تجاه المدارس العبرية المنتشرة بسرعة متزايدة، بالإضافة الى النوادي الرياضية الخاصة بهم.

وكانت محاولات التوعية المتخصصة في هذا المجال، تشجعهم على الهجرة الى فلسطين. وكان من جملة قوانين نورنبرغ واحد يمنع على اليهود رفع العلم النازي أمام محالهم التجارية، وسمحت لهم بالمقابل برفع علم الصهيونية الأبيض والأزرق تتوسطة نجمة داوود، تشجيعاً لهم. وكان في عام 1933 حين وقع إتفاق مع الوكالة اليهودية يسمح بموجبه لليهود الميسورين بالمغادرة ببعض أموالهم المنقولة الى فلسطين مقابل السماح بالتسويق للبضائع الألمانية[57].

ولكن هل كانت الهجرة ضرورية فعلاً؟ بعد وصول النازيين الى الحكم بعامين كانت الأوضاع قد بدأت بالإستقرار. وكان معظم اليهود من أصحاب المهن الرسمية، محاماة وطب وما شابه قد تخلوا بفعل القانون عن وظائفهم وأصبحوا بدون عمل. أما الآخرون من أصحاب المهن الحرة فلم تكن تجارتهم قد تأثرت بعد بشكل مباشر. وكل شيء كان قد بدأ يعود الى سابق عهده من الأستقرار مما جعلهم يعتقدون بدوام الحال. لذا، أخذت حركة الهجرة بالتناقص بعد أن شهدت فورة كبيرة عام 1933، وبدأت طلائع المغادرين بالعودة الى ألمانيا. هذا العودة لم تكن لتروق للنظام النازي الذي أخذ ينظر إليها بعين عدم الرضى، وأخذ الغستابو الألماني يجبر المصرين على العودة الى العيش في مخيمات التجميع اليهودي (الغيتو).

في ربيع عام 1935 كانت ماكينة الملاحقة قد هدأت تماماً إلا أنها عادت وشهدت حركة مفاجئة من الإضطهاد يحركها كل من (غوبلس) و(ستريشر) الذين كانوا يغتاظون من القانون التشريعي الذي يحد من حركتهم. وفي صيف العام ذاته عاد الوضع الى ما كان عليه في بداية العهد النازي، وسرت في البلاد سلسلة من الإجراءات التي عادت تحظر التجارة اليهودية في البلاد، صاحبتها بعض التصرفات التي عادت تبث الرعب في قلوبهم كمثل منعهم من دخول المباني الرسمية ومن بعض الأماكن المحلية الأخرى. رافقت هذه الإجراءات عمليات طرد من البلاد لبعض الشخصيات اليهودية. وأخذ (غوبلس) يندد بعدم وجود قانون صريح يمنع زواج اليهود من الألمان، رافق هذا التنديد تصرفات عملية بحيث فرضت على اليهود تمييز محلاتهم وذلك بوضع علامة داوود بالحبر الأسود على مداخل محلاتهم بقرار من

الحزب الحاكم الذي كان ينتقد بشدة القرارات الوزارية التي بدأت تطالب بترك اليهود وشأنهم وعن حقهم بالعمل بسلام في بلاد ينتمون إليها.[58]

هذه الحملة هل أطلقها هتلر أو على الأقل هو من شجع على إتخاذها؟ يقول (غوبلس) في مذكراته أنه بتاريخ 29 نيسان 1935 قد تم التناقش مع هتلر حول "التعالي اليهودي" وأن هتلر كان متفهماً للموقف ووعد بأنه سيكون هناك قريباً بعض التغييرات في الموقف [59]. وبالوثوق بهذه المصادر، فإن هتلر لم يكن سوى مشجع لما يحصل وأن (غوبلس) ومعه ربما (ستريشر) كانا وراء الحملة، ولهذا كانت هذه الدعوات تجد صداها المباشر في صفوف الحزب. أما البيروقراطية الوزارية فلم تبق مكتوفة الأيدي، فقد ندد كل من (فريك) و (شاخت) بالفوضى وطالبا بتسوية شرعية ومتصاعدة ضد "المسألة اليهودية" كان من شأنها إعلان المباشرة باتخاذ إجراءات هدفت الى إرضاء الكوادر الحزبية بقي هتلر بعيداً عن كل ما يجري خلال تلك الحملة مع العمل على مراقبتها من بعيد بإهتمام. وفي وقت من الأوقات إضطر الى منع أعضاء الحزب من إتخاذ أية إجراءات ما لم يكن هو شخصياً قد أمر بها.

في شهر أيلول، أثناء إجتماع مؤتمر الحزب في نورنبرغ كانت الحملة قد هدأت بعض الشيء دون أن تتخذ إجراءات عملية بهذا الشأن. وربما هتلر يكون قد شعر بأن الوقت قد حان كي يقوم بعمل ما من شأنه إرضاء حزبه ولو جزئياً، فقام بإستدعاء مفاجئ للمتخصصين بالسياسة المعادية لليهود وطلب منهم سن قوانين جديدة تحدد في آن معاً شروط المواطنة الألمانية وشروط الزواج، تم إعتمادها على الفور من قبل البرلمان الذي إجتمع في جلسة فوق العادة في نورنبرغ. وكان من شأن هذه القوانين أنها منعت بشكل تام الزواج ما بين اليهود والألمان كما حرمت أي نوع من العلاقات الجنسية بين الطرفين، كما نصت على إعتبار اليهودي مواطناً من الدرجة الثانية. وفسر هتلر هذا التصرف على أنه رد على الحظر المفروض على ألمانيا من قبل يهود الخارج. وأضاف في حال أن الحظر إستمرت في الداخل كما في الخارج، فإن سيعود الى دراسة هذه المسألة من جديد. ولم يكن من شأن هذه المواقف إلا أن تجعل الوضع اليهودي في الداخل ينتقل من سيئ الى أسوأ [60]. كما أضاف بأنه في حال إستمر الإدارة بالمماطلة فإنه سيوكل الى الحزب شأن التصرف

بهذه المسألة بطريقة نهائية. هذا التصريح كان من شأنه تشجيع الحزب كما أنه في الوقت نفسه شكل تهديداً مباشراً الى الدوائر الرسمية. وقد أظهر النهج الذي إعتمده لاحقاً أنه في الحقيقة لم يكن يعير أهمية لا للحزب ولا للإدارة على حد سواء. وعندما صدور هذه القوانين لم يبق سوى تحديد على من يجب أن تطبق. لا شك أن الأشخاص الذين ينتمون لأربعة أجداد يهود، فإن هذه القوانين تشملهم لا محالة. ولكن ماذا عن من كان إثنان أو ثلاثة أجداد، فإن القانون بقي غير واضح بهذا الشأن، إلا أن موقف الحزب كان واضحاً منذ البداية: كل يهودي ينتمي الى جد واحد يهودي فهو يهودي حكماً. فقد رفض الحزب الإعتراف بمن هو "مختلط النسب" على عكس ما نصت عليه البيروقراطية الوزارية التي كانت ترغب تحجيم مفهوم النسب اليهودي.

وفقاً لمعلوماتي، فإن وثيقة مهمة لم تذكر أبداً تلقي الضوء على نوايا هتلر وعلى طريقته في إدارة مركزه. ففي 25 أيلول 1935 كان قد عقد إجتماع برئاسة (والتر غروس)، مسؤول المكتب السياسي العرقي للحزب النازي، الذي جمع قواد المناطق في دائرته يضعهم خلاله في أجواء القرارات التي تم إتخاذها من قبل هتلر في إطار تنفيذ قوانين نورنبرغ[61]. في خطابه التمهيدي قال (غروس) أن هدف الرايخ الثالث هو إبعاد خطر النفوذ اليهودي باعتباره جسما غريبا. وأضاف منتقداً بقسوة تصرف (سترايشر) الذي دفع هتلر الى التدخل شخصياً في هذه المسألة بإعلان قراره تدخل الحزب المباشر في القضية بعد أن كان هتلر قد قبل بالإعتراف بأن "مختلط النسب" هو نصف يهودي ولا ينطبق عليه ما ينطبق على اليهودي. وكان هتلر قد إقترح إعتماد واحد من ثلاثة حلول مع هؤلاء:

- طرد ه أو تهجيره بأمر من الدولة،
- تعقيمه،
- قبوله قبول الألماني.

هدف هتلر كان إختيار أهون الشرين؛ إن حل مشكلة "المختلط النسب" يكون بإدماجه بالمجتمع على مدى عدة أجيال.

إن هتلر أعلن موقفاً ضد إرادة الحزب، وقد قدم توضيحاً جديراً بالأهمية، وهو أن كل ما يهمه هو رفعة ألمانيا وجعلها قوية وقادرة على الإيلام بحيث أن الأيام القادمة ستكون دليلاً على قدرتها على تحديد مصيرها. وكل ما من شأنه تحطيم هذه المقولة يجب أن يبعد. فهو لا يريد أن يخلق طبقة من الأفراد مترددة في إنتماءاتها. وذهب (غروس) الى القول أن لهتلر سبباً آخر، وهو من النوع الاقتصادي. وقال (شاخت) بأن قرارات أكثر قسوة كان من شأنها أن تضر بالتجارة الخارجية لألمانيا. وقال هتلر بطريقة أخرى أن ألمانيا بحاجة أن تضع الحقائق نصب عينيها: وكان يقصد عودة ألمانيا الى التسلح والتجهيز العسكري للبلاد "وكل ما عدا ذلك من شأنه أن يضع على حدة في الوقت الراهن". وأعلن أنه كل ما يهمه الآن هو إلغاء الحظر. وكان قد ترك لليهود إمكانية العمل في بعض المهن وذلك كي لا يقعوا عبء على كاهل المساعدات الإجتماعية، في الوقت الذي كان يصر فيه الحزب على طردهم من الاقتصاد الألماني إلا أن هذا الأمر كان قد أرجئ الى ما بعد. كما كان الحزب يصر على عدم تشجيع الصهيونية مع إقراره بضرورة مغادرة اليهود. وفي نهاية المطاف أعلن (غروس)، بأمر من الفهرر، بأن مختلطي النسب تشملهم القرارات الجديدة في الدرجة الأولى، وأن هذه ليست إستراتيجية جديدة وإنما الحزب يهدف الى توجه أساسي في رؤيته للأمور.

من الصعب الجزم بعد صحة هذه الوثيقة التي تثبت أن هتلر كانت له رؤية واضحة حول الهدف الذي كان يريد الوصول إليه، وعن المراحل التي تحتم عليه إحترام الأولويات: هجرة كل اليهود من ألمانيا. إن وقف أعمالهم الاقتصادية في ألمانيا ستكون المرحلة القادمة التي ينوي الوصول إليها دون أن يكون لهذا نتائج سلبية على الرايخ الألماني. كما بين هتلر أولويات برنامجه وهي سياسته المعادية لليهود التي كان يجب لها أن تسير وفق خطط كان قد حددها بنفسه، على أن يطبقها على مراحل، دون أن يؤثر ذلك على برنامجه الأصلي الذي هو إعادة النفوذ الألماني الى ما كان عليه. كونه إختيار الحل الأكثر إعتدالاً في قضية "مختلطي النسب" فذلك لأنه كان يعرف ردة فعل ذلك عليه، خاصة وأن هذه المسألة تمس الشعب الألماني، على وجه الخصوص أقرباء هؤلاء. وأيضاً لأنه كان يشاهد مدى النجاح الذي لم يكن يضطره الى حلول متطرفة.

وعلى عكس ما سبق، فإن الوثيقة تحمل تصريحاً آخر يوضح ما نحن بصدده. وأيضاً على لسان (غروس) بأن هتلر ما أن أعلن رأيه لصالح مماثلة "مختلطي النسب" مع الألمان حتى أضاف "بـــأنه في حال حرب على كل الجبهات، فإنه سيكون مستعداً لكل النتائج". مما يعني أنه، في حال وجد نفسه في موقف صعب أو في حال ميؤوس منها، فإنه سيعود عن قراراته وسيعتبر "مخلطي النسب" يهوداً بكل معنى الكلمة، وأنه سيطبق عليهم ما يطبقه على اليهود بشكل تام. في حال حرب على كل الجبهات فهو سيأخذ إجراءات قمعية، وحتى ولو لم يوضح ذلك حرفياً.

المسألة تبدو وكأنها إنتهت. لم يحصل شيء وكل ما حصل هو إيضاح طريقة إدارة الفهرر للأمور. في 29 أيلول وقبل أيام من إجتماع (غروس) كان على هتلر أن يوضح لأعلى قادة حزبه موقفه. إلا أنه وبدلاً من أن يعلن موقفه الذي صرح به لـــ (غروس) وبالرغم من أن معظم كلامه كان يدور في هذا المجال، مع علمه بالملف المتعلق بالمسألة اليهودية، يختم بالقول أن بعض النقاط ما زالت تحتاج الى إيضاح وأنه سيعود للحزب ولوزارة الداخلية شأن البت بها[62].

إندلعت المناقشات الحامية بين وزارة الداخلية والحزب بخصوص هذا الأمر الذي يتعلق به مصير عشرات الآلاف من البشر. في الوقت الذي أعلنت فيه وزارة الداخلية موقفاً مشابهاً لموقف هتلر، إقترح الحزب ، بعد أن إضطر للتخلي عن ربع اليهود، على الأقل أن نصف اليهودي يعتبر يهودياً كاملاً. وطلب بالمقابل إجبار طلاق كل زواج مختلط وأيضاً التعقيم في حال الشك. أعلن هتلر عن إجتماع وزاري في أيلول يتم بموجبه التصويت على القضية ولكن هتلر عاد وألغاه. في 14 تشرين الثاني يوقع أخيراً توصية تتناول أهم النقاط التي أوردتها وزارة الداخلية: نصف اليهودي سيعتبر ألمانياً ما لم يكن متزوجاً من يهودي أو من التابعية اليهودية[63].

إذا كان هتلر قد رفض إتخاذ قرار في 29 أيلول فمن المحتمل أن يعرف أنه لو فعل ذلك فإنه سيؤدي الى غضب كوادر الحزب. (غوبلس) كان من الذين يؤيدون إتخاذ قرار أكثر قساوة. في الأول من تشرين الأول اثناء سؤاله عن المسألة اليهودية قال: إننا نتناقش مطولاً حول الأمر لكن الفهرر لم يقر قراره بعد. في 7 تشرين الثاني كتب يقول أن الفهرر يرغب حالياً إتخاذ قرار. ولكنه لن يكون كما أراد: ولكن تسوية

ستكون ضرورية، أضاف بأسى. في 15 تشرين الثاني يعلن أن القرار النهائي قد إتخذ. لم تكن ما أراده ولكنه على الأقل سيريحه من القضية: "حمداً لله، فإن سلاماً سيحدث[64]".

إن تصرف هتلر كان مطابقاً لشخصه. لقد إعتمد لنفسه أسلوباً يترك بموجبه إتخاذ القرارات الى آخر الأمر، بعد أن تؤدي المناقشات الحامية الى خلاف،حينها فقط يتدخل كي يحسم الأمر، فيقبل جميع الأطراف قراراته بإرتياح. في هذه القضية بالذات، فإنه وكما نرى أن هتلر كان بعيداً عن إدانة القرارات الصارمة للحزب الناتجة عن أطراف متشددة ، فإنه وبإستراتيجية خاصة جعل ضباطه يقبلون إعتماده قراراً معتدلاً. هتلر كان يسيطر على الموقف: كان ينوي أن يكون قائداً أعلى للحزب، وللبيروقراطية أيضاً، ولن يرضى أن يكون رهينة لأحد. في نورنبرغ قام بإعطاء تنبيه مباشر للبيروقراطية، مع أن هذا لم يمنعه إعتماد قرار تقدمت به. أما فيما يتعلق بالحزب، وبعد أن قام بتشجيعه، لم يتردد أن يقنعه بأنه الوحيد الذي يصدر قرارات في شأن قضية "عداء السامية[65]".

إن السياسة ضد اليهود لم يكن لها الأولوية في إنشغالات هتلر في ذلك الوقت بل أنها كانت ما زالت تسجل خطاً غير واضح المعالم. إن الشاغل الرئيسي في تلك الفترة إنما كان ينحصر في حصول هتلر على حرية حركة في أوروبا وفي إعادة القوة العسكرية التي من شأنها أن تتدخل حين يحين الوقت لذلك. كان النجاح حليفه بشكل غير منقطع. فبعد أن أعاد إدخال الجسم العسكري في آذار 1935 عقد مع إنكلترا إتفاقاً بحرياً كان من شأن تفرقة جبهة خصومه وبدا وكأنه ساعد في تقدم مشروعه بعقد اتفاق مع لندن. وبعد فترة وجيزة، بدا إندلاع الحرب في أثيوبيا كمساعد له في تقدم إيطاليا نحوه. ففي آذار 1936، مستفيداً من الموقف، عمل على إدخال قواته الى منطقة رونانيا الغير عسكرية، وعمد الى تدعيم قواته فيها بشكل يساعد على حأيارة مؤخرة جيشه، تحسباً لليوم الذي سيدخل فيه الى النمسا، تشيكوسلوفاكيا أو بولونيا.

وفيما يتعلق بطموحه وأحلامه حول السياسة الخارجية فإن مذكرات (غوبلس)، العالم بتطورات الأمور، فهي تفيد بعدة أمور أولها يدور حول الخطوط العريضة لسياسته في العشرينات: الحلف مع إنكلترا، التوغل في الفضاء الحيوي في الشرق، الحصول على السيطرة في أوروبا، نسف السلام في وستفالي[66] ، وصولاً حتى أطراف أوروبا: فألمانيا تكون أو لا تكون[67]. وأيضاً في هذه المرحلة لم نلحظ أي وجود للسياسة المعادية لليهود أو أية إجراءات تتعلق بالمرحلة القادمة، أو أية أهداف موعودة. ولكن في تشرين الثاني 1937 دارت وللمرة الأولى مناقشة جدية حول هذا الأمر، حين يذكر (غوبلس) في مذكراته أن الفهرر كان قد نوى فعلاً على ترحيل اليهود، ليس من ألمانيا فقط وإنما من كامل أوروبا[68]. وأول إشارة على ذلك هي تصريحاته الحارة في السنوات اللاحقة التي كانت تعلو كلما علت شهرته وحصل على نجاحات أكبر.

حتى هذه اللحظة كانت هجرة اليهود منتظرة بفارغ الصبر من كوادر الحزب كما من الإدارة المركزية العامة، وإن حصل ذلك بالإكراه والإرغام[69]. ولكن وكما هو معلوم عن العقلية النازية، فكلما ظهرت المشكلة اليهودية الى الساحة كلما ظهرت معضلات جديدة تمنع أي تصرف حيالها. كما كان من الضروري أن يغادر اليهود ألمانيا، كان ضرورياً أيضاً أن يضر هذا الرحيل بمصالح ألمانيا؟ إن رحيل اليهود من ألمانيا الى فلسطين. كان يجابه، أكثر من مرة، بصراعات حادة داخل الحزب والدولة. فما هو الذي كان يشغل ألمانيا أكثر: خروج اليهود كلهم منها أم منعهم من إنشاء دولة خاصة بهم في فلسطين؟ هل كان هتلر نفسه يعيش هذا الصراع في داخله، هو الذي يهمه أن يربح على كل الجبهات. لم يكن يوماً موافقاً على خروجهم من ألمانيا بقدر موافقته الآن. في عام 1938 قال رسمياً بأنه موافق على تسهيل هجرة اليهود، بكل الوسائل الممكنة، الى الخارج بما فيه فلسطين.[70]

كما كان يتمنى خروج اليهود كان يتمنى أيضاً الاحتفاظ بهم كرهائن لديه. ما كان يحركهم عاطفياً في بقائهم هو رغبته في إستعمالهم كأداة للتمثيل بهم ثأراً. في 4 فبراير 1936 ، قام شاب يهودي يدعى دافيد فرانكفورتر، بإغتيال (غوستلوف) مسؤول الألمان النازيين في سويسرا. نظراً الى قرب إفتتاح دورة الألعاب الأولمبية

الشتوية، ونظراً الى التحضيرات القائمة بغرض إعادة تسليح روتانيا، أصدر هتلر أمره بعدم الرد. وكما هو معلن في التعميم الذي أرسله (هس) لجميع قواته والذي جاء فيه:"اليوم كما في الأمس، فإن القرار يعود للفهرر وحده، في كل حالة حتى وإن كانت فردية، إتباع السياسة اللازمة"[71]. هذه الحادثة كلفت هتلر التخلي عن الرد بانتقام فوري.

بعد عدة أشهر من ذلك، جاء في مذكرة كتبها هتلر في موضوع إعادة التسلح، طالب بالتصويت على قانون يجعل من كل اليهود مسؤولين عن أي اعتداء يرتكبه أي واحد منهم، سواء أكان ذلك ضد الاقتصاد أو ضد الشعب الألماني؛ وكانت حادثة غوستلوف ما زالت ماثلة في ذهنه. استجابت البيروقراطية فوراً لطلبه مما جعل تصويت المواطنين له يتزايد، ولكن وزير العدل أعلن أن العقاب الجماعي مضاد للقانون مقترحاً على هتلر أن يبحث عن حل بديل، كعقاب ضريبي مثلاً. وافق هتلر على إنشاء قانون ضريبة خاصة على أن تحدد قيمة الضريبة سنوياً، وكان من شأن هذا الأمر أن يساعد على رحيل اليهود. والشيء الملفت للنظر أنه طلب الإسراع في وضع هذه الضريبة بطريقة على أن يكون ذلك مرافقاً لآخر جلسة يحاكم فيها قاتل غوستلوف[72].

وظل هتلر يتتبع أحداث هذه القضية مع بقاء شبح التمثيل باليهود ماثلاً في ذهنه. إن الضريبة الخاصة من شأنها أن تسرع في هجرتهم. ولكن هتلر كان يفضل أسلوب لوي الرقبة. ما بين سياسة الإبعاد وسياسة التمثيل دون التحدث عن سياسة الانتقام التي لم تعد تتلاءم مع مستوى النجاح الذي وصل إليه، العلاقة ما بين الاثنتين شهدت نوعاً من التوتر والتناقض منذ البداية كما سبق ومر معنا. في التطبيق، بدت نتيجة ذلك واضحة، فإن كان هتلر قد وافق على سياسة الترحيل منذ البداية لكان حصل على نتائج أكثر أهمية. ولكن كان يتوجب عليه إرضاء نزعته العميقة. إن التنازع الدائم ما بين ظاهرتين متناقضتين ساعد على تطور أفكاره بما يتعلق لعدائه لليهود على دفعات.

في عام 1938 تغير الوضع على أكثر من صعيد: تم طرد اليهود من الاقتصاد الألماني تحت ذريعة "ضرورة أرَينة الاقتصاد الألماني[73]"، وهذا اللفظ كان يطلق على

كل ما هو ألماني في تلك الفترة. الأريَنة كلمة سر تتداول في صفوف الحزب والمؤيدين له. هذا الأمر كان من شأنه إرضاء أعضاء الحزب ومنحهم رضى كان يسعون إليه منذ تولي هتلر. ورافق عملية الأريَنة هذه حملات تهجير واسعة لليهود مورست عن طريق العنف، وراحت الأجهزة تلاحق عمليات خروجهم بوسائل قاسية كانت تسير وفق خطط مدروسة ومتبعة بانتظام، أملاً أن ذلك سيسرع من عملية ترحيلهم، الى أن جاء ضم النمسا الى ألمانيا. ثم أضيف الى هذا ضم منطقة (السوديت) الذي خاضته ألمانيا بنصر بالغ مما عزز من مواقع الحزب. عمليات الضم هذه ووجهت بصمت من القوى الغربية في ميونيخ، وهذا الصمت عمل على تليين، بعض الشيء، الاعتبارات السياسية الدولية التي كانت ما زالت حتى ذلك الوقت تمارس دور الكابح لها.

أما في النمسا، فإن الموقف قد تميز بالقسوة تجاه اليهود، كما في كل المناطق الأخرى التي تمت السيطرة عليها من قبل النظام النازي. سياسة القسوة هذه لم تكن قد طبقت حتى تلك الساعة في الرايخ القديم، لأن الفوضى التي غلبت على تصرفات النظام النازي في المناطق المستعمرة خلقت جواً من سياسة الأمر الواقع، كان من شأنها أن امتدت الى كل أراضي الرايخ فيما بعد.

بعد ضم المناطق الجديدة برزت عمليات تصفية ومجازر في فيينا تمركزت في المناطق التي يغلب عليها كثافة سكانية يهودية أيدتها شعارات قديمة معادية للسامية. إن مشهد جماعة من الناس تتعرض للإهانة أمام سخرية الجميع كانت من المشاهد التي أثارت قرفاً يشهد له التاريخ. وظهرت عدة حالات من العنف السادي ملازمة لتلك المشاهد ترجمت بعمليات نهب لمئات من البيوت. ففي ليل 13-14 آذار نزلت الشرطة الى الساحات تشترك في عمليات النهب هذه. وبأمر من هتلر، فإن كل القطع الثمينة أخذت طريقها نحو برلين[74].

في 26 آذار 1938 قام (غورينغ) في فيننا، وقد كان مكلفاً بتنفيذ خطة على مدى 4 سنوات وأيضاً مراقبة الاقتصاد الألماني الحالي. برفع شعار الأريَنة محدداً شروطها وما يجب أن يكون عليه الوضع كي تسير هذه العملية على "أحسن ما يرام وضمن القواعد والنظم المعينة لها". ولكن كل ذلك لم يعط ثماره[75]، ففي الشهور التالية لبدء

عملية الأريَنة، كانت حتى ذلك الوقت تطوعية، أخذت تتبع في النمسا طرقاً عشوائية غلب عليها الطابع الجبري. إن اللجوء الى عمليات الضغط هذه أدت ببعض اليهود الأغنياء الى تصفية بضائعهم وبيعها بأسعار زهيدة ثم الرحيل نهائياً. وذهب التطرف النازي مداه حين عمدت الشرطة في تلك المناطق الى إجبار على الرحيل تحت جنح الظلام والى قيادتهم الى خارج الحدود النمساوية، الى بورغنلند[76]، حاملين معهم بعض المتاع الشخصي. وفي فيننا تم تدشين طرق تهجير جديدة تم اختراعها من قبل (أيشمان)، وهو أحد أخصائي المسألة اليهودية لدى الـــ DS، الحزب الاجتماعي الديموقراطي. قام (أيشمان) بتجميع ممثلي كل الأقسام، الخبراء في مسألة تهجير اليهود، في مبنى واحد. وكان من شأن هذه الأجهزة منح اليهود تصريح خروج بدون عودة وبمصادرة أموالهم. وقاموا أيضاً بمطالبة بعض الدول الغربية بإمدادهم بالمال من أجل تأمين تكاليف التصاريح التي تمنح لليهود، كما أجبر (أيشمان) اليهود الأغنياء على دفع ثمن التصاريح لليهود الفقراء. كما عمد الى بيع اليهود العملة الصعبة، فكان يصادر الأموال التي تأتي من جمعيات يهودية مقيمة في الدول الغربية، فيقوم بتحويلها الى العملة المحلية، ثم يبيعها لليهود بضعف ثمنها. في هذا الوقت كانت تمارس في الرايخ القديم، عملية إعادة تنظيم لكل الأجهزة على أرَيَنة البلاد وذلك منذ خريف ذلك العام حيث ابتدعت سلسلة إجراءات عملت على الحد من نشاط اليهود الاقتصادي بشكل رسمي. وفي نيسان 1938 أجبر اليهود على التصريح عن ممتلكاتهم في جو من عدم الثقة والتشكيك: إجبار اليهود على التصريح عن ممتلكاتهم إما بموجب قرار صادر عن أجهزة رسمية، أوبمنح تسهيل ضريبي لكل من يقوم بالتصريح عن ممتلكاته.

وفي نيسان عاد هتلر الى فكرة الضريبة الخاصة بنسبة فائدة متغيرة سنوياً، والتي لم يكن قد طبقت حتى ذلك التاريخ. كان هذه الأمر من شأنه السماح بتشريع ضرب اليهود في حال تعرضوا لأي ألماني، باعتبارهم حين ذلك" عدواً للشعب"[77] . وهكذا نستطيع الاستنتاج بأن هتلر كان يهدف الى ترحيل سريع ليهود ألمانيا.

ومرة جديدة وضع هذا الملف في الدرج. إن البيروقراطية الوزارية كانت تدرس إمكانية تحقيق ذلك عن طريق الإجبار. في حزيران أصدرت وزارة الخارجية مذكرة،

قدمت فيها للمرة الأولى. مخطط عام للقضية اليهودية. بموجب بنود هذه المذكرة فإنه يتعين على كل يهودي أن يبيع مؤسساته لصالح الدولة، وذلك بوضع الثمن بتصرف الدولة (أي أنه لا يملك حق الانتفاع بعائدات البيع). ولكن اعتراضات على هذه المذكرة تقدم بها كل من وزارة الاقتصاد وأيضاً من (شاخت) بصفته رئيساً لبنك الرايخ، تحت ذريعة أن هذا المذكرة لا تتوافق مع أرَيَنة الاقتصاد، ثم أنها تهدف الى تفقير اليهود مما سيجعلهم عبئاً على الدولة التي ستكون مجبرة على تقديم مساعدات اجتماعية لهم. وقالت وزارة الاقتصاد أنها تفضل أرَيَنة مدروسة يتم تنفيذها تدريجياً وعلى عدة سنوات. في 14 كتوبر من عام 1938 تم اجتماع وزاري برئاسة (غورينغ) تم بنتيجته التأكيد على إصرار هتلر على عزل اليهود عن الحياة الإقتصادية. ولكن لم يتعد الأمر حتى هذه اللحظة سوى عقد الاجتماع دون أن يحدث شيءعملي على الأرض. إن مصير اليهود كما يبدو كان يعاني من مشكلة حقيقة، فمن ناحية، يرفض غورينغ التنازل عن الأرباح التي كانت تحققها له صفقات العملة الصعبة كي يسمح لليهود بالخروج بأموالهم، ومن ناحية أخرى كان يتطلع الى خروجهم. ثم إقترح أن يتم تجميعهم في غيتوهات للعمل مجاناً لمصلحة الدولة أي للمنفعة العامة[78].

في الوقت الذي كان فيه مشروع الأرَيَنة يحقق تقدماً بطيئاً لدى الطبقات الدنيا من الإدارة، إلا أنه أصيب بنفحة من النشاط ظهرت علائمها نهاية الربيع بين صفوف قادة الحزب. وذلك حين قام (غوبلس) مرة جديدة لتزعم الصفوف عامداً الى دفع الأمور الى التطرف مرة جديدة. لقد نوى طرد يهود برلين، هذه المرة، بعد أن رأى الأمور تسير بسرعة مما يوفر له ما أراد. وكي يصل الى ضالته، إتّبع الطرق القانونية، ألا وهي إصطناع مشاغبات بين الشرطة والشعب[79]. ولكن وفجأة لم يتم له ما أراد، إذ أن المشاغبات إنقلبت الى وضع من الفوضى والملاحقات والاضطهاد، مما اضطر (غوبلس) الى إعطاء الشرطة كامل الصلاحيات. وبدلاً من إتباع التعليمات المعطاة لها، أخذت تمارس عمليات مداهمة ونهب نتج عنها اعتقال 1500 يهودي من أصحاب السوابق مهما بلغت تفاهتها. وفي 25 تموز إثر مقابلة مع هتلر، خرج منها (غوبلس) يقول أن الفهرر وافق على خطوته في برلين وأن انتقاد الصحافة الغربية ليس من الأهمية في مكان: فالمهم هو دفع اليهودي الى الخارج، وأن اليهود سيتم

ترحيلهم تدريجياً بموجب خطة قوامها 10 سنوات لأنها في الوقت الراهن "تريد ألمانيا الاحتفاظ باليهود كرهائن لدى الدولة[80]". وهذا ما أظهر تعارضاً جديداً في المواقف الصادرة عن هتلر.

في صيف 1938 كان كل قواد النظام النازي قد اتفقوا على فكرة واحدة وهي أن مرحلة جديدة يجب أن تفتتح في تعاطي السياسة المضادة تجاه اليهود. وأيضاً ولمرة جديدة لم تتعد القرارات مرحلة الأقوال، لأن هتلر وكما يبدو لم يكن مستعجلاً على تنفيذ قرار الترحيل. لقد كان مشغولاً بمشاكل أخرى:

- الأزمة التشيكوسلوفاكية التي كانت تتفاقم،
- بعد انتصار ميونيخ، وجد نفسه أمام عدد أكبر من اليهود،
- ضرورة التخلص منهم بصفتهم فائض سكاني بأسرع وقت ممكن.

قام هتلر بالطلب الى (ريبنتروب) بدرس إمكانية طرد 27 ألف يهودي تشيكوسلوفاكي يقيمون في فيننا. أما اليهود الذي يقيمون في السوديت، فقد عمل الغستابو على طردهم الى تشيكوسلوفاكيا بلا هوادة. لم تستقبل تشيكوسلوفاكيا اليهود المنفيين إليها والذين لم يكن منهم إلا أن هاموا على وجوهم في المناطق الواقعة بين الحدودين. وبعد أن تم تشريد اليهود في كل المناطق قبلت بعض الدول استقبالهم بعد أن أدركت أن ما حصل في برلين لم يكن سوى نموذج لما سيحدث مع يهود بولندا. إن سياسة التهجير القسري التي استعملها الرايخ في النمسا دفعت بالبلدان المجاورة، حيث كانت معاداة السامية تتزايد، الى تأمين حدودها بإقفالها، فقامت بولونيا بتبديل جوازات سفر رعاياها في الخارج، وطلبت من كل المقيمين في الخارج أن يتوجهوا الى سفارات بلادهم للحصول على تأشيرة دخول الى بلادهم، كما اعتبرت كل مقيم في الخارج منذ أكثر من 5 سنوات فاقداً للتبعية البولونية.كل هذه الإجراءات كانت تهدف الى منع اليهود ذوي الجنسية البولندية نحو بولندا. إن السياسة الألمانية ضد اليهود وضعت السلطات البولندية أمام خوف حقيقي من أن تصبح أمام أمر واقع يقضي باستقبال 27 ألف يهودي لا يحملون أوراقاً رسمية من الصعب عليها ترحيلهم. أمام هذا الموقف الجديد، قرر قادة الحزب إتباع طرق عنيفة يكون من نتيجتها التخلص الجذري من اليهود. وقبل نهاية الشهر قام الغستابو

بتوقيف من 15 الى 20 ألف يهودي وشحنهم الى حدود بولندا، مستعملاً ضدهم أنواعاً من الإرهاب والإذلال. فما كان من السلطات البولندية إلا أن رفضت استقبالهم ثم عادت وقبلت ذلك بعد مفاوضات عديدة مع السلطات الألمانية. وهكذا تخلصت ألمانيا من اليهود الغير مرغوب بوجودهم[81].

بعد أيام من ذلك في السابع من تشرين الثاني قام شاب يهودي يدعى (هرشل غرينسبن)، كان قد تم ترحيل عائلته من ألمانيا، بارتكاب جريمة اغتيال ضد دبلوماسي ألماني في باريس، مات بعد يومين من إصابته. وصل الخبر الى المسؤولين النازيين وهم مجتمعين في ميونيخ كعادتهم كل عام، إحتفالاً بإنقلاب 1923. وإثر اجتماع (غوبلس) مع هتلر، ألقى خطاباً فهم منه أن هتلر اتخذ قراراً بمعاقبة الفاعل وبالرد على اليهود بموجة من الإرهاب. وفي الليلة نفسها حصلت مجزرة لم تشهد ألمانيا مثلها، وقع بنتيجتها 100 قتيل ودمرت آلافاً من المنازل ومئات من المحافل التابعة لليهود كما أوقفت الشرطة مئات من العائلات الغنية وأرسلتها على الفور الى المراكز التي يتم تجميع اليهود فيها...

عدم الدقة يسود فحوى المحادثات بين هتلر وغوبلس. فوفق نتائج التحقيق الذي أجرته محكمة النظام النازي، يبدو أنه سمح للمظاهرات أن تكون عفوية. و طلب الى أعضاء الحزب عدم المشاركة فيها أو قيادتها. في خطابه، أفهم (غوبلس) ان دور الحزب يقضي بتنظيم المظاهرات وراء الكواليس[82]. إذا كان هتلر لا يستطيع الا القبول بممارسة التمثيل إلا أنه بدا وكأنه، قد تفاجأ بحجم الدمار. استطاع بسرعة أن يتوقع ردات فعل ذلك عليه. فقد قام الشعب الألماني بإستنكار المجازر، وأدانها الخارج. حتى بعض القادة النازيين الألمان كـــ (غورينغ) و(هملر) انتقدوا.ذلك. في كل الحالات، عمد هتلر الى تغطية فعل (غوبلس) الذي لم يستطع الإستفادة من الأرباح التي كان يأملها. وراحت علاقاته مع الفهرر التي ابتدأت بالتباعد بالتلاشي أكثر في السنوات التالية. حتى هتلر نفسه أخذ العظة مما حصل، فلم يعد يسمح بأية حركات عنف ضد اليهود في ألمانيا. حتى عندما اندلعت الحرب في أيلول 1941 حين فرض على اليهود حمل النجمة الصفراء، أعطى هتلر أوامره المشددة بأن على الشرطة أن تتفادى الوقوع في أي مشكل متوقع الحصول.

وفي صباح "ليلة الكريستال" لم يعد من الممكن تجاهل إيجاد حل "للمشكلة اليهودية". وفي 12 تشرين الثاني عقد اجتماع جديد وزاري برئاسة (غورينغ) الذي أعلن تطبيقاً للأمر الذي أعطاه إياه الفهرر أن المشكلة" يجب أن يقبض عليها بطريقة فردية وحتمية بشكل أو آخر[83]" الخلاصة التي أعطاها لحل الموضوع في الشهور السابقة أظهرت عدم التجانس وعدم تتابع من قبل النظام . "خطط جميلة" وضعت لأرَينة الاقتصاد؛ نفذت ببطء شديد. ثم مظاهرات نظمت في برلين أدت الى مساجلات كثيرة وإنتهت الى اتخاذ قرارات عظيمة. مرة أخرى لم يحصل شيء، الى أن تمت عملية الاغتيال في باريس ثم الحوادث التي تلتها، "والآن يجب فعل شيء ما ؟":

قام (غورينغ) أولاً بإعلان القرارات التي اتخذت من أجل محو آثار ليلة الكريستال، فطلب الى شركات التأمين التعويض عن المسروقات التي صادرتها الشرطة لصالح الدولة الألمانية. كما قال بأن على اليهود إصلاح ما أتلف على نفقتهم الخاصة. وفوق ذلك، فرض على اليهود ضريبة استثنائية قيمتها مليار مارك رايخي. وهكذا استفادت الدولة من كافة الأضرار التي طالت اليهود مستعملة هذا المال في إعادة تسليح ألمانيا. ثم عاد (غورينغ) يعلن بأنه سيعوض اليهود الذين يستبعدون عن الإقتصاد عن طريق سندات يعيشون من ريعها. ولكن بقيت مشكلة لم يبد أن (غورينغ) قد تنبه لها، فلفت (هيدريش) نظره إليها، وهي ضرورة ترحيل رعاع اليهود الذين لا يملكون مالاً يخولهم الخروج من البلاد.

شرح (هيدريش) للبرلمان البرنامج المتبع في النمسا والذي أدى الى هجرة 50 ألف يهودي مقابل 19 ألف من ألمانيا في فترة واحدة. ويبدو أن (غورينغ) لم يكن على علم بنظام (أيشمان) الذي كان يخاف أن يخسر الرايخ العملة الصعبة التي حصل عليها. ولكن (هيدريش) طمأنه بأن الرايخ لن يخسر على اليهود سوى بعض المال الذي سلب منهم، فقبل (غورينغ) عرض (هيدريش) والذي قضى بإنشاء مركزية للتهجير في ألمانيا على نحو ما حصل في فيينا. وفق مفهوم (هيدريش) بأنه وخلال 8 الى 10 سنوات لن يبقى يهودي في ألمانيا.

وافق هتلر على كل المقررات التي اتخذت في اجتماع 12 تشرين الثاني، هذا ما أعلنه (غورينغ) في 5 كانون الأول في إجتماع مع (غوليتيه). وأول ما طالت الأريَنة الشركات، ثم المؤسسات العقارية التي بموجبها فرض على اليهود شراء بضائعهم من المحلات الألمانية. وأخيراً فيما يتعلق بالتهجير، توجب قبل كل شي ء العمل على ترحيل اليهود الفقراء. أما من بقي منهم، فقد رفض هتلر أن يحملوا النجمة الصفراء التي اقترحها (هيدريش)[84] مدعياً أن حملهم للنجمة الصفراء ربما يعرضهم من جديد الى اعتداءات ويجعل من الصعب تموينهم[85].

لم يتخذ هتلر أي قرار بشأن المقترحات الأخرى التي قدمها كل من (غورينغ) و(هيدريش) القائلة بطرد اليهود من الحياة الاجتماعية وبتفريقهم عن الألمان. بعكس كل الظواهر، فإن (غورينغ) يلاحق هتلر خطوة بخطوة، الى أن وافق هتلر في نهاية كانون الأول على إبداء رأي. وكان هتلر قد رفض مبدأ الغيتوهات، وإقترح أن يجمع اليهود في مباني منفردة. وبالتالي فقد منع عربات المطاعم، وعربات النوم في القطارات. لكنه لم يمنع اليهود من استعمال وسائل النقل والأماكن العامة. كما فرض لكل الموظفين اليهود المقالين أن يحصلوا على تعويضاتهم. وأخيراً، سمح للمؤسسات الاجتماعية اليهودية أن تزاول عملها كي لا تقع مسؤولية هؤلاء على عاتق الدولة الألمانية. ومرة أخرى، جاء كلام هتلر كي يفصل في النزاعات القائمة، رافضاً إقتراحات (غوبلس) و (هيدريش) الجذرية، حتى وإن كانت هذه المقررات تؤدي الى حصوله على ما كان دائماً يتمنى[86].

إن ليلة الكريستال قد أعطت دفعاً جديداً سرّع من حيثيات السياسة ضد اليهود. إن أريَنة الاقتصاد الألماني قد تم وضعها، وسيتم تطبيقها ابتداء من الأشهر القادمة. إن الهجرة اليهودية، وللمرة الأولى، تعامل بشكل واضح: سيتم تنظيمها بطريقة مركزية وحاسمة. في 24 كانون الثاني 1939 حصل (هيدريش) على تكليف من (غورينغ) يقضي بإعداد مركزية للهجرة اليهودية شبيهة بتلك التي حصلت في فيننا، والسير فيها بشكل يجعل ألمانيا حرة من وجود أي يهودي على أرضها. وكان هذا انتصاراً لـــ (هيدريش) ان يملك بين يديه الاستقلال بتنفيذ سياسة النظام المعادية لليهود. وفي

السنتين التاليتين، عمل جهده كي يدفع الهجرة الى الأمام، حتى أنه كان يوافق على هجرة غير شرعية كانت الصهيونية تنظمها الى فلسطين.

كان هتلر قد جعل من ترحيل اليهود هدفاً سياسياً مباشراً، وكان قد توصل الى هذا الحل بعد أن وصل أمر الهجرة الى مرحلة من الصعوبة لم تشهدها ألمانيا من قبل، وخاصة بالنسبة لأشخاص كانوا مثل يهود المانيا، لا بد وأن يكلفهم بقاءهم كل مواردهم. وكان هتلر قد صمم على إتباع هذه السياسة الجديدة بدون أي تراجع. وفي بداية عام 1939 وصل الى حد أنه سمح لـــ (شاخت) بالتفاوض مع الدول الغربية بشأن تسهيل هجرة هؤلاء وبأن هتلر سيسمح بتحويل مستحقاتهم الى البلدان التي ترضى باستقبالهم. كانت هذه المفاوضات تتم بواسطة مبعوث عن (غورينغ) وتم التوصل الى اتفاق إلا أن اندلاع الحرب حال تطبيق ذلك[87]. وبينما كان في عام 1933 الى 1937 قد بلغ عدد المهاجرين 130 ألف يهودي منهم 40 ألفا الى فلسطين، بلغ عدد المهاجرين بطرق غير شرعية 118 ألف غادروا في عام 1938 بالرغم من ظروف البلاد الصعبة. الى هذا العدد يضاف مهاجرو النمسا بعد حادثة "أنشلوس". و من شهر أيار 1938 الى أيلول 1939 سمح بالمغادرة أيضاً لـــ100 ألف يهودي آخر[88].

في نفس الوقت الذي كانت ألمانيا "تحرر" اليهود، كان هتلر ما زال يتفاوض مع الدول الغربية بشأنهم. وقد قال لـــ (غوبلس) في تشرين الثاني 1937 أن اليهود سيتركون يوماً أوروبا[89]. وكان في 24 تشرين الثاني 1938 أن كرر ذلك، في مدينة بيراو، وزير اقتصاد ودفاع جنوب أفريقيا: "سيختفي اليهود يوماً من أوروبا". وقال أن القضية برمتها ليست قضية ألمانية. وابتداء من عام 1938 تحولت قضية اليهود الى مشكلة دولية. وكانت هذه وسيلة ضمن وسائل أخرى لتخفيف الوقع أو تدعيم الأحلاف السياسية والدبلوماسية، كما كان بالنسبة إليه وسيلة مقبولة لرحيل اليهود من ألمانيا، الذين لم يعد من ضرورة للاحتفاظ بهم كرهائن. وكان هتلر في تلك الفترة قد شعر بقوة نفوذه بالتخلي عنهم، دون أن يتخلى عن ضرورة إيجاد حل شامل يجعل يهود أوروبا عاجزين عن الرد.

وكان هتلر في 20 أيلول قد صرح لسفير بولونيا (ليبسكي) أنه يريد حل المسألة اليهودية بالاتفاق مع دول كبولونيا، هنغاريا، وربما رومانيا. وأنه يفكر في نقل اليهود الى داخل مستعمرة. وكان رد ليبسكي بما معناه إن كان هتلر يستطيع فعل ذلك فإن بولونيا ستقيم له نصباً تذكارياً في فرصوفيا[90]. هل كان هتلر يسعى آنذاك الى حل شبيه بحل مدغشقر؟ يبدو ذلك إذا سلمنا بما قاله (غورينغ) في اجتماع 12 تشرين الثاني. : هتلر عرض عليه في 9 تشرين الثاني في التوجه الى الدول الأخرى في حل المسألة اليهودية على الصعيد الدولي، وذكر أمامه مدغشقر. ترحيل يهود أوروبا الى منطقة بعيدة كان إذن امراً وارداً منذ ذلك التاريخ وتتم مناقشته بين أعضاء الحزب النازي. وكان (غورينغ) قد اقترح في 12 تشرين الثاني احتمالاً آخر يقضي بأن يشتري اليهود الأغنياء أراضي في أميركا الشمالية أو في كندا يسكنون فيها إخوانهم من العرق الواحد.

إن عرض هتلر للقضية اليهودية على الصعيد الدولي كان ملائماً. رومانيا وهنغاريا أيدتا فكرة هتلر إيجاد أرض محايدة لإقامة اليهود. (روزفلت) نفسه اقترح إنشاء مستقر يهودي في أنغولا[91]. وفي كانون الثاني 1939 أثار هتلر هذه القضية مطولاً مع مسؤولين من أوروبا الشرقية. من المؤكد أن كان يحاول أن يجر بلداناً لحذو حذوه أو على الأقل الانضمام الى حملته الصليبية. وكما سبق وقال في بيراو، أنه سيصدّر عداءه للسامية. وقال وزير الخارجية البولندية (بك) في 5 كانون الثاني أنه يوافق على إسكان اليهود في منطقة بعيدة، مضيفاً أنه بإمكانه شخصياً أن يضع تحت تصرفهم أرضاً إفريقية في حال كانت القوى الأوروبية أكثر تفهماً لأطماعه الاستعمارية[92].

حاول (بك) استعمال نفوذه في المناطق التي كانت تحت تصرفه الانضمام للجهاد ضد اليهود كما تفعل ألمانيا. وفي 21 كانون الثاني، صرح لوزير الخارجية التشيكية (شفالكوفسكي) أن اليهود سيسحقون في الرايخ، وأن تصرفهم في الـــ 9 من تشرين الثاني 1918، سيتم الانتقام لها. كان المقصود القضاء على الشبكة اليهودية في المانية لكن المسألة تحولت الى إبادة اليهود بصفتهم "تابعية" تعيش في ألمانيا، دون أن يفهم منها أنها ستكون تصفية جسدية. وبالطبع، اقترح هتلر للمحاور نفسه أن الدول

المعادية للسامية سترحل بيهوديها الى مكان ما على الكرة الأرضية، محذراً الدول الإنكلوساكسونية التي كانت تتشدق بالمبادئ الإنسانية، مهدداً إياهم، في حال لم يسعوا في ذلك السبيل، أنهم سيكونون مسؤولون عن موت اليهود[93]. هذه الفكرة سنجدها فيما بعد: لم يكن هتلر مستعداً للقيام بأية تضحية من أجل اليهود. من الأفضل تسهيل تسفيرهم خارج أوروبا بدلاً من التفكير بمصيرهم، وتحديداً بكيفية الإهتمام بهم.

إن الخطاب الذي ألقاه هتلر أمام الرايشتاغ في 30 كانون الثاني 1939 يسجل ضمن خطة الحملة التي إعتمدها منذ الخريف السابق[94]. وصرح بأن يهود العالم كلهم أعداء الحزب الوطني الاشتراكي. لم يكن بوسع أية قوة خارجية أن يكون لها تأثيرها على هذه المسألة داخل ألمانيا: فاليهود يجب أن يغادروا البلاد التي استقروا فيها وكأنهم في بلادهم. كل هذا يحدث والمسألة اليهودية ما زالت على حالها لا تجد طريقها الى الحل. وأصبحت المسألة مشكلة أوروبية لن تهدأ أوروبا قبل أن تجد لها حلاً. ثم أضاف قائلاً بأنه ربما يكون هناك مجال للتوافق بين الدول ذات الأفكار المتضاربة. على أية حال فالعالم يملك مساحات هائلة من الممكن استعمارها، وقد آن الأوان لليهود أن يغيروا حياتهم الطفيلية هذه. من المتوجب عليهم أن يعملوا هم أيضاً بأيديهم فعل كل الشعوب الأخرى، وإلا عاجلاً أم آجلاً، فإنهم سيتعرضون لأزمة كبيرة لا يستطيعون تصورها. وتابع مصرحاً أنه كان بالماضي (نبياً) وأن الآخرين سخروا من تنبؤاته. حتى اليهود أنفسهم سخروا منه عندما قال لهم بأنه سيصل يوماً الى السلطة، وأنه سيحل بين أمور كثيرة المشكلة اليهودية. أراد أن يكون مرة أخرى (نبياً) فقال: إذا كان اليهودية العالمية في أوروبا وخارج أوروبا، ستدفع بالعالم مرة أخرى الى حرب عالمية، فإن النتيجة لن تكون بلشفة الأرض والنصر لليهود، إنما تدمير العرق اليهودي في أوروبا.[95]

ليس هناك أي شك حول ما يحمله هذا التهديد من معنى: هتلر يفكر في تصفية اليهود جسدياً. وبالفعل، ها هو يقترح حلاً آخر، يتلخص في تمركزهم في أراضي بعيدة. التهديد بالتصفية كان مشروطاً إما بحصول حرب عالمية، أو كارثة تحل بمشروعه فيكتب له الفشل الذريع. وهذا من شأنه أن يدفع بالأمور الى أن تضر به.

إلا أن اليهود الأوربيين، وهم أكثرية، سيدفعون الثمن، ذلك أنه لن يتركهم ينتقمون ويتنعمون بنصرهم. من الواضح في خطابه هذا، أنه كان يتصدى لسياسة الولايات المتحدة؛ لأنه في نبوءته كان يعني يهود أميركا (خارج أوروبا). ما جرى في عام 1914-1918 كان حياً ما فيه الكفاية في ذهنه، وبالهوس الذي عرف عنه، فإن حرباً عالمية ستقع، وأنها لن تكون بدون مشاركة الولايات المتحدة[96].

إن السياسة التي كان يفكر فيها هتلر بخصوص اليهود وعلى أعتاب 1939 كانت تتكون من عدة عناصر:

- المشكلة اليهودية في طريقها الى الحل في ألمانيا عن طريق الترحيل القسري،

في نفس الوقت، كان يتم نقل المشكلة/ القضية الى الساحة الأوروبية التي كانت تدرس الحلول المناسبة، منها إسكانهم في أرض بعيدة، سواء بطريقة جماعية أو بطريقة فردية تقوم بها ألمانيا النازية من جانب واحد، إذا ما رغبت بذلك.

كما هو واضح فإن فكرة تجميع اليهود في أرض واحدة أصبح حديث الساعة في ذلك الوقت. تم عرض هذه الفكرة بشكل مباشر من قبل (روزنبرغ)، كما أثيرت من خلال "تعميم" صدر عن وزارة الخارجية[97]. كل هذا كان يسبق الانتصارات الكبيرة لألمانيا وفرض السيطرة على كافة الأراضي الأوروبية.

وأخيراً وليس آخراً، العنصر الذي يقول بفرضية فشل المشروع والإعلان عن الإبادة الجماعية ليهود أوروبا.

أعلن هتلر على الملأ الحلول التي توصل إليها. وكما باشر اجتماعاته في كونغرس نورنبرغ عام 1936، ها هو يقدم نفسه كـــ (نبي). وكانت النجاحات التي حققها يوماً بعد يوم قد منحته القناعة بأنه صاحب مهمة تاريخية. في نفس الوقت، كان شبح الهزيمة لا يفارق مخيلته. كان يعرف أن زمن الاختبارات قد ابتدأ. وكان عندما أعلن على الملأ الحل الذي يرتابه والذي احتفظ به لنفسه طويلاً، كان منتشياً، مثير الحماس حوله، محاولة منه إحاطة نفسه بهالة من الدعم. وفي آخر الأمر، وجه تهديداً لأعدائه اليهود: "إن يهود العالم كله هم معنيون بهذا التهديد، الويل لمن يقف في طريق التقدم المنتصر للرايخ. وفي خطاب 1939، وكما في تصريحاته لـــ (غروس)

في خريف 1935، عندما أعلن عن حل معتدل، فإن ذلك قد اعتبر تصريحاً بالانتقام في حال أي فشل لهتلر أو لألمانيا.

وفي ست سنوات، كان النظام النازي قد قطع طريقاً طويلاً في سياسته العدائية لليهود، وإن كان قد فعل ذلك بطريقة "كالهائم على وجهه"، بعض الشيء. وكما رأينا سابقاً، فإن هتلر كان يسيطر تماماً على الموقف، و لم يكن ينقصه لا أهداف ولا قدرة على القرار، ولكن تصرفه كان دائماً يبدو مختلفاً، عندما كان يتعلق الأمر باليهود، أو بالسياسة الخارجية. هنا نجد حضوراً أقوى وإدارة متابعة في خدمة الأهداف الواضحة المعالم. كما نجد، اهتماما خاصاً وتوجيهاً عاماً واضحاً، ولكن مع إدارة متأرجحة بعض الشيء، والتي كان من شأنها تشجيع المبادرات الفردية لضباطه، مما أثمر عن تطورات بضربات كان الشارع يلعب دور الدافع لها.

هتلر كان حتماً يحسب حساباً لمعوقات موضوعية، خارجية وداخلية، لسياسته المعادية لليهود، ولكن لم يكن ليهمه ذلك على الصعيد الوطني. لقد كانت له أولويات تتلخص بإعادة بناء النفوذ الوطني، وايضاً كانت له تنازعاته الخاصة به والتي سمحت لضباطه في أن يلعبوا دوراً هاماً. وبعد أن سيطر على السلطة، فإن الصراع ضد اليهود بقي شاغل الحزب الأكبر الذي كان يدرب قواته على الحقد وعلى مآذارات معادية لليهود، شحذ همتهم الحزبية كي لا تخمد وذلك بإعطائهم مقومات البقاء وبإشباع شهيتهم للتنفيذ. بطريقة ما إذن، دفع الحزب هتلر الى الأمام، الى الريادة، الى المكان الذي كان يريد الوصول إليه، ولكن حتماً بخطى أكثر بطئاً. لأنه إذا كان هتلر يحلم بألمانيا بدون يهود، فإنه وفي نفس الوقت كان يريد اليهود بعض الزمن كرهائن في ألمانيا. وفي نهاية الأمر، لقد عقد العزم على التهجير القسري، مدعوماً بقوة نفوذه، وهو لا يحتاج لكفيل في ألمانيا. إن ما قام به هتلر من بحث لحل دولي للمسألة أمر لا يخلو من مغزى، مع العلم أنه كان قد سبق وأعلن عن نيته في حل ودي. إن اليهود يستطيعون الخروج من ألمانيا، ولكنه لن يتخلى عن نضاله ضدهم.

الفصل الثالث

البحث عن حل جغرافي (1939-1941)

كل شيء يدور كما أراد له هتلر حتى الآن. لقد استطاع تدعيم جبروته وإعادة تسليح ألمانيا وتخليصها من معظم المعوقات التي فرضتها عليها معاهدة فرساي. إنما في 1939 وجد نفسه فجأة أمام معطيات معاكسة تماماً لما كان ينتظر . فعندما هاجم بولونيا في الأول من أيلول، كان حليفاً للاتحاد السوفياتي، وفي حرب مع فرنسا وبريطانيا العظمى. لم تكن بريطانيا موافقة على طريقته التي اقترحها لها في اقتسام العالم، لذا وضعت نفسها، بكل ما تمثله من ثقل، في موقف مواجهة معه. وبالرغم من أن فكرته حول حروب صغيرة متلاحقة في أماكن متعددة لم تفلح، كان عزاء هتلر بأنه لن يضطر للمحاربة على جبهتين في وقت معاً، وذلك بفضل وقوف الاتحاد السوفياتي على الحياد، نظير تقاسم جديد لبولندا وتخلي هتلر عن ولايات البلطيق لصالحها.

إن اجتياحه لبولندا خلال أسابيع فقط منح هتلر الأمان من أي خطر يتهدده على الجبهة الشرقية لبلاده، كما سمح له أن يتفرغ للتحضير للحرب على الجهة الغربية. إن العمليات الحربية الخاطفة في الربيع الذي تلى ذلك، ثم احتلال النرويج إثر الهزيمة الكبرى التي منحت بها فرنسا، جعلت منه سيد القارة بلا منازع. ولكن وكما اعترف بنفسه في أن هذا الانتصار ليس كاملاً مادامت إنكلترا قد قررت أن تسير بالحرب الى ما لا نهاية، وأن الولايات المتحدة، بالرغم من كونها تلعب دوراً إنعزالياً، ما زالت تمد إنكلترا بالأسلحة، وأن الإتحاد السوفياتي يبقى خصماً قوياً.

في خريف عام 1939 أخذت الانتصارات تتلاحق، ولكن هتلر لم يكن بحاجة لها كي يباشر تطبيق عقيدته العنصرية. ولم يأت شهر حزيران من العام 1941 إلا لكي يتوج سياسته العنصرية التي كان قد بدأها منذ صيف العام 1939، التي لم يذهب ضحيتها اليهود وحدهم وإنما طالت الإجراءات التعسفية ألمان وبولنديون. فكل الألمان الذين ولدوا مشوهين أو أصيبوا بمرض معد أو لا شفاء منه، راحوا ضحية أول

موجة من التصفيات. لطالما أعلن هتلر عن رأيه في هؤلاء المتخلفين، الذين بتخلفهم سيؤثرون سلباً في نقاء ذرية المجتمع الألماني وفي صفاء العرقوهم عالة على المجتمع وأنه من الإجرام محاولة المحافظة على حياتهم. هذا الإشكال، كان من الصعب حله في السنوات الأولى لحكمه، مع أن النية لفعل ذلك كانت دائماً في ذهنه.

في بداية 1938 تم تنفيذ الخطوات الأولى من مشروع هتلر إلا أنه لم يشهد حركة دؤوبة إلا عندما اندلعت الحرب العالمية. وقد ابتدأت هذه الخطوات عندما تقدم زوجان بالطلب الى هتلر السماح لهم بقتل طفلهم المصاب بمرض عضال، فسمح لهما بذلك. وهذا ما أعطاه نقطة الانطلاق في مشروعه ذاك حيث أصدر أمراً رسمياً بالتخلص من كل معاق أو ذي عاهة، أخلاقية كانت أو جسدية. في 18 آب 1939 صدر "تعميم" من وزارة الداخلية يجبر بموجبه كل طبيب وكل داية من العاملين على أراضي الرايخ، التصريح عن كل مولود معاق. تم تجميع هؤلاء الأطفال في عنابر خاصة حيث تم التخلص منهم بواسطة حقن خاصة، وبعضهم ترك يموت جوعاً.

في بداية الخريف من عام 1939 قرر هتلر التخلص أيضاً من ذوي الأمراض العقلية، فأصدر أمره بذلك شفوياً، ثم تمت ترجمة ذلك في شهر تشرين الأول بواسطة رسالة مهرت بتاريخ مسبق وهو الأول من أيلول 1939. إن إدارة هذه الحملة، والتي سميت حينذاك "أوتانازي"، لم تسلم لـــ (هملر) وإنما أوكلها هتلر لأحد أفراد طاقمه الإداري "ديوان الفهرر"، الذين كانوا مخولين أصلاً استلام الطلبات. بهذه الطريقة وصل الى علم هتلر نية الزوجين المذكورين التخلص من طفلهما. وكان من عادته توزيع المهام بين أعضاء حاشيته.

ديوان الفهرر هذا وضع بسرية تامة، تنظيماً كان من شأنه فيما بعد تنفيذ عمليات الإبادة ضد اليهود، بعد أن نظمت لائحة ضمت أسماء الضحايا من المصابين: شيزوفيرينيا، صرع، شلل دائم، اجرام مهووس؛ يسلم من هذه اللائحة كل من حمل ملفه "صالح للعمل"، ثم استثني منها المجرمون واليهود وذلك بدءاً من صيف 1940. في هذا الوقت كان أعضاء الحزب قد أخذوا يجدون في عملية طرد اليهود عن كامل أراضي الرايخ بمن فيهم من حالته لا تسمح بالسفر. وقد أنشأت شركة خاصة

تلخصت مهامها في نقل الأشخاص الذي وردت أسماءهم في اللائحة، من المستشفيات الى ست مؤسسات للتصفية تواجدت في مختلف أنحاء الرايخ.

كالعادة، بقيت مهمة التخلص من هؤلاء معلقة. فبعد تردد طال أم قصر، وضعت قيد التنفيذ عملية موحدة للتنفيذ تقضي بتعري الضحايا ثم إصطحابهم الى حمام جماعي، وهمي حيث فتحت أنابيب غاز "مونوكسيد دو كربون". وبعد ذلك عمدوا الى إحراق الجثث في أفران لحرق الأموات، بعد أن كانت تنتزع أسنان الذهب منها. تلي هذه العملية إعلان موت هؤلاء الى أهاليهم دون أن يعلن عن كيفية موتهم، كما كانوا يبالغون في التعتيم بحيث أنهم كانوا يتحاشون إعلان أكثر من حالة وفاة واحدة في منطقة واحدة. في أقل من سنتين، بلغ عدد الضحايا التي تسببت فيها هذه الشركة 70 ألف ضحية. موظفو هذه الشركة كانوا قد تعهدوا بعدم إفشاء السر الذي لم يدم طويلاً مستوراً، وتصاعدت موجة من التنديدات التي شاركت فيها الكنيسة. توقفت العملية إثر ذلك، بأمر من هتلر، في آب 1941 [98] .

وبعد اندلاع الحرب بقليل، في نفس الوقت الذي أعلن فيه تخليص المجتمع الألماني من مخلوقات دنيا، باشر هتلر تطبيق "ما يتعلق بالشق الخارجي من مشروعه في بولونيا. وقبل إعلان الحرب بعدة أشهر، أعلن هتلر عن الأهداف التي ينوي الوصول إليها:

- ضم وألمنة قسم من بولندا،
- تحطيم الأمة البولندية.

وبذلك يبين لنا هتلر مدى وفائه لمشروع 1920. لا يمكن جعل الأراضي ألمانية إلا بطرد سكانها وإستبدالهم بآخرين من التابعية الألمانية. في تشرين الثاني 1937 أثناء حديثه عن نيته في غزو الأراضي البولندية والتشيكوسلوفاكية، كان هتلر قد تحدث عن طرد حوالي 3 ملايين من سكان هذه المناطق[99]. لم يكن ينوي إخفاء بولونيا كدولة وإنما كشعب وأمة. والهدف من ذلك كله قتل القوى الحية الفاعلة فيها بالوسائل الأكثر قسوة بغية تحويل شعب بولونيا الى عمال جهلة، بالكاد يقرأون أو يكتبون، بحيث يقدمون الى الرايخ اليد العاملة التي يحتاج إليها. وبذلك يحرمهم هتلر، حسب رأيه، من حس وطني لا يحق إلا للنخبة. ساهم في ذلك إلغاء نظام التعليم

الثانوي والجامعي في بولونيا في توفير هتلر ما أراده من تهميش للشعب. بشكل أو بآخر، فإن هتلر قد وصل الى ما كان يرمي إليه وذلك عن طريق سحقه للفئة المثقفة في البلاد التي كان من الممكن لها، سواء عن طريق وضعها الإجتماعي، أو ذكائها أن تبقي الفكرة الوطنية حية[100].

أوكلت تلك المهمة لـــ هملر الذي أنشأ المكتب المركزي للرايخ الـــ RSHA وجمع تحت قيادة (هيدريش) شرطة الأمن، عضلة الحياة النابضة للدولة والتي يمثل الغستابو أحد فروعها، والـــ SD، عضلة الحزب النابضة. وكان (هيدريش) قد أنشأ الـــ Einsatzgruppen وهي مجموعات تدخل "قوى ضاربة"، كما سبق وأن فعل في النمسا، وفي بلاد السوديت وفي سائر تشيكوسلوفاكيا. سائراً على خطوات الـــ wahrmacht . إنحصرت مهمة الـــ Einsatzgruppen بـــ:

- البحث عن شخصيات معادية للرايخ،
- مصادرة أرشيف البلاد،
- محاربة أعداء العقيدة النازية.

ولكن ما فعلته هذه المجموعات في بولونيا فاق كل ما فعلته في الماضي. فبموجب لائحة كان قد تم إعدادها مسبقاً، قام رجال (هيدريش) بالقبض على آلاف من الأشخاص ينتمون الى النخبة البولندية وقتلوهم رمياً بالرصاص. هذه العملية تسببت بأزمة و انتقادات بين هذه القوات وبين صفوف الجيش مما أدى الى إيقاف العملية برمتها[101].

إن عملية تصفية النخبة البولندية وذوي الأمراض العقلية لم تطل اليهود الذين كانوا، على أية حال، في وضع لا يحسدون عليه. فعلى هامش العمليات الألمانية في بولونيا كان اليهود يتعرضون لمضايقات وعنف يومي. ويقدر أنه بين 16 ألف بولندي تم إعدامهم في مدة ستة أسابيع، من بينهم 5 آلاف[102] من اليهود. ولم يعد هناك شك من أن برنامج التصفية لم يعد وارداً بعد أن أضيف الى سيطرة الحزب النازي 2 مليون يهودي إضافي. وأصبح كل احتلال جديد يؤدي الى تعقيد "القضية اليهودية" أكثر فأكثر. من ناحية أخرى، فإن السيطرة على نصف بولونيا كان من شأنه أن يقدم وسيلة لحلها، ولو مؤقتاً، محققاً بذلك الهدف الذي حدده (روزنبرغ)

في بداية العام، والذي يناسب تطلعات هتلر بخلق مجمّع يهودي. في هذا الاتجاه أخذت تسير السياسة الألمانية بجدية بالغة مع أن نتائجها بدت هزيلة بالنسبة الى الجهود التي كانت تبذل.

في 14 أيلول 1939 أبلغ (هيدريش) رؤساءه أن (هملر) سيقدم للفهرر مقترحات تتعلق بملاحقة اليهود في العالم. وبعد أسبوع وفي نفس المكان، كان عدد الحضور من مسؤولي مجموعات التدخل قد زاد، ترددت أصداء عن تصور هتلر لمستقبل بولونيا : ضم بولونيا الغربية "خلق أراضي ذات لغة غربية" على أن تكون كراكوفيا عاصمة لها، وتضم كل من شعوب بولونيا ، اليهود والغجر Tziganes من كافة أراضي الرايخ. أما فيما يتعلق باليهود، فقال (هيدريش) بأن المقترحات التي قدمها (هملر) ووافق عليها هتلر تقضي بإسكان كل يهود الرايخ في أقاصي بولونيا وإبعادهم عن الحدود الجديدة وأن هذه العملية ستتم بمدة أقصاها عام واحد[103].

الخطوة التالية التي عمد إليها (هيدريش) تطبيقه لإجراءات سريعة قضت بتجميع كل البولنديين في المدن بحيث تسهل مراقبتهم ثم ترحيلهم فيما بعد، في عربات بضائع كما أعلن. وفي اليوم نفسه كتب لجميع رؤساء وحدات التدخل يخبرهم عن الإجراءات العامة الواجب اتخاذها وبأن "الهدف النهائي" بشأن ترحيل البولونيين أصبح وشيكاً، كما أكد على أن تبقى قيد الكتمان[104].

وطاب للعديد من المؤرخين على أن يروا في هذه الإجراءات تلميحاً لمخطط الإبادة[105]. في الحقيقة أن الغاية كانت في تجميع اليهود في مجمع واحد. وكما حدده "التعميم" فلا فائدة من تجميع اليهود في المنطقة الواقعة بين كراكوفيا وبين شمال الحدود التشكوسلافاكية الفاصلة بينها وبين الحدود الألمانية – السوفياتية. هذا التحديد لم يكن له معنى إلا في حال أن هذه المنطقة أصبحت هي مركز التجميع اليهودي. وبعد أن تم التحديد النهائي للحدود السوفياتية، فإن المنطقة الواقعة الى الشمال حول لوبلن هي التي بموجب خطة (هيدريش) التي أعلن عنها في 29 أيلول ستكون "غيتو الرايخ[106]". أما عن السر الذي أراد (هيدريش) كتمانه فهو ربما لأسباب دبلوماسية وأمنية معاً بحيث لا تتسبب هذه الإجراءات في إعتراضات مبكرة من يهود الخارج، من شأنها أن توقف تقدم هذه العمليات[107].

في 29 أيلول 1939 عرض هتلر نواياه هذه أمام روزنبرغ وقال بأن القسم الغربي من بولونيا الواقع تحت السيطرة الألمانية سيتم إلحاقه بالرايخ وجعله ألمانياً. أي أن 8 مليون من البشر سيتم طردهم من البلاد، ليحل مكانهم الألمان الذين يعيشون في المناطق الواقعة تحت السيطرة السوفياتية. أما عن المنطقة الوسط في بولونيا الألمانية فإنها ستستقبل في الوقت الحالي البولونيين الذين تنطبق عليهم مواصفات ألمانية. وأخيراً فيما يتعلق بالمنطقة الشرقية الواقعة بين فيستول و بوغ، فإنها ستستقبل كافة اليهود بمن فيهم يهود الرايخ، وكل العناصر الباقية الأخرى[108]من الغجر وممن هم "خارج المجتمع".

هذا التجمع من الجنسيات ليس حتماً ما سعى إليه هتلر كحل نهائي، فهو ما يزال على مخططه في غزو الأراضي الواقعة نحو الشرق. غزو من شأنه أن يؤدي الى ألمنة كل الأراضي التي تم توزيعها مؤقتاً على البولنديين واليهود والعناصر الأخرى التي كان مقدراً لها مغادرة أوروبا في يوم من الأيام. وبهذا الخصوص، فقد تحدث هتلر في 6 تشرين الأول من عام 1939 عن "محاولة ترتيب وحل للمسألة اليهودية[109]" وبما أن الهجرة أصبحت صعبة بفعل الحرب، فإن تجميع اليهود على حدود أراضي الرايخ، تعتبر في رأيه مسألة مقبولة نوعاً ما.

هذا القرار يبدو لي منطقياً نتيجة الوضع الذي وجد نفسه فيه، إثر اندلاع الحرب الأوروبية التي أثارت في داخله، ما كانت أحاديث ترشح به منذ العشرينات. ومع أنه كان واثقاً من النصر في الغرب أكثر من ضباطه، إلا أنه كان يعلم تماماً أن المسألة لم تنته بعد. وفجأة أحيا الوضع الجديد له ذكرى الحرب الكبرى وآماله القديمة التي أعلن عنها في سنوات العشرين: لن يكون هناك أبداً 18 أيلول 1918 جديد في حياة ألمانيا. هذا ما سبق وأشار إليه في أول خطاب له، مكرراً إياه في كل خطاباته، في الحلقات العامة والخاصة على حد سواء[110].

لا ثورة ولا استسلام. ولكي يحمي نفسه أعلن أنه لن يتساهل في شأن كل من تسول له نفسه الإستفادة من الحرب، من المفخخين، من الانهزاميين "لأن كل جندي باسل على الجبهة يجب أن يعرف أن حياته أغلى علينا من حياة خونة الوطن". ولأول مرة يعلن هتلر أنه سيحاسب كل مستفيد من الحرب في الوقت الذي يهدر

فيه الآخرون دماءهم[111]. فتجميع اليهود في منطقة واحدة، معروفة الحدود، بدا لهتلر وكأنه أمر فيه خير الجميع، على الأقل ضروري لأمن الجميع. وبالتوافق مع عقيدته التي أنماها خلال الحرب الكبرى، بدا له أن وجود اليهود في مؤخرة البلاد يشكل خطراً على الجيش، في حال نشوب فوضى داخلية. خطر على نفسية الشعب في حال استطال هذا الصراع. وفي أيار 1940 كما يذكر (غوبلس) في أوراقه أن هتلر انتابه الغضب عندما علم أن اليهود يعملون وسط العمال الألمان. "لا يصلح أن يعمل اليهود إلا في مؤسسات منفصلة عن الألمان، وإلا فإنهم سيسممون النفسية الألمانية".

إن وضع اليهود في مؤسسات على محيط الرايخ لا تفيدنا شيئاً عن نوايا هتلر المستقبلية. ويمكننا التصور أن وضعهم بعيداً على عتبات الرايخ، إن أردنا أن نعطيه صفة شيطانية، ما هو إلا تدبير من أجل التخلص منهم بطريقة سهلة. على أية حال، أليس في هذه المناطق تمت معظم عمليات الإبادة بعد عامين لاحقين؟ ولا يمكننا الوصول الى هذا الاستنتاج إلا إذا عبرنا بخطوات سريعة فوق عناصر جدية لم يتم لنا التوصل إليها، والتي تذهب بنا الى اتجاه معاكس تماماً. لأن هتلر، وهذه نقطة غير معروفة للجميع، كان قلقاً بشأن كيفية التخلص من اليهود ولم يكن يريد بقاءهم على عاتقه.

في 17 تشرين الأول 1939 ، أي في خلال المرحلة التي كان يتصور فيها هتلر "ما يسمى بالدولة البولونية"، أعلن قائد الأعلى لقوات الـــ (ويهماخت) OKW في كيتل، أن المنطقة الغير ملحقة بألمانيا ستصبح مستقلة وأن على المسؤولين عن هذه المنطقة أن يتركوا للرايخ حرية التخلص من اليهود ومن البولونيين الغير مرغوب فيهم[112]. وكان قد أعلن، قبل ذلك بثلاثة أسابيع في مدينة داهلوروس، السويدية القريبة، بأنه سيعاد تنظيم الدولة البولندية حيث سيعطى لليهود الحق باللجوء[113]. إن الدولة البولندية القادمة ستكون دولة رديف لألمانيا على أن تستقطب كل يهود الرايخ. فما كان من هتلر إلا أن منع أي تدخل في شؤون الدولة البولونية. من الواضح أن شغله الشاغل كان يتلخص في عدم تحمل مسؤولية تجميع الآلاف من اليهود في أرض ملاصقة وفقيرة. وكان قد سبق وأن أعلن أنه لا يريد تحمل نفقات

أي يهودي. كان متجانساً مع نفسه بمحاولته التخلص من عبء أصبح أثقل من السابق خاصة بعد أن أفقرهم بأعداد كبيرة.

بالرغم من كل هذا، فإن التسويق لهجرة اليهود كان ما يزال ناشطاً بين رجال (هيدريش) الذين كانوا يحاولون بكافة الوسائل إزالة العقبات التي تسببت فيها الحرب. ما يلفت النظر أكثر من ذلك هو سياسة الطرد التي كانت تمارس على طول الخط الحدودي المانيا ــ الاتحاد السوفياتي، والتي ادعى (هيدريش) في خطابه المؤرخ له في 21 أيلول من العام 1939 أن هتلر على علم بذلك. وكان الجيش قد تقدم كثيراً في سياسة الطرد هذه حيث أنه كان يعمد الى إبعاد يهود سيلازيا الشرقية نحو الاتحاد السوفياتي، وذلك منذ 12 أيلول. وفي 18 أيلول قام الجيش بمنع اليهود الذين هربوا الى الشرق من العودة الى أراضي الرايخ[114]. وفي الأشهر اللاحقة ، تسلمت الوحدات الخاصة عمليات الطرد وراحوا يبعدون اليهود بأعداد كبيرة الى خارج الأراضي. من الصعب تقدير هذه النتائج، ولكن على الأقل عدة عشرات من الآلاف تم طردهم نحو الشرق، عراة، حفاة، يتعرضون لخطر الغرق في محاولتهم عبور النهر الفاصل بين البلدين، معرضين أنفسهم أحياناً لبنادق الألمان ، وأخرى للطرد من قبل السوفيات المترصدين بهم. و لم يكن من الإتحاد السوفيات الذي كان قد ترك حدوده مفتوحة عدة أشهر أن إستجار أمام الأعداد الهائلة التي كانت تفد إليه. وفي كانون الأول 1939 أصدر (هانس فرانك) الذي كان هتلر قد عينه على رأس الحكم العام في القسم الحر من بولونيا المحتلة، أمراً يقضي بالتوقف عن عمليات النفي هذه لأنها تضر بالعلاقات بين البلدين[115].

نستخلص مما مر معنا أن هتلر كان قد قرر تجميع اليهود في أماكن خاصة تتمركز على عتبات أمبراطوريته. ولكن صدور القرار لم يغر من طبيعة عمل الجنود وكأن القرار لا قيمة له، أو أن كلام الفهرر قد تسرب في الرمال. وفي بداية تشرين الأول 1939 تسلم (أيشمان) توجيهاً بترحيل بعض اليهود ممن كان يعيشون في محمية بوهيميا- مورافيا وآخرين من سيلازيا الكبرى الى مقر الحكم العام؛ وكأن هتلر كان يريد إجراء تجربة أخيرة قبل أن ينقل الجميع الى المقر النهائي. متحمساً كعادته، قام (أيشمان) بوضع برنامج طموح يهدف الى ، بمبادرة شخصية منه، الى إجلاء اليهود

المقيمين في فيننا. وهكذا تمت عملية نقل آلاف من اليهود، المتطوعين في البداية، الى نيسكو على نهر السان في مقاطعة لوبلين. أما غاية (أيشمان) فكانت تهدف الى إقامة مخيم إستقبال وعبور، من والى الخارج. وما أن إبتدأت هذه العملية حتى وصل أمر من برلين يأمر بإيقافها على الفور، فما كان منه إلا أن أهمل.العملية التي كان قد بدأها، مما كان من نتيجته بقاء قسم من اليهود في العراء متروكين يهيمون على وجوههم، أما من بقي منهم فقد أمضوا الشتاء في مكانهم الى أن وصل إليهم أمر بالعودة الى النقطة التي إنطلقوا منها.

على أية حال، إن عملية نيسكو، كان لا بد لها وأن تواجه بمصاعب جمة، كون هذه العملية لم تكن مدروسة بل كانت إنفعالية، أدت الى تعريض مصالح دولة وليدة للخطر. لا شك أن (فرانك) عندما علم بالأمر أبدى بعض الاعتراضات، مدعياً أن الجيش بحاجة الى سكك حديد. لكن وصول طلائع الحملات الألمانية، القادمة من مناطق النفوذ الروسي، الى الأراضي الجديدة، (أرض الحكم العام) قد وضعته أمام وضع طارئ لم يستطع حياله إلا أن يرّحل ما يقابلهم بنفس العدد من غير الألمان. وعلى الفور، استدعي (أيشمان) الى برلين الى RSHA حيث عوّض عليه بتسليمه في ديسمبر 1939 إدارة شعبة IV D4 في الغستابو، كي توكل إليه مهمة تخطيط كل الإجلاءات[116].

وفي الأشهر التالية قامت قوى البوليس بتركيز جهودها على المناطق الملحقة، فأنشأت مقاطعات جديدة كـــ "الوارهيلند وبالاتحاد السوفياتي الغربية". وفي 30 تشرين الأول 1939 شرح هملر في اجتماع ضم كبار القادة أنه يريد الانتهاء من عملية إخلاء اليهود قبل نهاية شباط 1940 البالغ عددهم 500 ألف شخص يقابلهم نفس العدد من البولونيين، وبذلك يصبح مجموع الإجلاءات مليون شخص. وكان هملر يردد دائماً أن أفضلية الترحيل تعطى لليهود، لكن وجهة هؤلاء قد تغيرت و لم يعودوا الى لبلين بل الى مناطق الحكم العام. وتتابعت أعمال الترحيل بانتظام دوري إلا أن عمليات الترحيل القسري لم تتوقف طيلة عام 1939. وكان عشرات الآلاف من اليهود والبولونيين قد تم تكديسهم في عربات قطار شحن بلا زاد ولا تدفئة لأيام، حاملين بأيديهم حقائب هزيلة، مما أدى الى موت أكثرهم من البرد.

تحمس قوى الشرطة لم يرتو لأن هملر كان يطمح الى ما أعظم من ذلك، مما حثه على مراجعة برنامجه عدة مرات متتالية في الشهور اللاحقة، قبل أن يتم التخلي عنه بسبب الى قلة وسائل النقل، والى اعتراضات الجيش وأيضاً (غورينغ)، ثم طغى على ذلك في نهاية الأمر اعتراضات (فرانك) نفسه. وفي 12 شباط 1940 عقد (غورينغ) اجتماعاً على مستوى من الأهمية كي يعلن إيقاف العملية بشكل نهائي. وكما هو معروف عنه انشغاله بالشأن الاقتصادي أكثر منه بالتطهير العرقي، فقد قدّر (غورينغ) أن عمليات الإخلاء لا يجب أن تؤثر على الاقتصاد الألماني ولا أن تشكل خطراً على اليد العاملة خاصة الزراعية في المناطق الملحقة. ومن المؤكد أنه كان من المحتم أن أراضي الحكم العام ستستقبل في النهاية كل يهود الرايخ، ولكن هذا الأمر كان سيتم بطرق منظمة بعد أن يتم التشاور بشأنها. ولم يكن ذلك سوى كلام قصد به تهدئة (فرانك) الذي كان يقارن بين الأعداد الهائلة التي يتم ترحيلها وبين العتاد اللازم لإحتياجات القادمين الجدد.

إزاء هذا الموقف وجد هملر نفسه أمام وضع سيء، وما كان منه إلا أن أخذ بالاعتراض على عدم ترحيل 300 ألف شخص بعد. أما عن ترحيل هؤلاء فهو يعود لصعوبات سببتها الإجلاءات بالتزامن مع توقيت الحرب، مما أدى الى التخلي عن استقدام عدة مئات من الألمان المقيمين في لتوانيا وبوكافيا وبيصارابيا. بالمقابل، كانت الإجلاءات ضرورية من أجل استقدام 70 ألف ألماني من بلدان البلطيق 130 الف من فولهينيا، مؤكداً على أن هذه الإجلاءات ستتم بالتوافق مع (فرانك).[117].

الأمور لم تحسم سوى في الظاهر، ففي الأسابيع التالية عمدت قوات الـ SS، وباستقلالية تامة عن سائر الفصائل، الى ترحيل بشكل منتظم ومتتابع عدة دفعات الى أراضي الحكم العام، فيمن بينها لأول مرة في شباط 1940 ألف يهودي قادمين من أراضي الرايخ القديم. هذا الترحيل الجديد لليهود أثار موجة من الإستنكار والإحتجاجات في الخارج. وعلى الأثر، طالب (فرانك) تدخل (غورينغ) بمنع ذلك، فما كان منه إلا أن أصدر أمراً في 9 آذار بعدم ترحيل أي يهودي ما لم يصدر أمراً (فرانك) بذلك. وبعد مناقشات عدة أعلن هملر بأنه سيوقف الترحيل حتى آب 1940.

بعد ستة أشهر من الجهود لاحظ هملر أنه لا بد له وأن يتنازل عن بعض طموحاته. فأخذت عمليات الطرد من الأراضي الملحقة تتباطئ بعد أن تم طرد اليهود. أما فيما يتعلق بيهود الرايخ القديم ، إن كان فعلاً (غورينغ) قد عقد النية على ذلك، كما أعلنها في الثاني عشر من شباط، فإن أية إجراءات لم تتخذ بهذا الشأن، فكما ورد في الوقائع أنه تذرع بوجود أفضلية لإسكان الألمان القادمين من الخارج. وكانت هذه الذريعة الوحيدة التي قدمها هملر لـــ (فرانك) بهدف أخذ موافقته على استقدامهم بدلاً من أن يموتوا من الجليد ومن قلة المؤن.

في هذا الوقت كانت فكرة تجميع اليهود في مكان خاص قد أخذت بالتراجع. ,والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا، ألم تكن فكرة مشروع خلق مجمع لليهود فكرة شبح، لا أساس لها من الصحة؟ بغض النظر عن المصاعب التي رافقت هذه العملية والتي سبق وأن أشرنا إليها، فإن عدم الدقة بهذا الخصوص يبدو أن كل ما مر يشير الى بلوغ هذا الهدف. وأيضاً RASHA لم يكن عملها واضحاً قبل كانون الأول 1939 ، وأيضاً عندما استدعيت الشعبة المعادية لليهود للإدلاء بوجهة نظرها حول المسألة، برئاسة (هيدريش) ، أصدرت مذكرة تحت عنوان "الحل النهائي للمشكلة اليهودية في ألمانيا" ، وكانت المرة الأولى التي تستعمل فيها هذه الصيغة مما يشهد على ذلك التغير الذي طرأ على هذه المسألة منذ 1941. وفيها يتساءل محرر الوثيقة عما سيحل باليهود: فهل تتحمل نفقاتهم الدولة البولندية أم أنه سيعيشون على عاتق ألمانيا في أراض محايدة تحمل التبعية الألمانية؟ فإن كان الأمر كذلك، يتابع محرر الوثيقة التساؤل عما إذا كانوا سيعيشون تحت إدارة ذاتية بمراقبة ألمانية؟ وفي هذه الحالة الأخيرة فإن هجرتهم لا بد لها وأن تستمر. من وجهة نظر السياسة الخارجية فإن "فكرة تجميع اليهود من شأنها أن تشكل وسيلة جيدة في الضغط على القوى الغربية"، من أجل عقد معاهدات سلام فيما بعد؛ وحينها نكون قد وصلنا الى الحل النهائي وهو "قضية الحل العالمي، أي مجمع يهودي عالمي[118].

يبدو أن هذه القضية لم تكن قد تبلورت بما فيه الكفاية في الأسابيع التي تلت ذلك الاجتماع. وفي 12 شباط، خلال اجتماع عام قال هملر بأن منطقة لوبلين يجب أن تتحول الى مجمع يهودي. ولكن بدا من حديثه أيضاً وكأن الأمر ما زال بعيد

التحقيق. ومن أجل تحقيق هذا المشروع، أي مجمع يهودي، أعلن بأنه "سيأخذ كافة الإحتياطات اللازمة" لنقل 30 ألف ألماني يعيشون على أطراف لوبلين الى الرايخ. ولكن الفكرة بقيت تتأرجح دون أن تستقر على قرار وذلك لأن (فرانك) ما أن علم بالأمر حتى أبدى إستياءه[119] ؛ وليس هناك أي شيء يشير الى أنه قد تسلم من هتلر أمراً بتنفيذ الفكرة. وفي نيسان 1940 قام المكلف بالشؤون اليهودية في إدارة (فرانك) بالطلب "في تعميم" تحقيقاً حول المناطق التي يمكن لها أن تكون "منطقة تجمع يهودي[120]".

أما مصدر هذا التراخي فهتلر نفسه، لأنه بدا وكأنه قد بدأ يمل متابعة هذه القضية. على أية حال، فها هو يعلن في 12 آذار 1940 أن المسألة اليهودية هي مسألة مساحة وأنه لا يملك ذلك في الوقت الحالي. ثم أضاف أن إنشاء دولة يهودية على أطراف لوبلين لن يشكل حلاً لأن اليهود سيعيشون فيها مكومين على أنفسهم مما سيمنعهم من الوصول الى مستوى إجتماعي أفضل[121]. وكان محاوره (كولين روس)، وهو ضابط ذو تأثير نازي، قد طلب منه أن يعلم الرأي العام الأميركي عن الحل الذي يتصوره للمشكلة اليهودية. أما السبب الذي تعلل به هتلر، في تخليه عن مشروع خلق مجمع يهودي، ذلك أنه كان يهدف الى الدعاية ليس إلا. أما بالنسبة لي فهي ذات معنى.

إنها تؤكد بأنه كان على علم بالمآسي التي يعيشها اليهود في حال إقامة ذاك المجمع. في الحقيقة لم يكن ذلك يقلقه مستوى الحياة التي سيعيشونها، بل إعتقاده بأنه يتوجب عليه ذلك احتراماً للرأي العام الدولي على الأقل، وهنا يقصد الرأي العام الأميركي، لأن الإبادة التامة للشعب اليهودي تعني فقدانه اعتبار الرأي العام الأميركي. من جهة أخرى فإن تصرفه يؤكد أيضاً، إذا كان قد أعجب في أيلول بفكرة ترحيل اليهود، فذلك لأنه كان يعتقد بأن مصارف اليهود ستقع على عائق الدولة البولندية، التي ينوي إنشاءها. وليس من المدهش أنه فقد منذ نهاية تشرين الأول كل إهتمام بالمشروع بعد أن عرف أنه ليس قيد التنفيذ في الوقت الراهن. وبما أنه لم يقبل هذا الحل إلا كحل إنتظاري، فإن التخلي عنه في متناول اليد. إن تحضير الحملة في الغرب قد أرهقه، لأن كل شيء مرهون بها.

في ربيع 1940، كان جميع محيط هتلر يعرف ما يدور برأسه حول هذه النقطة. خلال شهر أيار، وربما بعد أول نجاح له ضد الهجوم الفرنسي، كتب هملر مذكرة تتعلق بمصير الشعب الغير ألماني في بولونيا. وفيها يقترح عدة وسائل من شأنها جعلهم يفقدون إنتماءهم الوطني، وجعلهم أكثر خضوعاً للنازية. أما فيما يتعلق بالمسألة اليهودية فقد كان يأمل أن يخلص منها بهجرة هؤلاء الى أفريقيا أو الى أية مناطق أخرى بعيدة عن ألمانيا. إن طريقة الكلام واللهجة التي استعملت تؤكد أنه استلم صلاحية عامة توحي بأن هتلر قد أحال إليه أمر اليهود. هل هذا يعني أن الحل الذي أوحى به هو شيء آخر غير الإبادة؟ يجيب على ذلك مقطع آخر في مذكرته.

وبعد أن نصح هملر بأن الأطفال البولونيون من دم ألماني يجب أن ينتزعوا من عائلاتهم ويسلمون الى مدارس خاصة في الرايخ. وكتب يقول "على الرغم من كونها طريقة بربرية بالنسبة لبعض الأشخاص، تبقى هذه الطريقة على الأرجح ألطف وسيلة وأفضلها. وإذا كنا داخلياً مقتنعون بأن رفض هؤلاء هو مغاير للطبيعة الألمانية، كما أن إبادة جسدية لشعب كامل"هو تصرف بولشيفي. في 28 أيار أطلع هتلر على هذه المذكرة فما كان منه إلا باركها وعلق على أنها جيدة وعادلة، وقبل أن يطلع (فرانك) و (غوليتر الأراضي الملحقة) من أجل إعتمادها كنمط[122].

خلق مجمع يهودي في بولونيا لم يعد وارداً. بعد ذلك بقليل يقدم هملر مشروعاً جديداً يستحوذ على اهتمام المسؤولين النازيين، يتلخص بترحيل اليهود الى المستعمرات الفرنسية في مدغشقر. من المحتمل أن يكون بسبب بعدها وبسبب قذارتها، فقد إستحوذت هذه الجزيرة على اهتمام أعداء السامية الأوروبيين منذ عدة سنوات. في 1938 كما رأينا، فإن عدة مسؤولين نازيين بمن فيهم هتلر قد تحدثوا عن ذلك. إن نكسة فرنسا والحل الذي أوحي بسلام مع بريطانيا العظمى أدخل الفكرة فجأة في ديوان "الممكن".

في أول حزيران كتب المتخصص بالقضايا اليهودية في وزارة الخارجية مذكرة، يقترح فيها تجميع اليهود في مدغشقر. وتلقت الـ RASHA الخبر بحماس وأخذت بوضع المخططات التفصيلية لذلك. وفي رسالة وجهها الى (ريبنتروب) في 24 حزيران، قال المتخصص "حرصاً على نفسية (هيدريش) من فقدان الأراضي الواقعة

تحت مراقبته، فإنه ستوكل إليه معالجة قضية ترحيل اليهود" بعد أن تبددت العوائق بوجود البقعة التي سينتقلون إليها، كما طلب إليه أن ينضم الى المشروع الذي تتم مداولته[123]. وانتشر الخبر بسرعة بين أوساط دائرة المسؤولين النازيين الذين عمدوا الى إشاعته في الخارج[124].

الأهم من ذلك هو أن هتلر بدوره وقـــع على هذا المشروع. في 20 حزيران دار اجتماع بحضور رئيس البحرية الألمانية، الأميرال (رايدر) حضره (كيتل). يذكر (رايدر) أن "الفهرر يريد استعمال مدغشقر كمستقر لليهود على أن يكون تحت رعاية فرنسية[125]". في الوقت الذي تعد فيه الـــ RASHA مخطط، إنطلاقاً من فكرة أن المجمع اليهودي سيكون تحت رقابة ألمانية، وتحديداً تحت مراقبة الـــ SS ، أما هتلر فقد كان يرى الأمور بصورة مختلفة تماماً، بطريقة تتناسب مع الموقف الذي كان سبق واتخذه في تشرين الأول 1939، بخصوص مجمع يهودي في لوبلين. وهنا كما هناك، كل همه كان يتلخص بالانتهاء من المشكلة اليهودية وأن لا يكون مسؤولاً عما يحل بهم بعد ذلك.

في 8 تموز عاد الى التراجع عن موقفه إثر مقابلة تمت مع (فرانك). بعد أيام من ذلك يعلن (فرانك) لمعاونيه في كراكوفيا، باكتفاء تام، أن ترحيلات اليهود في مناطق الحكم العام ستتوقف نهائياً. وكان من المنتظر إرسال كل يهود الرايخ، بعد توقيع معاهدة السلام مباشرة، وبأسرع وقت الى مستعمرة في إفريقية أو أميركية، وربما الى مدغشقر[126]. على الفور، توقفت عملية بناء "الغيتوهات" التي كانت قد ابتدأت منذ منتصف آب. ويذكر (غوبلس) في أوراقه، بعد مقابلة مع هتلر، أن اليهود سيرحلون الى مدغشقر حيث ينشئون دولتهم الخاصة بهم هناك[127].

بعد النكسة المشهودة لفرنسا كان هتلر في قمة نفوذه وعظمته. في خضم هذا الجو من الغبطة يتفرد بمشروع من شأنه أن يقدم حلاً للمسألة اليهودية. منذ 1938 كما سبق ورأينا، كان قد ألمح الى رغبته في حل قضية اليهود على الصعيد الأوروبي. وفي صيف 1940 كان في وضع يسمح له باستقلالية تامة في تحقيق ما كان دائماً يطمح إليه، وهو اتخاذ التدابير اللازمة في البلاد المهزومة، ووصلها مع الساتاليت والبلاد الحليفة. وصرح الى أوتو آبتز، الذاهب الى باريس كمستشار للسلطات العسكرية

الألمانية في الأماكن التي يحكمها (فيشي)، في بداية آب، أنه قرر ترحيل كل يهود أوروبا بعد انتهاء الحرب مباشرة[128]. كما كان السفير الجديد يحمل مقررات جديدة للسياسة التي ينوي إتباعها. أما البلدان الحليفة أو الساتاليت فقد كانت تعرف في أي اتجاه تسير الرياح. وكما كتب دبلوماسي هنغاري لوزيره في العاشر من أيلول، بأن هناك تدابيراً جذرية في المسألة اليهودية لا بد من اتخاذها، إذا كانت هنغاريا تسعى الى تطوير علاقة وطيدة مع برلين وروما[129].

إلا أن ترحيل يهود ما وراء البحار يتطلب شروط سلام كي يتم ذلك. فألمانيا لم تكن تسيطر بعد على ممرات بحرية، وبدون موافقة بريطانيا، فإن مشروع مدغشقر لا مستقبل له. في الوقت الذي كان هتلر يصنع مستقبله كان يأمل أن هزيمة فرنسا ستفتح له ممرات الى لندن التي ستكون مجبرة على التفاوض معه من أجل سلام بالتوافق. في حين رفض المسؤولون البريطانيون أن يخضعوا بالرغم من صعوبة وضعهم، بل عبروا عن رغبتهم في متابعة الحرب. أمام هذا التحدي قام هتلر بإعداد اقتحام للجزر البريطانية، على الرغم من علمه بتفوق الأسطول البريطاني المعادي، وهذا ما جعل المغامرة على جانب عال من المخاطرة. وفي أيلول أعلن عن تأجيل العملية الى الربيع القادم. وفي الأسابيع الأولى للخريف، كان واضحاً أن طائراته لن تنجح في كسر شوكة العدو، لذا فقد يبق أمامه سوى الاستعداد لحرب طويلة الأمد.

أمام هذه الوقائع الجديدة تم إرجاء مشروع مدغشقر الى زمن غير محدد، في الوقت الذي بدا فيه هتلر مجبراً على التخلي عن الفكرة. أما (روزنبرغ) فقد كان يسعى الى كتابة مقال عن "اليهود في مدغشقر، ولكن (برومان) أجابه في 3 تشرين الثاني أن الفهرر لا يرغب بظهور مقال عن هذا الموضوع في الوقت الحاضر، ولكن ربما سيسمح له بذلك في الشهور القادمة[130]. وفي نهاية تشرين الثاني، أثناء محادثة مع دبلوماسي هنغاري، أعلن هتلر أن حل قضية يهود أوروبا هو من القضايا الأكثر أهمية بعد انتهاء الحرب، وأنه سيجبر فرنسا على تسليمه إحدى مستعمراتها[131]. مدغشقر كانت خياراً ضمن خيارات أخرى تتردد دوماً على لسان هتلر في الشهور التالية. بلا شك، بالنسبة لهتلر، كان يعتزم إرسال اليهود خارج أوروبا، وكان يأمل أن يحصل ذلك في مستقبل قريب.

وبعد فشل مشروع لوبلين تبين أن مشروع مدغشقر بدوره صعب التطبيق. الأول كما الثاني اتخذه هتلر وسط معطيات غير ثابتة، لذا فهي غير صالحة للتحقيق. المشروع الأول على أية حال لم يكن سوى مشروع وسيط، أما الثاني، فعلى العكس كان من شأنه أن يوفر حلاً نهائياً. زائل كل من المشروعين وعلى وجه الخصوص المشروع الثاني[132]. والمشروع الأول كالمشروع الثاني يظهران رغبة هتلر في التخلص من حمل ثقيل يرمي به على كاهل دول أخرى في العناية بهذا العدد الهائل من اليهود. وإن كان قد تم ذلك فعلاً، فإن تجميع مليون إنسان في مجمع واحد، لكان من شأنه بالتأكيد أن يتسبب بضحايا عديدة. كان هتلر يعلم ذلك جيداً و لم يكن ليهمه ذلك، كل ما كان يهمه هو أن يتحمل غيره مصير هذا الكم الهائل من البشر.

إن النصر الذي حققه لم يكن على أية حال يؤدي به الى أن يبيد اليهود. فرحيل يهود أوروبا وحجرهم في أراضي بعيدة كان سيوفر له العزاء المناسب. وظلت سياسته المعادية لليهود ترتكز على علاقة متلازمة مع وضعه الإستراتيجي. وأيضاً رؤيته للخصم كانت دائماً تبعاً لتلك الإستراتيجية. وبفحص استعداداته الذهنية بالنسبة لليهود في 1939 – 1941 فإننا نتبين أنها عرفت تطوراً حساساً، بالمقارنة مع الأوضاع المتأرجحة، أحياناً في القمة وأخرى في الحضيض، التي عرفها وضعه الإستراتيجي ما بين الحلف الذي عقده مع الاتحاد السوفياتي و بين إصراره على كسر شوكة اليهود.

إننا نستطيع أن نستكشف الى أي مدى كان عداؤه للسامية أساسياً في رؤيته للعالم، وذلك بالاستناد الى القراءة التي يوفرها الحلف الألماني-السوفياتي. فبرأيه أن الحكم البولشفيكي كان حكماً يهودياً بلا منازع، مع أن هذا النظام كان من شأنه أن يكون عدوه الى الموت، إلا أنه ، ومع ذلك، رضي أن يعقد حلفاً معه. والسبب كما شرحه لموسوليني في 18 آذار 1940، أن الجيورجي ستالين نجح في كسر شوكة النفوذ اليهودي، وها هو الإتحاد السوفياتي الآن يتصالح مع مسكوفيا الخالدة[133]. يمكننا القول أي شيء عن هتلر سوى أنه وقح: كان يفضل تشويه الحقائق بدلاً من أن تقضي على نظام رؤيته للعالم. وكان الهام هنا، هو أن الحلف الألماني- السوفياتي،

من الواجب بالنسبة له، أن يعني أن النفوذ اليهودي كان قد تضاءل أمام نجاحه العظيم.

لم يكن شيء ليعطل هتلر عن إظهار عظمته، فحتى في أيام الحرب السخيفة كان يتصور المستقبل بثقة بالغة. يقدمه (غوبلس) في أوراقه، يعيد تفصيل خارطة أوروبا، معيداً لألمانيا دورها ما قبل السلام في واستفالي، محدداً بورغونيه كأراضي استعمار لألمان تيرول الجنوب، متحدثاً عن السيطرة المستقبلية لألمانيا على العالم. هذا الشعور بالثقة يظهر أيضاً في الطريقة التي يتحدث بها عن اليهود وعن دورهم. وإن كان يذكرهم دائماً بعنف إلا أنه لم يحملهم المسؤولية الكاملة في الحرب. إن المسؤولين عن الحرب هم يهود وغير يهود، المتسلطون الأثرياء، الرجعيون،الديمقراطيون والرأسماليون، إلخ.[134]، كانوا على نفس المستوى من المسؤولية. كان ينوه دائماً بأنه قد هزمهم في ألمانيا وأنه سيقاومهم أيضاً في الخارج. وكان يصادف أن يستعمل لهجة غير معتادة منه في السخرية حين يقلد لكنة الدعاية التي كانت تبثها الإذاعة في لندن[135].

ومن الملفت أكثر أنه عندما كان يتحدث عن اليهود كخصوم، فإنه كان يصفهم بالحمقى، خصوم لم يكونوا بالقوة التي طالما تخيلها واعتقدها فيهم. وفي 24 شباط 1940 صنفهم ضمن الشعوب التي هي ضحية التحريض البريطاني. فهم أيضاً، كما كان يقول، مسحوقون من قبل بريطانيا العظمى لأن تصريح بلفور قد وعدهم بأرض هي ملك العرب[136] . وفي 25 نيسان 1940، يذكر (غوبلس) أن هتلر قال له أن "في نهاية الأمر، فإن اليهود هم حمقى"[137]. وفي الثامن من تشرين الثاني 1940، وأمام حرس الحزب القديم في ميونيخ، أعلن الفهرر "ليس هناك شعب أحمق من اليهود". وقبل ذلك بعدة دقائق، كان قد وصفهم بأنهم "القوة الشيطانية"، قوة طالما حكمت ألمانيا، كما كان أعلن الحرب على شباب الحزب النازي، قبل أن يسقط تحت ضرباته المنتصرة[138]. على وجه الإجمال، كان هتلر في تلك الفترة، يكن لليهود احتقاراً أكثر مما هو خوف، حتى وإن كان الثاني يعتبر شعوراً لم يختف أبداً؛ فهم كانوا بالنسبة إليه قوة شيطانية وفي نفس الوقت حمقى[139].

كل ذلك يجعل من غير المحتمل أن يكون قد ارتأى بشأنهم تصفية غير مشروطة. في مقطع من أوراق (غوبلس) ملاحظات مهمة في هذا الخصوص. وفي 5 كانون الأول 1939 وفي صبيحة مقابلة بينه وبين هتلر، تحدثا فيها مطولاً عن اليهود، يذكر (غوبلس) أن الفهرر قد قاسمه وجهة نظره بأن "الخطر اليهودي يجب أن يبتر على أيدينا. ولكنه سينبت ثانية بعد عدة أجيال. وليس هناك ترياق ضده، لأنه لا وجود له أبداً[140]. كلام هو من صفات مميزة لمجنون العظمة النازي، هذيان معلمي الرايخ، المنشغلين بمستقبل الأمة الألمانية، وبطموحهم بالنجاح في إنجاز عمل خارق وخالد. من الملفت أن فكرة الإبادة لم تأت من الفراغ، في الوقت الذي كان فيه القلق المسيطر من شأنه أن يرى فيهم الترياق. لم يكن يتردد هتلر أمام كركوزاته من أن يذكر حلولاً إبادية، إلا أن الضحايا التي كانوا يتصورونها ليسوا اليهود. وهكذا في 17 آب 1940 يذكر (غوبلس) في المحادثة عينها أن هتلر عندما حدثه عن تحميل اليهود الى مدغشقر، تلفظ بكلام عنيف ضد المجرمين وخاصة العناصر الخارجة عن المجتمع، والتي يتحتم عليه إبادتهم بدلاً من الاحتفاظ بهم الى حين ثورة مستقبلية[141]،.

منذ بداية صيف 1940 وجد نفسه هتلر يواجه وضعاً إستراتجياً جديداً. لقد كانت نجاحاته تبشر بخطر كبير يترقبهم. وكانت المقاومة البريطانية تبشر بأن خطر الحرب من الممكن أن يبقى قائماً الى ما لا نهاية، وأن أحداً من الخصوم لا يملك القدرة على سحق الآخر. لكن بينما كان الرايخ قد قام بتدعيم مواقفه، كانت بريطانيا العظمى تسعى لجر حلفاء الى صفها، كانوا ما زالوا محايدين، كما كانت تسعى الى دعم القوة الضاربة للولايات المتحدة وربما يوماً ما الاتحاد السوفياتي. في صيف 1939 ، كان هتلر أبعد من حساباته الإستراتيجية الولايات المتحدة، نظراً لضعف أسلحتها ولاعتناقها سياسة انعزالية

في تلك الفترة، مما يجعل دخولها الحرب غير محتمل. وبعد سنة كانت الولايات قد دخلت عمق حسابات هتلر الجديدة.

وبما أن الولايات المتحدة أخذ دورها بالوضوح، فهي لن تقبل بخسران بريطانيا العظمى، وتفضل عليها هزيمة ألمانيا النازية، لذلك أخذت تمد لندن بالأسلحة، وبسرعة ملحوظة. في أيلول 1940، سلمت 50 مدمرة مقابل وقف إيجارات بعض

القواعد الحربية في الغرب. وبهذه الخطوة خرجت الولايات المتحدة من كونها دولة على "الحياد" الى دولة "تدخل". وبالرغم من أن هتلر كان يعرف مسبقاً أن تدخلها لن يشكل خطراً في الوقت الحالي، وذلك أنها تحتاج عام الى عامين على الأقل، كي يكون في مستوى حربي مماثل لألمانيا؛ حين ذلك الوقت الذي ستلقي فيه بثقلها في الحرب سيكون لكل حادث حديث. ولكن الوقت لم يكن يعمل لصالحه ولذلك فقد أخذ يتبع سياسة حذرة في المنطقة، منبهاً على الابتعاد عن كل ما من شأنه تسريع دخولهم في الحرب. ولهذا السبب وحده قاوم ضغوط (رايدر) الذي كان يؤيد باندفاع سياسة بحرية هجومية ضد دولة يعتبرها "قوة تدخل". الى ذلك أضيف العامل السوفياتي الذي بالرغم من أنه أقل خطراً إلا أنه يصعب تحمله على هتلر الذي كان يشعر حياله بالكره.

وكان هتلر يرى في ستالين استغلاله للموقف وابتلاعه لدول البلطيق، إثر هزيمة فرنسا، مرغماً رومانيا على التخلي لصالحه عن بيصاربيا، وقسم من بوكوفينيا. و لم يكن يزعج ستالين أن يظهر بمظهر الطامع لأكثر من دول البلقان. من المؤكد أن هتلر كان يعرف بأن الاتحاد السوفياتي لن يمكن لها أن تحل الاتفاق المعقود بينهما ولا ستالين أيضاً. وما كان يخيفه بالفعل أكثر من دخوله الحرب مع روسيا، هو تفكيره الإستراتيجي السابق والذي مبعثه طموحه القديم بالتوسع، والذي يحتم عليه الآن أن ينقلب ضد حلفائه. وحسب رأي هتلر، فإن بريطانيا العظمى تعاند في وقف الحرب ظناً منها أن الولايات المتحدة وأيضاً الإتحاد السوفياتي سينضمون إليها عاجلاً أم آجلاً. لذا، فإن هزيمة الإتحاد السوفياتي في حرب خاطفة من المحتمل أن تجر بريطانيا الى عقد معاهدة سلام مع ألمانيا. كما أن احتمال تدخل أميركي يصبح أملاً ضعيفاً. في الواقع أن هتلر لم يحسب أن هزيمة الاتحاد السوفياتي قد تحرر اليابان من الضغوطات التي كانت تفرضها تلك البلاد على حدودها الغربية، وأن ذلك سيشكل خطراً على الولايات المتحدة. وأن في أسوأ الأحوال، فإن اجتياح الإتحاد السوفياتي سيضع الرايخ في حال أفضل في حال أنه تابع الحرب ضد الأنكلو-ساكسون.

هذا التفكير الإستراتيجي أعرب عنه هتلر منذ بداية تموز 1940، ولكن الحملة ضد الإتحاد السوفياتي لم يعلن عنها إلا في الربيع التالي، كما أن القرار النهائي لم

يتخذ بشأنها إلا في كانون الأول من العام نفسه. أثناء هذا الوقت كان هتلر يتابع إستراتيجية وسط ظناً منه أنها ستضع الولايات المتحدة ثانية على الحياد، وأنها في الوقت نفسه ستهدف الى عزل بريطانيا العظمى عمن يمدها بالأسلحة. وفي أيلول، وقع الرايخ الحلف الثلاثي مع إيطاليا واليابان والذي كان من شأنه إقناع الولايات المتحدة بالحفاظ على دورها كمتفرج. على خط مواز، عمد هتلر الى طرد بريطانيا العظمى من البحر الأبيض المتوسط هذا التدخل في شؤون المتوسط كان يتطلب تعاون إيطاليا _ التي كانت تنظر إليه بعين غيورة، معتبرة إياه تعدياً على صلاحياتها في مناطق نفوذها _ والى تعاون إسبانيا وفرنسة فيشي.

من أجل عزل الخصم عمد هتلر الى حملة ديبلوماسية، هدفت الى خلق جبهة صلبة في وجه بريطانيا العظمى دعي الى الإشتراك فيها الإتحاد السوفياتي. ولم يكن هتلر ينتظر من هذه الحملة التي كان يديرها (ريبنتروب) الشيء الكثير.

ومن نتائج هذه الحملة أن قطيعة نشأت بين لندن وموسكو دون أن تمنع تصفية حسابات عسكرية في الربيع الذي تلاه. إن المحادثات التي أجراها هتلر مع مولوتوف في برلين، بداية تشرين الثانين أكدت له أن ستالين يهدف الى استغلال موقفه مع لندن كي يدعم نفوذه ويقضي على أخر نفوذ في القارة. في بداية سنة 1940 بدا واضحاً أن تلك الخطة لم تجد نفعاً. فحياد فرانكو جعل من المستحيل إحتلال جبل طارق والقضاء على التواجد البريطاني في البحر الأبيض المتوسط. في نفس الوقت كان وضع موسوليني المنهار في اليونان يتطلب تدخلاً في البلقان، في ربيع نفس العام. وهذا ما دعا الى إغلاق المنطقة طيلة فترة الحملة من 1939 الى 1941. أما بالنسبة للولايات المتحدة، فإن الحلف الثلاثي لم يكن ليؤثر عليها في شيء بل أنها تشددت أكثر في مواقفها حيال القوى التي، كانت تعتبرها أعضاء "مؤامرة عالمية"، ساعد على تقوية إعادة انتخاب روزفلت، المعروف بعدائه لألمانيا النازية. وفي الصيف تابع هتلر مسيرته نحو "عملية بربروسا" التي كان لا بد منها لأسباب إستراتيجية. وكان هتلر قد اغتنم الفرص لبلوغ "الهدف الرئيسي" بعد أن كانت الأحداث قد جعلته بعيداً عن فكره، ألا وهو غزو الفضاء الحيوي في شرق ألمانيا". وكانت الحرب ضد الإتحاد السوفياتي تشكل رهاناً مزدوج الأهمية؛ عقائدياً وهجومياً في آن. فكما أعلن هتلر

لرؤساء حزبه العسكريين في 9 كانون الثاني 1941 "إذا كانت ألمانيا ستواجه حرباً يوماً ما مع القوى المجتمعة من بريطانيا والولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي معاً، فإنها ستجد نفسها في مواقف صعبة[142].

بالتوازي مع هذا التطور الإستراتيجي تغيرت لهجة هتلر تجاه اليهود. في كانون الثاني 1941 صرح لموسوليني "مادام ستالين حياً فإن ألمانيا لا يمكن أن يخيفها شيء. ولكن عندما يختفي فإن موضوع اليهود سيعود الى الواجهة الأمامية[143]". الخطر اليهودي ممثلاً بالنظام السوفياتي قد تم إخماده؛ إلا أنه عاد وظهر بكل حجمه. ولكن العلامة المؤكدة على إثارة هذا الخطر الشيطاني مجدداً و تكراره لما كان يقوله في السابق عن نبوءة عام 1939.

من فوق منصة الرايشتاغ أعلن هتلر عن إبادة اليهود في حال اندلاع الحرب مرة اخرى. منذ ذلك الحين لم يعد هناك مجال لهذا الخطاب. و لم أجد أي أثر، في كل ما وصل يدي من وثائق، تؤكد وجود خطاب من هذا النوع. وبعد عامين في 30 جانفيه 1941، وبعد أعلن عن نيته في اقتحام الإتحاد السوفياتي، عاد للتحدث أمام الناس عن نبوءته، التي كانت خامدة في زاويا دماغه وها هي تعود الى الساحة من جديد كي تعلن على الملأ، وهم على عتبة أحداث كبيرة، قراره النهائي والخاص. في هذا الخطاب، ذكّر بكانون الثاني 1939 مبدلاً تأريخه الى أيلول 1939. إذا كان لهذا الخطأ من معنى، فهو يعني أنه كان يرى في مهاجمة بولونيا نقطة انطلاق للحالة التي هو عليها الآن؛ موقع الخطر.

ومرة جديدة تم التلميح الى الولايات المتحدة، إلا أنه في هذه المرة فهو يذكرها علناً كلما تحدث عن نيته الهجوم على أوروبا معلناً عن نيته هزم الأميركان. أما عن النبوءة نفسها، فإنه قد تحدث عنها بطريقة نوعاً ما مختلفة. فهو لم يستعمل كما في العام 1939 عبارة "إفناء" وإنما عبارة مفادها أن دور اليهود في أوروبا سينتهي. بالمقابل، بقيت العلاقة التي جعلها بين العقاب الموعود وامتداد الحرب الى العالم أجمع قائمة:..."إذا كان فعلاً سينجح اليهود في دفع العالم الى حرب شاملة، حينئذ يكون اليهود قد نجحوا في لعب دور في في أوروبا".[144]

هل كان هتلر في ذاك الوقت قد غير موقفه وقرر إعلان حرب إفناء ضد اليهود؟ فإن كان جاداً حين قام بهذه التصريحات، كما أعتقد، فإن قراراً من هذا النوع لا يدخل في حيز الإمكان، في ذلك التاريخ. هو نفسه قد أطلق على ما صرح به لفظة "نبوءة". كان يعني إذن أنه يعلن للعالم عن حدث قادم، وعن ربط هذا القرار بشرط: إن ظهور "حرب عالمية" أو"شاملة" ، احتمالية قد كبرت منذ كانون الثاني 1939 لم يكن من الممكن تحقيقها في بداية 1941والتي هو نفسه كان قد سبق وقال أنها ليس "فورية". في الوقت الذي كان يردد فيه نبوءته، كان ذلك واضحاً أن ذلك بسبب المقاومة البريطانية، والتي كان ينسبها الى التحريض اليهودي. كان يرى من جديد الخطر اليهودي في الإتحاد السوفياتي، وكان قد قرر أن يتخلص منه بشن هجوم سريع. وكان قد أعلن عداءه للولايات المتحدة أو التأثير اليهودي بغرض أن يفهم العالم أن هذا التأثير لم يبلغ مداه بعد. إن إمتداد الحرب أو شموليتها أصبحت خطراً حقيقياً. وربما أصبح مهووساً بشبح حرب جديدة تمتد أربع سنوات. إنما توالي الأحداث في الأشهر التالية لتقدم الجيش نحو بربروسا جعل منها حقيقية بالفعل.

إن المصادر التي يمكن لها إرشادنا الى فكر هتلر، بين خريف 1940 وحزيران 1941 على قلتها إلا أنها تشير الى نيته الدائمة في ترحيل اليهود الأوروبيين وتجميعهم في مكان ما. وبحسب أوراق المايجور (انغيل) الذي كان يقود القوات البرية، أن هذ الأوراق قد أعيد تنظميها، بتأريخ لا يمكننا الثقة به، بمضمون واضح الجدية وموثوق به، كان هتلر قد أعلن مطولاً حول القضية اليهودية أثناء مناقشة مع (هانغيل) في 2 شباط 1941 بحضور (كيتل وبورمان، لاي، وسبير).

وصرح هتلر " إذا كانت الحرب ستحل المسألة اليهودية، وتضع الرايخ في موقعلسيطرة على بعض البلدان، إلا أنها تبدي مصاعب كثيرة". المشكلة بالنسبة إليه كانت في معرفة "أين سيضع هذه الملايين من اليهود". وأضاف بأنه سيفرض على فرنسا وضع مدغشقر تحت تصرفه. سأل "بورمان" عن كيفية نقل اليهود أثناء الحرب، فأجاب بأنه سيفكر، كما أنه لا يريد في الوقت ذاته أن يخسر مراكب. ويختم بأنه "يرى الأمور الآن بطريقة مختلفة وبأنه لا يريد أن يرتكب خطأ[145]". من الواضح أنه لم يكن يملك حلاً لمشكل كان قد خلقه بنفسه. ولكن بقيت فكرة

جغرافية المكان تسيطر على تفكيره. جملته الأخيرة يمكن لها أن تشير الى اشتداد اللهجة ولكن أيضاً ليست مخططاً لحرب إبادة.

من جهته، (غوبلس) ذكر مرتين، في تلك الفترة، في تشرين الثاني 1940 وفي آذار 1941 ، إثر مقابلات مع هتلر، أن اليهود سيتم ترحيلهم في يوم ما من أوروبا، دون أن يذكر الوجهة التي سيذهبون إليها[146]. في نيسان 1941 ، وبعد أن أثار مع دبلوماسي هنغاري مسألة طرد البولنديين من وورثلند، عطف هتلر بحديثه على موضوع اليهود وقال بأنه يجب أن يتم ذلك على الصعيد الأوروبي وذلك بإرادة زرع اليهود في مكان ما. مئات من الأوروبين كان قد تم ترحيلهم في الماضي، ولم يكن يرى أي مانع في تسفير اليهود باعتبارهم مسافرين من الدرجة الثانية[147]. في 2 حزيران 1940 أي ثلاثة أسابيع قبل الحملة على الإتحاد السوفياتي، صرح لموسوليني أن كل اليهود يجب أن يغادروا أوروبا بعد الحرب، وربما أنهم سيسكنون "مدغشقر"[148].

لا يمكننا حتماً استبعاد اخفاء هتلر خلفية تفكيره بشأن اليهود. ولكن يجب القبول بأن الأمور قد ترك لآلة النظام إدارتها لم تظهر السياسة التي أراد إتباعها. في هذا الوقت، بالفعل فإنه لم يسجل أي اختلاف مع الخط الذي سبق إتباعه في السنوات السابقة. إن سياسة الممر الصحي التي تهدف الى عدم رجوع اليهود أو عدم تكاثرهم في الأراضي الألمانية، في آب 1940 أعطى هتلر أوامر في "آبيتز" بعدم السماح بعودة اليهود الذين هربوا من المانيا بدخول أراضي فرنسا المحتلة [149] وفي نيسان 1941 تدخل لمنع يهود بولونيا من العودة الى الرايخ كي ينوبوا عن قلة اليد العاملة بعد أن إتخاذ كافة الإجراءات بالإتفاق مع غورينغ[150] .

كلما سنحت الفرصة، كانت عمليات الطرد أول ما مورس على اليهود. منذ بداية 1940 راح الـــ (غوليتر) (فاغنر وبوركيل) الذي كان على عاتقهم مهمة ألمنة الألزاس واللورين، بطرد ربع مليون فرنسي ويهودي الى فرنسة فيشي، وذلك على دفعات. وفي تشرين الأول، وبالإتفاق مع هتلر تم ترحيل 6500 يهودي يعيشون في "غايه" و"باد: و"بالاتينا" الى نفس المناطق. وكان الوقت حينها قد بدا ملائماً من أجل تطهير مقاطعاتهم من اليهود[151]. إن سياسة الترحيل من منطقة الحكم العام

كانت ما تزال تآذار، إلا أنها أخذت بعداً أكبر في عام 1940. وبالرغم من الضرر التي كانت تسببه الى عملية لـــ (فرنك) إلا أن هتلر إستمر في إصدار تعليماته باستقبال كل البولونيين المقيمين على أراضي الرايخ الجديدة. وبحسب أوراق (فرانك)، شرح له هتلر في 4 تشرين الثاني أن طرد البولونيون يجب أن يتم فوراً، بدلاً من أن يثير ذلك مشكلة دولية في حال بقي الى ما بعد انتهاء الحرب. سبب من شأنه أن يشير الى مشاكل لا تتناسب أصلاً مع " الإبادة"[152].

بداية عام 1941 وضعت الراشا مخطط إخلاء لنحو 831 ألف يهودي وبولوني كانوا يعيشون في الأراضي الملحقة. ومرة جديدة أيضاً عمدت إدارة هملر على التصرف على مستوى أكبر، وأخذت تنفذ برامج إخلاءات كانت قد سبق لها وإن إعتمدتها. وفي منتصف آذار 1941 وأمام إحتجاجات الجيش المتصاعدة، الذي كان يفتقد الى سكك حديد ضرورية لتحضيرات لحملته القادمة على روسيا، أوقف العمل بهذه الخطة قبل اكتمالها. لذا، فمن غير الوارد في هذه المرحلة بالذات ترحيل كل يهود الرايخ المقيمين في منطقة الحكم العام، والتي تعتبر في الأساس منطقة انتقالية. وفي كانون الأول 1940 سمح هتلر، وهذا مثبت وصحيح، بترحيل 60 ألف يهودي كانوا يعيشون في فيينا. لكن هذا التدبير لم ينفذ إلا جزئياً بسبب عدم توفير أماكن إقامة لهم في فيينا. وعلل هتلر هذا الترحيل بأنه استثنائي ولا يندرج تحت بند خروج اليهودالمؤجل الى ما بعد الحرب[153]".

غير أن عملية النزوح استمرت بالرغم من كل المصاعب التي كانت تفرزها الحرب يوماً بعد يوم. وفي 20 أيار من عام 1941 عمدت الراشا الى وضع "تعميم" يظهر مسعى (غورينغ) الى دفع اليهود الى الهرب بكل الوسائل التي يملكها، بالرغم من ظروف الحرب آنذاك. وكانت الراشا قد قررت على الفور أن تمنع الهجرة من بلجيكا ومن أوروبا الواقعتين تحت الاحتلال، وذلك بغرض الاحتفاظ بالكوتا التي كان قد سبق وتم الاتفاق بشأنها مع بلاد ما وراء البحار ليهود المانيا[154]. في الوقت الذي كانت فيه هذه السياسة قيد التنفيذ على قدم وساق، كانت من جهة أخرى الأمور تنشط لجهة إيجاد حل، على أن يطبق غداة انتهاء الحرب. ومنذ صيف 1940 قامت شعب البيروقراطية المعنية مباشرة بوضع قواعد الترحيل لليهود الى خارج

أوروبا. كما عمدت وزارة الخارجية الى تحرير قانون يتم بموجبه نزع الجنسية الألمانية عن كافة اليهود، بعد عديد من المشاريع ومضاداتها. وكان قد تم نشر ذلك في نهاية 1941 بطريقة مختلفة تماماً. وفي الوقت الذي كان فيه (أيشمان) يضع اللمسات الأخيرة في برلين، لمخطط مدغشقر بمعاونة 15 جهازاً متنوعة[155]، كان مستشارون معادون لليهود قد أرسلوا الى البلدان الواقعة تحت الاحتلال، تمهيداً ليوم الإجلاء الكبير. وكانت مهمة هؤلاء المستشارين العمل على تطبيق برنامج معاد لليهود على كامل الأراضي الأوروبية الواقعة تحت الحكم النازي، وذلك من خلال إجراء إحصاء لليهود يهدف الى تجريدهم من ممتلكاتهم وإبعادهم عن الحياة الاجتماعية، وإن أمكن العمل على إيجاد الشروط المناسبة لتجميعهم في أماكن يسهل معها انتقالهم فيما بعد. وكان من شأن عمل هؤلاء أن إحصاءهم هذا استعمل كنقطة إنطاق في عملية الإبادة التي تبعت ذلك، دون أن يكون هذا الإحصاء قد هدف الى ذلك أصلاً.

وكانت الآلة البوليسية تتحدث عن هذا الترحيل القادم على أنه حل نهائي. هذا التعبير "الحل النهائي" كان قد ظهر وكما رأينا، في نهاية العام 1939، على أنه أخذ ينتشر على صعيد أوسع في عام 1940، وبالتحديد بشكل نمطي يحمل الصيغة التالية" لاعتبارات اقتراب الحل النهائي للمسألة اليهودية. صيغة رهيبة وضعت الكثير من المؤرخين في أجوائها خاصة وأنها استعملت فيما بعد كإشارة الى الإبادة، في كل مرة يتم فيها الحديث عن ذلك. هذا بالإضافة الى أن "تعميم" الراشا في 20 أيار 1941 كان دائماً يذكر على أنه مخطط للإبادة، لا شيء إلا لأنه حوى هذه الصيغة، مع أن الجملة التي تضمنتها هذه الصيغة لم تظهر أن " التصفية" قد آن أوانها بعد: "بما أننا على اقتراب من الحل النهائي للمسألة اليهودية، فإن هجرة اليهود في الأراضي المحتلة، التي تحت سيطرتنا، يجب أن تمنع"[156]. وصفة ليس لها معنى إلا إذا كان الحل النهائي كان يهدف الى تفريغ الدائرة النازية من اليهود وليس تجميع هؤلاء بغرض إبادتهم.

بنفس الطريقة كان هتلر ورؤساء آلته العسكرية قد فهموا أن مشروع مدغشقر أصبح غير ساري المفعول. غير أن ذلك لم يثنيهم عن عزمهم ظناً منهم أنه لا يعوقهم سوى الأراضي المقصودة. وفي 5 شباط 1941 قام (هيدريش) بتحديد مفهوم "الحل النهائي" على كونه تحويل اليهود الى بلد آخر سيتم تحديده فيما بعد. في باريس،

كان مسؤول القضايا اليهودية في الـــSipo-SD قد قام بنفس الشيء، أي شرح وتحديد مفهوم الحل النهائي، وذلك حين تكلم عن "مشروع حل نهائي" بغية إجلاء اليهود الى مكان لم يحدد بعد [157] كان من المفترض أن يرحل اليهود من أوروبا بعد نهاية الحرب حيث تتولى الشرطة النازية القيام بذلك.

لا شيء في كل ما تقدم يظهر أن المسألة قادمة على مرحلة جديدة. كما لم يكن هناك تحضيرات على صعيد أوروبي يوحي بذلك في تلك الفترة، وسنرى أن ذلك قد ظهر في مرحلة متأخرة. أما فيما يتعلق بالرأي العام الدولي وبخطابات هتلر، فهي لا تترك أي مجال يفهم منه ما ذهب إليه الآخرون، بالرغم من أننا لا نستبعد أن يكون هناك فرضية الثنائية، لأن الوثائق التي بين أيدينا تستنتج أنه كان يخص اليهود بآراء ذات اتجاهين. فمن ناحية، كان ينوي الانتقام في حال عدم النجاح، ومن أخرى أنه كان يريد أن يعتقد بنجاحه؛ حينها تكون مشكلة اليهود مشكلة جغرافية فقط، في مدغشقر أو في أي مكان آخر بعد نهاية الحرب.[158].

هذه النتيجة لا تحظى بالوقت الحاضر إلا بقيمة مؤقتة. يتوجب علينا، في الفصل القادم، النظر بدقة ما إذا كانت سياسة إبادة مدبرة من أجل اليهود الذين يعيشون في الإتحاد السوفياتي. قبل هذا، يطيب لي إثارة نقطة على جانب من الأهمية، وهي تصرفات ضباط هتلر. فبأي مقياس كانوا يقيسون أفكار رئيسهم؟ سؤال من الصعب الإجابة عليه، ولكن يبدو لي أنهم لم يكونوا يشاركون رئيسهم هوسه، وأنه هو وحده من كان يذهب الى حد التفكير بالإبادة. على أية حال، فنحن نستطيع تأييد فكرة، أنه في 1940 لم يكن يؤمنون بتلك الفكرة قبل ذلك التاريخ. ونحن نذكر بهذا الخصوص بمذكرة هملر التي حررها في أيار 1940 ، والتي يرفض فيها فكرة إبادة شعب حيث أن الفكرة مستحيلة أولاً، وأنها "مخالفة للطبيعة الألمانية" ثانياً. وبعد شهرين، وفي نص بتاريخ 2 جويلية 1940 يرسل (هيدريش) مذكرة لرئيسه يحدثه فيها عن الخلافات التي واجهها الجيش إثر تصفية آلاف من النخبة البولندية[159] والتي وصفوها بأنها تدابير حاسمة جداً. من الواضح لم يكن يتخيل حجم المهمة التي كان يترتب عليه أداؤها في وقت قصير. وكي لا نتحدث عن (غورينغ) الذي كان عداؤه للسامية صلباً لا يقاوم، ومع ذلك فإنه غالباً ما كان يتنازل عنه باعتماد تدابير عملية.

من المهم معرفة الطريقة التي كان يستقبل بها هؤلاء الرجال تصريحات الإبادة من رئيسهم. في صبيحة خطاب 30 كانون الثاني 1939 لخص (غوبلس) في مذكراته النقاط الرئيسية، دون أن يأتي على ذكر النبوءة[160]. فالمرجع الوحيد، الذي سبق الهجوم على الإتحاد السوفياتي، يحمل تاريخ 20 حزيران 1941. فيذكر أنه، في الليلة السابقة كان عند هتلر وكان برفقته (فرانك) الذي كان يتحدث عن الوضع في منطقة الحكم العام مشيراً الى الوضع المأساوي الذي يعيشه اليهود هناك. يقول (غوبلس) "اليهودية تتراجع شيئاً فشيئاً في بولونيا. إن ما يعانونه هوعقاب عادل لدسائسهم المهيجة ولمؤامراتهم الشرسة. الفهرر كان قد تنبأ لليهود بذلك "[161]. نلاحظ هنا أنه لم يفهم جيداً نبوءة رئيسه وأنه فسرها على أنها أسلوب غير حاسم. كما نلاحظ أيضاً، أنه وإن لم يقبل بإبادة، فهو يستطيع قبول فكرة تحجيم لهؤلاء.

وبعدة درجات أقل من (غوبلس) كان (أدولف أيشمان)، الموظف البسيط في الغستابو ولكنه أخصائي في الشؤون اليهودية، بدوره، لم يأخذ كلام هتلر بحرفيته. فقد صرح أمام القضاة في أورشليم بأنه سمع بنبوءة هتلر وأنه لم ير فيها سوى عملية ترويج[162] . فمن غير المعقول أن تكون هذه الصيغة لم تلفت انتباه رجال أمثال (هملر) و(هيدريش) خاصة وأنها تكررت بعد ذلك لمرات عدة. وإن كان لا شيء يشير الى أنهم كانوا مدعوين للقيام بمبادرات، أو لتقديم مقترحات، ولكنهم كانوا يستطيعون التنبه الى أن وراء ذلك أفقاً أكثر حسماً، ولاستطاعوا تصور ما لم يكونوا هم أنفسهم يستطيعون تخيله.

في موضوع التصور هذا، يهمنا أن نشير الى تطور المناخ الذي سيكون من شأنه أن يسمح بالتنفيذ، وخاصة عندما أصبحت النبوءة أمراً ينفذ. أما المسؤولون النازيون الذين كان عليهم معالجة المسألة اليهودية، فقد بدأت تتسبب لهم بكبت من نوع جدي. هتلر لا يتوقف عن ترداد أنه سيطهر أراضي الرايخ وأوروبا من الوجود اليهودي. هذا الأمر أصبح بالنسبة له وكأنه مهمة شبه دينية، أو على الأقل قضية دولة لا يستطيع أحداً من ضباطه التغاضي عنه. ولكن الحل النهائي استمر بالتراجع يوماً بعد يوم كلما تقدموا نحوه، في الوقت الذي كان فيه اليهود يتكاثرون مع كل غزوة.

إن الضغط الذي يآذار من قبل التعصبية المعادية لليهود التي كان يكنها هتلر، لا بد وأن يشعر بها رؤساء الحزب النازي الذين كانوا يحكمون في تلك المناطق. وأيضاً (غوبلس) الذي كان يشغل عدة مناصب، عندما كان حاكماً لبرلين فقد كان يغتاظ من تزايد عدد اليهود الى حد الهوس. كان طموحه يدفعه الى ترحيلهم، وفي هذا يتلاقى بعدائه للسامية مع جريه وراء السلطة. إن دفاتره تشير الى أنه كان دائماً يثير مع هتلر المسألة اليهودية، خلال مقابلاتهما. ولأنه لا يملك السلطة على طردهم، فإنه لم يتردد في طرح قضيتهم في كل مرة، طالباً منه التشدد في إبعادهم عن الشعب الألماني. فالضغط إذن كان له معنى مزدوج: حماس ضباطه كان يذكره دائماً بقلق بغياب الحل للمشكلة اليهودية.

في الشرق، لم يكن الموقف أقل منه حساسية بالنسبة لهؤلاء الذين يقع على عاتقهم كل الحمل، سواء أكان (فرانك) أم (غريزر) مسؤول الـــ (وارتلند) حيث توجد أغلبية من اليهود ما زالوا يسكنون في الأراضي الملحقة. في الوقت الذي كان فيه (غرايزر) يفعل كل ما في وسعه لإرسال اليهود الى منطقة الحكم العام، كان (فرانك) ينتظر بفارغ الصبر اليوم الذي سيتخلص فيه منهم. الأول كما الثاني انجرا لاتخاذ تدابير كانوا يعتقدونها مؤقتة، كـــ: فرض الأعمال الجبرية، إرغامهم على حمل علامة فارقة، إنشائهم مجالس شورى يهود تعمل لصالح المحتلين. كل هذا تم وضعه بعد وصول القوات الألمانية بقليل. أما فيما يتعلق بالـــ وارتلند، فسرعان ما تم تجميع اليهود في غيتوهات معزولة عن سائر المدينة حيث كان "لودز" أكبرها على الإطلاق، الغيتو الذي تم إغلاقه في الأول من أيار 1940 في منطقة الحكم العام كي تعود الحركة إليه ببطء بعد ذلك. وكان غيتو فرصوفيا في منطقة الحكم العام قد تم إنشاءه في تشرين الثاني 1940 على نسق "غيتو لودز" ، أما غيتو "كراكوفيا، و لوبلين" فقد تم إنشاءهما في آذار 1941، بالإضافة الى غيتوهات في أكثر من موضع وذلك حتى نهاية 1941 وبعضاً من 1942.

في الأيام الأولى كان إنشاء الغيتوهات المغلقة في "لودز" كما في "فرصوفيا" تهدف الى إعتصار السكان المساكين الذين كانوا يصرفون أموالهم الخاصة في سبيل شراء لقمة العيش. أما عن المجاعة والوباء، فلم يكن منهما إلا حصد أرواح حتى بلغت

نسبة الأموات أعلاها في تلك الغيتوهات. وكانت الحكومة النازية مضطرة لاتخاذ مواقف، مما كان يدفع ببعض المسؤولين النازيين الى ترك المجاعة تحصد الناس عن عمد، علها تخفف من أعدادهم، إن لم تأت عليهم كلهم. ولكن وجهات النظر هذه لم تكن مقبولة، تاركة المجال لخيار آخر أن يغلب عليها وهو تأمين عمل لهؤلاء داخل الغيتوهات تساعدهم على كسب عيشهم[163].

توصل المسؤولون النازيون في الشرق الى تطبيع الحالة بعد أن بالغوا باستعمال تدابير تعسفية كـــ: الزج التعسفي في الغيتوهات. الوجود اليهودي أصبح مؤقتاً الآن ولن يشغلوا بالهم عن مصير هؤلاء بعد ذلك، خاصة أن تدهور شروط المعيشة أصبح ذريعة يتعللون بها من أجل الضغط على برلين في حل هذه المسألة في أسرع وقت. ولكن عندما ظهر أن النتيجة ستكون بموت مئات منهم من الخور والجوع، اتخذ القرار بإعالتهم دون أن يخفي المسؤولون رغبتهم بالخلاص منهم وبضرورة إيجاد حل سريع لهم. ولكن يبدو أن تغيراً ظهرت نتائجه فيما بعد قد أخذ يعرف طريقه الى الأذهان. *اليهود القادرين على العمل سيوفرون مردوداً يجعل المسؤولين يفكرون باستغلال مجهوداتهم. ولكن اليهود الغير قادرين على العمل، فإن غيابهم لن يأسف له أحد.*

هملر بدوره، لاحظ أن الأمور تتباطئ وأن عملية ترحيل اليهود خارج أوروبا تتراجع يوماً بعد يوم. ألا يمكن استعمال وسائل أخرى لتخفيف الحمل؟ هو يعرف عملية الأوتانازي (قتل رحيم لمن به مرض)، ووسائل أخرى سبق لهم استخدامها، كانت قد ساهمت أجهزة شرطة مكافحة الجرائم التقنية بإنجازها. وفي بداية عام 1941 طلب من (بوهلر)، رئيس مفوضية الفهرر، بوضع منظمته على مساعدته في قتل المحجوزين المقعدين والمصابين منهم بمرض عضال، الموجودين في هذه الغيتوهات. حملت هذه العملية الرمز "14 أف 13"، وكان حصيلتها 20 ألف ضحية. الضخ بالغاز هو عملية ناجحة من الممكن تطبيقها على فئة أخرى من الناس، ولكن هملر لم يفكر بعد باستعمالها ضد اليهود.

وفي نورنبرغ، قام (فيكتور براك، أحد مسؤولي مفوضية الفهرر ومدير عملية القتل الرحيم، بالتصريح بأن هملر كان قد حدثه في كانون الثاني 1941 عن رغبته في

"إصابة اليهود بالعقم" وهو يريده أن يبحث في إمكانية "عملية تعقيم جماعي[164]". فما كان من (براك) إلا أن قدم إليه، في 28 آذار 1941، محصلة أبحاثه وتحرياته: العملية ممكنة؛ واضعاً بنفسه تحت تصرفه، نظرياً وعملياً، في متابعة هذه العملية. وكان هملر قد أجابه بعد مرور ستة أسابيع على ذلك، بأنه قد قرأ التقرير وأنه سيتداوله معه في أول فرصة يتاح له لقاؤه فيها[165]. و لم تتطور الأمور إلا في 1942 حين أثار هملر قضية تعقيم كل اليهود. أثناء ذلك كانت عملية الإبادة قد بدأت، وهي عملية لم يكن هملر يعتبرها حلاً للمشكلة اليهودية الى بداية 1941.

ولكن أموراً كثيرة لم يكن قد تم التحضير لها في بداية 1941. على طرف من أطراف مدينة صغيرة تدعى "أوزفيتش" في بولونيا الملحقة، كان هناك معتقل جماعي ضم مسجونين سياسيين بولونيين، تم إنشاءه في 1940. في مطلع سنة 1941 تم توسيع هذا المعتقل كي يستوعب 100 ألف سجين حرب سوفياتي. ومن أجل إسكان القيمين على ذلك المخيم الكبير، تم طرد 6000 يهودي من المخيم كي يتوزعوا على عدة مدن في المنطقة[166]، ثم أعيد إلحاقهم فيما بعد الى المخيم الذي كان قد تحول الى قاعدة للإبادة.

الفصل الرابع

مصير اليهود السوفيات

في 22 حزيران 1941، هجم الجيش الألماني على الحدود السوفياتية، منقلباً بذلك على خصم لم يكن جاهزاً للمعركة. في الوقت الذي كان فيه الجيش يتوغل في عمق البلاد، كانت وحدات الشرطة والشعبات الخاصة في المؤخرة تعمل تقتيلاً، بشكل لا سابق له. عمدت الى عمليات قتل جماعية رمياً بالرصاص ببربرية رهيبة لم يعهد لها مثيل. وقد شهد في نورنبرغ، على حصول تلك العمليات شاهد عيان ألماني كان يقيم في الإتحاد السوفياتي، قائلاً أنه سمع رشقات رصاص قوية:

"التففت حول مرتفع التراب، فوجدت نفسي أمام حفرة ضخمة، في داخلها أناس كثيرون، مكدسون بعضهم جنب بعض، لا يرى منهم سوى الرؤوس. وكان من المصابين من كان ما يزال يتحرك. وفيهم من رفع يده إشارة الى أنه ما زال حياً. وكانت الحفرة ملأى الى ثلاثة أرباعها. وبحسب تقديري كان في الحفرة حوالي حوالي شخص. بحثت بنظري عن مطلق النار، فوجدت رجلاً من قوات الشعبة الخاصة، جالساً على حافة الحفرة، مدلدلاً رجليه داخل الحفرة، يضع البندقية الرشاش فوق ركبه، بينما كان يدخن سيجارة. كانت الضحايا العارية تماماً قد نزلت الى الحفرة بواسطة سلم تم حفره على أحد حزيرانبها، ثم متقدمة فيها متزحلقة فوق رؤوس الضحايا التي كانت ما تزال تنازع هناك، وصولاً الى المكان الذي كان يشير إليه رجل الشعبة الخاصة. ثم تنام فوق المقتولين الذي سبقوها في تنفيذ حكم الإعدام بهم. وفيهم من كان يلامس الأحياء، يحدثهم بصوت خافت، ثم سمعت رشقة من الطلقات[167]...".

حوالي الـــ 500 ألف شخص، رجال، نساء وأطفال تم إعدامهم بهذه الطريقة، في عام 1941، ومثل هذا العدد في السنوات التالية. وبذلك سجلت الحرب النازية ضد الإتحاد السوفياتي نقلة جذرية في أسلوب الحروب قياساً الى الحروب السابقة

بحيث تطورت وسائل القتل لديهمز وهكذا سجل النظام النازي جرائم بلغت حد الذروة.

بالنظر الى حجم المجازر، وبالنظر الى تعدد أساليبها، فإنه يكون من الطبيعي التفكير بأن عملية إبادة اليهود الأوروبيين قد أتخذ القرار بشأنها، قبل 22 حزيران 1941. إن أكثر المؤرخين يتفقون على أن القرار بالموت قد سبق إتخاذه الحملة على الإتحاد السوفياتي، وعلى الأرجح في ربيع 1941[168].

إن قراءة هذا الأحداث هي في متناول الجميع، وذلك لتضمنها كتب التاريخ، إلا أنها تستند الى وثائق ضعيفة وهزيلة لا تعبر عن رؤية واضحة للعقيدة الهتلرية. هذه العقيدة التي لم يخفها هتلر، عامداً دائماً الى ربط البولشيفية مع اليهودية، مشدداً عزمه على القضاء على الأولى كما على الثانية. أو أنه عزم على الحصول على إمبراطورية في المساحات الواقعة الى الشرق من ألمانيا، فقط لأنها مرتبطة بتفكيره بتدميره اليهود. على الرغم ما في هذه الدلائل من الحقيقة نظراً للنتائج، إلا أن عقبة كبيرة تعترضها: إن العناصر التي بين أيدينا تشير الى أن التحضيرات التي اعتمدها الألمان في القضاء على اليهود في أوروبا، لم تبدأ قبل الخريف 1941. فإذا كان القرار قد اتخذ في الربيع، فكيف نستطيع شرح التأخير الذي حصل في تنفيذ هذه العملية؟

بالطبع، يمكننا الإلتفاف حول الموضوع ونقول أنه كان هناك نصان إثنان للإبادة؛ الأول صدر في الربيع ويتعلق بإبادة يهود الإتحاد السوفياتي، والثاني في الصيف متعلق بيهود أوروبا[169]. يبقى أمامنا أن نشير، وبطريقة مقنعة، الأسباب التي تكمن وراء هذا النص المزدوج. ولكن يبقى العائق الأساسي من طبيعة مغايرة. إن هناك ما يدفعنا للشك بوجود النص الأول من هذه القرارات. من المؤكد أن اليهود السوفيات قد بدأت إبادتهم أثناء الحملة على الإتحاد السوفياتي. ولكن إذا كانت الإبادة قد بدأت في أيلول، فكيف كان الأمر في بداية الحملة؟ بقياس الزمن، فإن مدة شهرين أو ثلاثة أشهر تعتبر مدة زمنية بسيطة، ولكن في مواقف أخرى كهذه، فإن أسابيع عدة كافية لقلب نظام رأساً على عقب[170].

على هذا المستوى من البحث، فإن المؤرخ يدخل في غياهب ظلام دامس، اكتنفه الغبار بكثرة. ليس هناك أي ضوء ينيرنا حول فحوى المحادثات التي جرت بين هتلر

وهملر، بخصوص المقترحات التي قدمت، أو المبادرات التي اتخذت، أو حتى الأوامر التي أعطيت. ومن أجل التعويض عن الوثائق، البخيلة بالمعلومات أصلاً، ليس هناك من وسيلة أخرى سوى الانتقال بالبحث الى مستوى الرجال المنفذين لهذه العمليات، كبروا أم صغروا، ثم محاولة استقراء الأهداف التي سعوا الى وصولها، والتي فرضتها السياسة التي عملوا على تطبيقها في الأشهر الأولى للحملة على الاتحاد السوفياتي؛ الحملة التي قرر لها المسؤولون النازيون أن تكون خاطفة تنتهي مع نهاية الصيف.

إن التحضيرات العسكرية والسياسية للحملة كانت قد بدأت مع مطلع العام. وكان هتلر قد أعلم جميع رؤساء الأقسام وقيادات الأركان في آذار، بالأهداف التي يسعى للوصول إليها، من وراء هذه الحملة. قال لهم أن هذه الحملة هي ليست للحرب العادية، ولكنها معركة حتى الموت، معركة بين عقيدتين. فهو إذن لم يكن ينوي الحرب من أجل الإبقاء على الخصم، وإنما من أجل إفنائه. إن الإتحاد السوفياتي لا بد له وأن يختفي، وذلك باستعمال "أقصى درجات العنف". إن تصفية الموظفين الشيوعيين علاوة على الطبقة المثقفة "اليهودية – البولشيفية" لا بد من معالجتها. أما في المستقبل، فقد كان ينوي إنشاء عدة دول ساتاليت على أن تكون خاضعة تماماً من أي طبقة حاكمة. هتلر كان يتطلع الى أن يفهم الجيش أن الحرب في الشرق يجب أن تكون مختلفة عن مثيلتها، التي سبق وأن قاموا بها، في غرب أوروبا. إن المفتشين الشيوعيين، بالنسبة لهتلر، هم مجرمون يجب أن يعاملوا على هذا الأساس[171]. وهكذا تقررت إرادة هتلر في عدم احترام مقاييس القانون الدولي في الحروب القادمة. وقد أجابه الجيش على ما كان ينتظره منه، بدون أي مشكلة تواجهه، مرتكزاً على توجيهات فوق العادة. من جهة ثانية، فإن المحاكم العسكرية كان قد بطل عملها إبان الحملة على روسيا، فلم يعد الجندي مسؤول أمام القانون عما يفعله، تنفيذاً لأوامر. إن تمرد سكان المناطق الروسية جوبه بتصفيات في الوقت الذي تغاضت فيه قيادة الجيش عن معاقبة مآذارات افرادها. من جهة أخرى، عملت التوجيهات على عدم اعتبار المفتشين السياسيين أسرى حرب، بل معتقلين ينفذ فيهم حكم الإعدام ابتداء من لحظة اعتقالهم. و لم يكن هذا التصرف ليسيء الى قيادات الأمن العسكري. وهكذا نفذ حكم الإعدام بمجموعة من الأشخاص لا لشيء سوى لمناصب كانوا يشغلونها.

وكان الجيش قد غير من تصرفاته إثر الحملة على بولونيا، التي كان مبعثها نجاح هتلر المنقطع النظير، والذي كان سبباً مباشراً في هذا التغيير. ولكن كره الشيوعية وأيضاً احتقار السلافيين، دون أن ننسى الانتقادات اللاذعة التي كانت توجه لليهود؛ كل ذلك كان عاملاً في التشدد. و لم يكن المسؤولون العسكريون بأقل سعادة من الجنود حين راحوا يلقون بالمسؤولية على هملر الذي يتلقى أوامره مباشرة من هتلر. بموجب الاتفاق الذي عقده (هيدريش) تستطيع وحدات التدخل أن تقوم "تحت مسؤوليتها" بمهمة تطهير في مناطق العمليات العسكرية. لكن (هملر) طلب السماح بتعيين "رؤساء عالين" من الـــ أس أس والشرطة كممثلين مباشرين لسلطته. يضاف إليهم مساعدون من عناصر قوات الشرطة والـــ أس أس، وكذلك من أفراد وحدات التدخل. وقد حصل (هملر) على ما طلبه.

حول طبيعة هذه "المهمة الخاصة" التي أوكلها هتلر الى رئيس الشرطة، لا يوجد وثيقة يعود تاريخها الى الشهور الأولى من سنة 1941 يستطاع الاعتماد عليها. وقد صرح (غورينغ) الى رئيس قسم التسليح العسكري في 26 شباط 1941 بأنه "يعتقد الفهرر أن الدولة السوفياتية ستسقط برمتها لحظة دخول الجيوش الألمانية الى الاتحاد السوفياتي"[172]، وأضاف بأنه "ينبغي تصفية الزعماء البلشفيين بسرعة". وكان لدى هتلر مشاريع أوسع، لا لأنه تحدث عن تصفية للجهاز الشيوعي فقط بل أيضاً "الطبقة المثقفة اليهودية البولشيفية". ولو أخذنا كلامه بنصه الحرفي، فإنه يهدف تحديداً كل المثقفين اليهود الذين، وبحسب رأيه، يشكلون خط الدفاع للنظام السوفياتي. وإن صحت هذه القراءة، فإن مهمة قوات هملر في الاتحاد السوفياتي لم تكن لتختلف في طبيعتها عن تلك التي آذارها في بولونيا. وهنا كما هناك. تدمير عنيف لمؤسسات الدولة ومحو للطبقة الحاكمة؛ فهم كانوا يعرفون مسبقاً أن التدابير ستكون هنا أشد حزماً في حال أن النخبة الحاكمة تختلط هنا في الرواية النازية مع العرق العدو.

إن الوثائق الوحيدة التي يمكن لها أن تعطينا فكرة عن مهمة وحدات التدخل، هي التي تحمل توقيع (هيدريش)، كما تحمل تاريخ بداية الحملة. إن الوثيقة الأولى هي عبارة عن رسالة بتاريخ 2 تموز، موجهة الى HSSPF، كان هملر قد أشار إليها في

أوراقه[173] .بما أنه لم يجد الفرصة المناسبة للإجتماع بهم في برلين، قبل مغادرتهم، لذا، كتب إليهم (هيدريش) يعلمهم بالتدابير الأساسية التي كان قد أعطاها لقوات التدخل. وكانت مهمتهم هي حفظ الأمن في الأراضي المحتلة. بالإضافة الى مهامهم المعتادة (حفظ الأرشيف، وضع شبكة اتصالات ومراقبة، الخ)، توكل إليهم مهمة إعدام بعض الفئات؛ على رأس القائمة المسؤولين في الحزب الشيوعي، ثم العناصر الرئيسية فيه، وأخيراً اليهود الذين يشغلون مناصب مهمة في الحزب وفي الدولة. من جانب آخر، فإن اندلاع الفوضى والاضطرابات الدموية المنظمة من قبل الشعب الروسي من شأنها تشجيع وتنظيم الأعمال التي قاموا بها في الأيام الأولى للإحتلال. أما الوثيقة الثانية والمؤرخة 17 جويلية، جاءت على شكل مشروع منذ آخر حزيران. وفيها يعطي (هيدريش) تعليمات تتعلق بفئات الأشخاص التي وقع عليها الإختيار، ثم إعدامهم على أنهم مجرمو حرب سوفيات على أن يكون اليهود السوفيات من بين هؤلاء الأشخاص الذين سينفذ فيها الإعدام[174].

أي من هذه الوثائق لا يشير، أو لا يسمح بالاستنتاج بوجود، أمر بإبادة الشعب اليهودي، مع أن الوثيقتين تظهران أن تصرف النازيين أصبح أكثر قساوة منذ الحملة على بولونيا. من وجهة نظري، ليس هناك سبب مقنع لاستبعاد الوثيقة الأولى. من المؤكد أن (هيدريش) كتب يملي بشكل سريع تدابير واجب اتخاذها. من المشكوك فيه أن يكون قد شوه المطلوب، في الوقت الذي فيه هذه الرسالة موجهة الى من تقضي مهمته معاينة نشاط قوات التدخل. هل يعقل أن تكون رسالة كاذبة بغرض تقديمها الى السلطات العسكرية؟ ولكن (هيدريش) يشير الى أنه أمر رجاله بافتعال فوضى واضطرابات "دون أن يترك أثراً لمروره". كان يريد تحاشي الاحتكاك مع السلطات العسكرية.

هناك عناصر أخرى تبدو شاهدة لصالح صحة هذه الوثيقة. يقول (هيدريش) أن الهدف الفوري هو إحلال الأمن، دون مراعاة في المناطق المحتلة. ولكنه أضاف أن الهدف النهائي "والذي عليه يجب التشديد" هو "المسالمة الاقتصادية". وهذا ما نتج عنه الانشغال الرئيسي للمسؤولين النازيين، القلقين على مباشرة العمل فوراً في إستغلال خيرات البلاد. بإشارته الى تلك الأفضلية، لم يضف أي شيء بخصوص

اليهود. من جانب آخر، بإشارته الى أخذهم كهدف، "اليهود الذين يشغلون مناصب في الحزب والدولة"، فإن (هيدريش) قصد، حتماً النخبة من الشعب اليهودي. وهنا نجد الرغبة التي عبر عنها هتلر عندما رمى الى تصفية الطبقة الحاكمة "اليهودية – البولشيفية".

إن الأمر بإثارة الشعب يظهر من ناحية أخرى، أن مهمة قوات التدخل فاضت حتى شملت تصفية فئة أخرى من الطبقة الإجتماعية. إن الشعب اليهودي ضرب، بدون تمييز، وعذّب في الأيام الأولى للاحتلال. ولكن أمراً كهذا لا معنى له إذا كان الهدف هو مباشرة تصفية. بين ما سيصبح فيما بعد تنظيماً عرقياً وسرياً للإبادة الجماعية، ولإستعمال العنف الأكثر وحشية والأكثر شمولية، يوجد عالم من الأفكار. إن المذابح لم يكن لها إلا لتضاعف حركة الهرب. وبعد أشهر، وعندما أخذت الإبادة طريقها، كان رجال (هيدريش) يلجأون، على العكس، الى الحيلة في تطمين الشعب اليهودي، الى إقناعهم بالبقاء في أماكنهم، حتى أنهم ذهبوا الى إقناع الهاربين بالعودة، بطريقة تسمح لهم بقتلهم كلهم. إن فكرة تنظيم إضطرابات دموية لا يمكن شرحها بشكل نهائي، إلا إذا أخذنا بالاعتبار قصر مدة الحملة. كانت الوسيلة التي جعلهم يسددون لليهود ضربات إضافية، نظراً لبعض العناصر التي وضعت بتصرفهم، والتي بلغ عددها 3000 رجل مقابل ضخامة الإتحاد السوفياتي.

هل هناك مصادر أخرى يمكن لها أن تلقي ضوءاً إضافياً على هذه المرحلة؟ عدا (هملر، هيدريش، غورينغ) ومسؤولين كبار، كان هناك رجل متورط بتحضيرات للحملة، هو (ألفرد روزنبرغ)، كان هتلر قد عينه في أواخر آذار، على رأس مجموعة سميت "المكتب السياسي لقضية الشرق". وكان هتلر قد أكد تعيينه في 20 نيسان، بصفته مسؤولاً عن الإدارة المستقبلية للأراضي المحتلة. وفي 17 جويلية عيّنه وزيراً لأراضي الشرق. وكان (روزنبرغ) قد عرض خطياً، ربما الى هتلر، الأهداف المأمول الوصول إليها. عدا، "التدمير الكامل لإدارة الدولة اليهودية –البولشيفية، وتجزيء البلاد الى عدة مناطق، كان روزنبرغ ينوي نقل الشعب، خاصة سكان بلدان البلطيق، وتفريغها من كل السكان تمهيداً لألمنتها. قال (روزنبرغ) أن اليهود القاطنين

في المنطقة بالإضافة الى الأشخاص الغير مرغوب فيهم، سيعاد زرعهم في مناطق أخرى كـــ "بيلوروسيا"[175].

وفي مذكرة بتاريخ 29 نيسان حيث نوه بالخطوط الكبيرة لمهمته، كتب يقول إن "المسألة اليهودية، تتطلب تنظيماً شاملاً ، لذا، فإن والى أن يحين ذلك، لا بد من حل انتقالي يطبق، والذي يجب أن يتضمن تدابير خاصة مثل إجبارهم على العمل والإغلاق عليهم في غيتو[176].هذا الحل الإنتقالي ليس له أن يؤدي الى إبادة ولكن الى ترحيل. في توجيهات بتاريخ 3 أيلول، موجهة الى المسؤولين عن إدارته، كان واضحاً أيضاً أن حل المسألة اليهودية في كل أوروبا، لن يبت فيها قبل انتهاء الحرب. أثناء ذلك، فإن عدة تدابير تم إتخاذها منها إعادة تصنيف اليهود في مجال الزراعة وفي بث اللغة العبرية[177]. إن إعادة غرس اليهود في أراض غير محددة، بالنسبة لـــ (روزنبرغ) يشكل "حلاً نهائياً للقضية اليهودية". إذا كان هناك مخطط لإبادة اليهود السوفيات، فإن (روزنبرغ) لا يمكن أن يكون قد عرف به. هل كان هتلر قد عهد إليه بتلك المهام دون أن يكون قد وضعه في سياق قرار بهذه الخطورة، وهو الذي وضعه في هذا المنصب المسؤول؟ لا نستطيع استبعاد ذلك مع أنه، وكما يبدو، أمراً قليل الاحتمال.

ولنلتفت الآن الى هملر الذي كانت علاقاته، ومنذ اللحظة الأولى، مع (روزنبرغ) علاقات تحد وعداوة. في نهاية شهر أيار، توجه الى (بورمان) يسأله مساعدته بالتصدي لمطالب (روزنبرغ)، وبإخضاعه لسلطته في الأراضي المحتلة القادمة. في 16 حزيران كتب (بورمان) الى مسؤول مفوضية الرايخ (لامر) بشأن ما طلبه منه هملر. وشدد على أهمية المهمة التي سينفذها في الشرق، ثم أضاف أن على الشرطة أن يكون لها الكفاءة الكافية على تنفيذ المهمة الموكولة إليها، "خاصة في الأسابيع والأشهر الأولى"، سيكون لها اليد الطولى في الأمر وأنها لن تقع عليها ملامة[178]. وهنا أيضاً يبدو الأفق وكأنه يشير الى حملة سريعة وقصيرة المدة، وأن مهمة هملر يجب أن تتم على أحسن ما يرام، فيما هو مهم في الوقت الحالي.

حول تطلعات هملر المستقبلية، إننا نملك وثيقة تستحق الذكر، وهي تتعلق بـــ "المخطط العام للجيش Generalplan Ost الغني عن التعريف. وفي هذه المذكرة التي طلبها من أحد معاونيه بتاريخ 24 حزيران، تسلمها في 15 جويلية، كما تذكر

الوثيقة التي عاشت مع أن النص نفسه لم يعش[179]. أما عن محتواها فقد توصلنا إليه بعد تحليل نقدي كان قد قام به أحد المسؤولين في وزارة (روزنبرغ) في ربيع 1942[180]. وعلى العكس مما كان يؤكد دائماً، فإنه من غير المحتمل أن تكون الوثيقة التي تم تحليلها تتعلق بمخطط آخر، كانت الـ RSHA قد قامت بتحريره في نهاية 1941[181]. "مخطط الشرق" هذا يرمي الى طرد عشرات الملايين من الأشخاص – 31 مليون – خارج أراضي شرق المانيا، وإسكان مكانهم 405 مليون شخص مستقدمين من المستعمرات الألمانية، على أن تتم هذه العملية خلال مدة 30 عاماً. أما سريان الطرد فإنه من المقترح أن يكون بإتجاه سيبيريا الغربية[182].

إن انتقال الأشخاص الذي كان يمارس في بولونيا الملحقة إمحى بالمقارنة مع ما كان مقرراً له أن يكون. ما يتعلق منه باليهود، فإن الوثيقة لها أهمية خاصة لأن من 5 الى 6 ملايين يهودي، يسكنون الإتحاد السوفياتي كان واضحاً أنهم من ضمن مجموع قارب الـ 31 مليون معدين للطرد[183]. أما عن مصيرهم، فلم تكن الإبادة وإنما إعادة غرسهم الجبري في الجهة المقابلة لسلسلة جبال الأورال. وكما أشار محرر المذكرة في رسالته المؤرخة في 15 جويلية، فإنه أتم مخططه وفقاً "لتوجيهات ولتعليمات" كان هملر قد أعطاها له، خلال مقابلة إدارية في 24 حزيران. فمن غير المحتمل أن يكون هملر قد نسي أن يتحدث عن موقعه بالنسبة لهذه النقطة؟

فلنلتفت الآن نحو (فرانك). ففي 19 حزيران، كان (غوبلس) جالساً عند هتلر بحضور (فرانك) الذي كان يحدثهم عن الوضع في منطقة "الحكم العام". يقول (غوبلس) في هذا الخصوص:"[...] وكنا فرحين بالقدرة على طرد اليهود[184]". الحدث السعيد بدا قريبا وقد فهمه (فرانك) على هذا الشكل أيضاً. وعندما عاد الى كراكوفيا، أعلن أن الفهرر قال له على استعجال أن اليهود سيتركون منطقة "الحكم العام" في "مستقبل قريب"؛ وبنتيجته أوقف العمل في بناء الغيتوهات[185]. وكان قد فهم كلام هتلر وكأنه تعبير عن سياسة متفق عليها بجدية. وكما كانت تشير وثائق أخرى فإنه قد فهم أن اليهود وأيضاً العناصر الأخرى الخارجة عن المجتمع في بولونيا، سيرحلون الى أماكن أخرى من الشرق[186]. في 19 تموز، كتب الى (لامر) يطالبه بضم" مستنقعات "بريبيه" الى منطقة "الحكم العام، لكونها لا أهمية اقتصادية لها، من

أجل إسكان اليهود فيها. وكان باقتراحه وضع هذه الأراضي في مصلحة الاقتصاد، فإنه قدم للرايخ عملاً منتجاً ذا منفعة[187].

هل كان هتلر ينوي ترحيل كل يهود أوروبا الى الأراضي الجديدة في الشرق؟. وثيقة أخرى تؤكد ذلك. ففي 16 آب 1941، إشتكى (انتونيسكو)، رئيس الدولة الرومانية، من تهجير القوات الألمانية في أوكرانيا ليهود بيصاربيا، الذين كان الجيش الروماني قد سبق وقام بتهجيرهم نحو الشرق. وطلب (أونتونيسكو) الى الألمان بمنع عودة اليهود "عودة تعارض التوجيهات التي كان قد أعطاها له الفهرر في ميونيخ" فيما يهود الشرق. وأضاف بأن القوات الألمانية ليس عليها إلا أن تدفع بهم الى إتجاه آخر[188]. . وفي هذا إشارة الى يهود الشرق. وليس متسحيلاً أن يكون هتلر قد قصد كل يهود أوروبا. وفي 22 جويلية صرح رجل كرواتي عن نيته في التحدث الى الدول الأوروبية بشأن الإشراف بنفسها على إجراءات إبعاد اليهود؛ فليرسلوا بهم الى سيبيريا او الى مدغشقر، فإن الأمر عندي سيان[189] .

من كل ما مر معنا، فإننا لا نستطيع استنتاج خلاصة مطلقة بالرغم من الظلام الكبير الذي يغلف هذه المسألة، سوى أسطر قليلة. ليس هنا ولا أية وثيقة تفيد بأن هتلر قد أمر بإبادة اليهود السوفيات، أو انه أعد لها، قبل إعلان الحرب على روسيا. إن المصادر المتوافرة لدينا تفيد بأن الهدف كان دائماً في ترحيل يهود أوروبا ثم تجميعهم في مكان واحد. بما أن مشروع مدغشقر لم يكن رهن التطبيق في مستقبل منظور، فربما يكون هتلر تطلع الى إستبداله بأراضي الشرق. لا شيء يشير أيضاً الى أنه قد قرر ذلك؛ لأن التوقيت كان متروكاً لما بعد الحملة على الاتحاد السوفياتي والتي كانت نهايتها قريبة.

إن المصير الموعود لليهود السوفيات قد يعالج من الطرف الآخر، من خلال دراسة نشاط قوات هملر خلال صيف 1941. إن المؤرخين الذين يتحدثون عن أمر بالإبادة سابق على تاريخ 22 حزيران، يرتكزون على ما جاء في مصدرين: أولاُ، وثيقة "شتاليكر Stahlecker" الذي يؤرخ بداية 1942 التي سنتحدث عنها فيما بعد، التي تعتمد على شهادات بعض المنفذين للإبادة، أمام محكمة نورنبرغ، في قضية وحدات التدخل. بالنظر الى حالة التوثيق، فإن هذه الشهادات من شأنها التأثير سلباً على

حكم المؤرخين. إن المسؤولين عن وحدات التدخل هم أكثر الناس علماً بهذه الشؤون حيث كانوا يدلون بشهادات تناسب مع أقوال بعضهم البعض.

إن المتهم الرئيسي هو (أوتو أوهلندورف)، رئيس المجموعة "د" ، وهو الوحيد الذي حضر المحكمة من بين اربعة رؤساء مجموعات آخرين شاركوا في الحملة على الإتحاد السوفياتي. إثنان آخران ماتا، والرابع (أوتو راش) لم تسمع شهادته بسبب حالته الصحية المتدهورة. بإدانة (أوهلندروف) أدين عدة رؤساء أقسام "مغاوير تدخل" ، الوحدات العسكرية (أربعة أو خمسة تبعاً للحالة) التي كانت تتفرع منها عدة فروع. كل هؤلاء الرجال، ما عدا إثنان، يؤكدون على أنهم تلقوا من (برونو شتريكنباخ) رئيس المتطوعين في الـــRSHA أمراً بإبادة اليهود ، قبل الحملة بقليل، بناء على تعليمات صادرة من (هملر) و (هيدريش) بهذا الخصوص. إن الإعلان عن هذا "الأمر" كان من شأنه إثارة احتجاجات عامة نتج عنها مناقشات حادة مع (ستريكنباخ)، الذي وضع حداً للنقاش بالجزم أن التعليمات صدرت عن الفهرر[190] نفسه.

إن التناسب بين الشهادات من شأنه أن يثير العجب. فإنها تبدي غرابة الشهادة التي أدلى بها "المغوار الخامس" (إيروين شولتز)، الذي أكد أنه لم يسمع بهذا الأمر الصادر عن الفهرر، إلا بعد أسابيع فقط بعد تاريخ 22 حزيران. لكان المشهد أخذ شكلاً آخر في نورنبرغ، لو أن الشخص الآخر، رئيس المجموعة الذي كان ما يزال حياً، (أوتو راش) استطاع أن يحضر المحكمة وأن يدلي بشهادته لأمكننا الحكم على التصريح المبدئي الذي أدلى به محاميه. فقد كان من الواضح أن الكوموندو/ المغوار 5 قد قدم شهادته مطابقة لما قاله رئيسه (شولتز). الأمر بالإبادة لم يتم تسلمه من الفهرر إلا بعد أسابيع من بدء الحملة، بتاريخ لم يستطع تحديده، هل كان في آب أم في أيلول[191].

اليوم، عدد من المعطيات الجديدة ظهرت بمناسبة المحاكمة تقود الى التشكيك، أو على الأرجح الى إبطال الفرضية المدافع عنها في نورنبرغ. هذ الفرضية أعطت دوراً محورياً لـــ (ستريكنباخ) رغم أنها لم تكن من ضمن صلاحياته. بمنطقية لا تقبل الدحض، إن (هيدريش) بنفسه من نقل أمر الأمر بالإبادة. مهما يكن، فإن

(ستريكنباخ) الذي ادعى المتهمون في نورنبرغ[192] بأنه ميت، كان قد عاد من معتقل جماعي للسجناء السوفيات في منتصف الخمسينات، وأنكر أنه قام بنقل "الأمر الشهير". وكان رؤوساء مغاوير، كانوا حتى هذه الساعة قد نجوا من العدالة، قد أدلوا بشهادات تغالط النص الذي اعتمد في نورنبرغ. أخيراً، ثلاثة من المتهمين في ذلك الوقت قد تراجعوا عن شهاداتهم متذرعين أنهم كانوا تحت ضغوط قوية من (أوهلندورف) الذي، ولمصلحته في الدفاع عن نفسه، كان يريد استلام الأمر / الإبادة في أسرع وقت ممكن؛ إن الدور الذي كان قد لعبه تم التأكيد عليه من محامي بعض متهمي نورنبرغ، بمن فيهم محاموه هو[193].

بوضعها الحالي، فإن شهادات الرؤساء الأول للمغاوير، تكوّن بمجموعها نصوصاً متناقضة. إن عشرة أشخاص متهمين كلهم يحاولون على درجات متفاوتة، وكل لمصلحته الخاصة، خوفاً من مستقبل مجهول، يبني كلامه على إستراتيجية دفاعية، يتصارعون مع ذكرياتهم القاسية، بشكل أو آخر، محاولين إعادة تركيبها لعدة سنوات ماضية. هذا ما كان منتظراً منهم على أية حال. غير أن أحداً منهم لم يعد يذكر (ستريتباخ) بصفته المرسال الذي بلغ أمر الإبادة، مما يترك مجالاً أكيداً للشك حول حقيقة الشهادات التي قدمت في نورنبرغ[194]. وبالتسليم بوضع الأمور في عام 1973[195]، فإن عشرة من المغاوير، اثنان منهم يزعمان عدم تسلم أي أمر بالإبادة التي مورست على الشعب اليهودي. واحد منهم ادعى، سابقاً، أنه تسلم هكذا أمر قبل بداية الحملة[196]، بينما الأربعة الباقون يدعون تسلم الأمر بعد بداية الحملة. بعضهم ينسبها الى نهاية شهر تموز، والبعض الآخر ينسبونها الى شهر آب[197].

إن الأربعة الباقين يؤكدون على أن "أمر" الفهرر قد نقل إليهم قبل 22 حزيران، وأن (هيدريش) من قام بنقله. ولكنهم يختلفون حول المكان الذي تم فيه الحدث، إثنان منهم قالا "في برلين"، أما الآخران فنسبوه الى بريتزيش Pretzsch، المدينة التي تم فيها تشكيل القوات[198]، في الوقت الذي كانت فيه كل الشهادات السابقة تؤكد على أن (هيدريش) مر بالمدينة لتفقد رجاله دون أن يتوقف فيها. أما فيما يتعلق بالمؤتمر الذي عقد في برلين حوالي منتصف حزيران، فإن (إروين شولتز) قد أعطى شهادة مفصلة حوله، لم يخالفه فيها أي من المتهمين[199]. وبحسب رواية (شولتز) أن

(هيدريش) قد أعلمهم بانطلاق الحملة الفوري، وأنه قدم للمعركة القادمة على أنها صراع عقيدتين. إن البولشيفية لا ترتدع أمام أي شيء وأن اليهود هم أعداء شرسون يجب ضربهم أقسى مما حصل في بولونيا. أما من حيث قضية إبادة للشعب اليهودي، فإن ذلك لم يكن[200].

إن شهادات البعض والبعض الآخر تتوزع بطريقة عادلة. ولكنها لا تتطابق بشكل عادل مع الشكل الذي قامت به قوات (هيدريش) بأداء مهمتها. إن التحقيقات القضائية أظهرت في الواقع أن الضحايا كانوا بغالبيتهم من الرجال، بعضهم في سن المراهقة. أما تصفية النساء والأطفال، فقد جرت بعد عدة أسابيع من بداية شهر آب، بطريقة دورية. إن كون شهادات رؤساء القوات بأن أمر الإبادة قد تم تسلّمه قبل الحملة، فإنها لا تتطابق مع أقوال المغاوير[201]، مما يخلق أيضاً جواً من عدم المطابقة في الأقوال.

إننا نرى، بعد الأخذ بعين الاعتبار، مثلاً، الشروحات التي قدمها (فيلبرت) رئيس المغاوير 9، والتي أكد فيها على أن أمر الإبادة الذي نقله (هيدريش) كان واضحاً تمام الوضوح، وأنه يشمل كل الشعب اليهودي؛ ولكنه، هو شخصياً، لم يطبقه إلا على الرجال بالرغم من الضغوطات التي مارستها برلين. كان قد استلم أمراً حتمياً بالقضاء أيضاً على النساء والأطفال[202]. إن مرؤوسيه كانوا قد صرحوا بانهم يتذكرون البلاغ الذي وصلهم عن ذاك "الأمر" في الأيام الأخيرة من تموز، ولكنهم يؤكدون على أنه كان يتعلق "بتوسيع" أو "تشديد" التعليمات السابقة التي كانوا قد طبقوها قبل ذلك.[203]

مثال آخر يتعلق بالمغوار تلسيت، المتخصص في ادارة العمليات على الجانب الآخر الحدود اللتوانية، للتخفيف عن القوات ومساعدتهم في التقدم السريع نحو الشرق. بحسب تصريحات المسؤولين عنه المباشرين، أنه إثر اندلاع الحرب، أعطى رئيس المجموعة أ، (والتر شتاهلوسكور stahlesker) أمراً بقتل كل اليهود، بمن فيهم النساء والأطفال، على عمق 25 كلم داخل الحدود. وكما أظهرت تحريات المحكمة، أنه حتى شهر آب، كانت الضحايا في غالبيتها من الرجال. وألمح رئيس المغاوير الى حالة الضغط التي كان يمارسها شتاهلوسكور عليه، من أجل الاسراع بتنفيذ "الأمر"،

ولكنه أنكر القيام بذلك. فقد كان المتعاونون اللتوانيون قد باشروا بأنفسهم إطلاق الرصاص على النساء والأطفال[204].

هذا التأكيد الأخير لم يقنع المحكمة، لأن الشيء المهم يكمن في مكان آخر. وكما نقل (فيلبرت) فإن رئيس المغاوير يحاول أن يبحث عن إرضاء لضميره في عدم تنفيذه الأمر المعطى له. مع العلم أن هذا الأمر كان يمكن له أن يكون واضحاً متضمناً لسلطة لا تقاوم. هملر بنفسه كان قد أكد هذا الأمر خطياً. إنه واضح للعيان أن المتهم يبالغ دون أن يستطيع إخراج نفسه من الموقف كما فعل (فيلبرت). إذا كان "الأمر" قد صدر فعلاً بالطريقة التي تحدثوا بها، لكان قام بتنفيذ ما طلب منه. وإن لم يفعل، فذلك لأنه لم يكن هناك "أمراً فعلياً" بهذه العملية. لن نستطيع الجزم بأن "أمراً بالإبادة" قد أعطي بطريقة واضحة أو واضحة. سنتحدث عن ذلك فيما بعد.

إن التحقيقات القضائية قد أظهرت أن هناك دليلاً جديداً: طريقة التنفيذ المستعملة تختلف إختلافاً جذرياً. في الاسابيع الأولى، تم قتل الضحايا وفقاً لقانون الحصار حيث طبقت عليهم أحكام عرفية. إن فصيلة تنفيذ الأحكام حملت عدداً من البنادق مماثل لعدد الضحايا. تمت تصفية الضحايا بالبنادق. أطلقت رشقة من الرصاص بناء على أمر صدر بإطلاق النار. مفرزة المغوار تلسيت[205] كانت تعرف بمهمة "تنفيذ حكم الإعدام". أما الضحايا الذين احتفظوا بملابسهم فقد تم إلقاؤهم في حفرة.

بعد عدة أسابيع، اتخذت الأشياء طابعاً مختلفاً، فبدلاً عن فصيلة التنفيذ قامت فصائل الـــ SS بتناوب الرمي بالرصاص في العنق أو في رؤوس الضحايا العراة، راكعين فوق طرف حفرة أو ممددين بداخلها. بداية، تلقى طبقة من التراب فوق صف من الجثث، ثم راحت الفصائل تمدد الضحايا الأحياء مباشرة فوق الجثث[206] . من الإجراء العسكري الى المذبحة الشاملة، كانت الوسائل تتغير وتتبدل ذلك أن الأمور، في وقت من الأوقات، دفعتهم لكسب الوقت. ولكن من الواضح أن هذا الإجراء الشامل لم يكن قد تم تحضيره أو سبق العلم به، كما أكد أولندروف بطريقة تصدق "لا تعليمات ولا أي تدريب حصل قبل الحملة[207]". يتم تطوير عمليات القتل وطرق تنفيذها بطريقة لم يكن أحداً من القتلة قد تصورها.

بالنظر الى هذه الأدلة فإن تفاصيل "أمر" كان قد أعطى بعد 22 حزيران تستحق أن تبنى عليها حقيقة ما، إذا ما توافقت مع الرواية المروية. إذا سلمنا جدلاً بأن رواية الرؤساء المغاوير الأربعة صحيحة، وكذلك رواية الشهود الآخرين، فإن أمر قتل العائلات اليهودية قد حصل عدة أسابيع بعد الدخول الى الإتحاد السوفياتي، أي في فترة واقعة بين نهاية تموز ونهاية آب. هملر نفسه من أصدر الأمر، حسب ما أكدته أقواله، وذلك أثناء زيارة سريعة له الى روسيا، كما فعل في منسك في منتصف آب[208]. من المحتمل أن يكون أمر التصفية قد تم إبلاغه ببعض الفروقات الزمنية بين المجموعات إلا أنه صوحب هذه المرة بمعايير تبيحه وتجعل منه أمراً صالحاً للتنفيذ.

وكان (شولتز) قد شهد بعد أن تم إستدعاؤه، من قبل رئيس مجموعته(راش) بعد 25 تموز الى جيتومير. صرح (شولتز) بأن اليهود كانوا يؤلفون جبهة في مؤخرة الجبهة مشكلين بذلك خطراً مميتاً على القوات. كما أن الفهرر كان قد أمر بتصفية كل اليهود الذين لا يعملون. بعد ذلك بقليل تلقى (شولتز) أمراً جديداً يقضي بقتل النساء والأطفال أيضاً وذلك منعاً لانتقامهم في المستقبل[209]. وكان (نوسك) رئيس المغاوير 12 الذي كان قد وافق على كلام أولندهروف في نورنبرغ، صرح قائلاً في 1971 مستدركاً، أنه بعد شهرين من بدأ الحملة، قام (أولندروف وراش) بإعلامه بأمر الإبادة متحدثين عن قتل نساء وأطفال، اي عن تصفيات خصوم المستقبل الألداء[210]. وفي منسك وفي 15 آب 1941 صرح هملر، إثر حضوره عملية تنفيذ، أنه شعر بالإشمئزاز، لكن المعركة القاسية التي يقودها الألمان تتطلب تدابيراً مماثلة. إن اليهود هم الذين صنعوا البولشيفية العالمية لذا يجب إبادتهم، كما أن هملر وهتلر يتحملان مسؤولية ذلك أمام التاريخ[211].

كل هذه التبريرات، سواء أكانت بشكل معلن أم مضمر، لها علاقة بالحرب الدائرة. إن اليهود من النساء والرجال والأطفال، يشكلون خطراً عسكرياً محتملاً. تبرير ذلك لا يحتاج الى مناقشة، وله دلالة ذات معنى. حتى بالنسبة للـــ SS كان لا بد من تبرير لقتل النساء والأطفال يتعلق بالأمن العسكري. هذه التبريرات كان لا بد للمسؤولين النازيين من إعطائها قبل الحملة، ذلك أنهم كانوا متأكدون من أن نصرهم سيكون سريعاً وسهلاً

إذا كان فكرة توسيع منطقة الحرب على مراحل تصدق الى حد بعيد، فذلك لا يعني أنها حقيقة. يبقى علينا فحص مصادر ذلك الوقت التي من شأنها أن تؤكد أو تنفي هذه الرواية. إن نشاط وحدات التدخل بشكل إستثنائي هو الأكثر توثيقاً وذلك بفضل نشرات شبه يومية كانت تبثها الـ RSHA التي كانت تجمع تقارير عن "عمل الجنود اليومي" وأيضاً أعمال المغاوير، بعد إجراء بعض التعديلات عليها. هذه التقارير تتضمن في الغالب الكثير من المعلومات المحددة. تعداد ضحايا المجازر الرهيبة يتابع مع كل وحدة على حدة[212].

إن هذه التقارير ومنذ البداية تبين أن رجال هيدريش قاموا بتصفيات على مستوى أشمل من مثيلتها في بولونيا وأن ضحاياهم تعد يومياً بالمئات. في الأيام الأولى كانت الإضطرابات تنظم بالتوافق مع الأوامر المعطاة والتي سجلت نسبة نجاح واضحة في أوكرانيا وفي البلقان، وعلى وجه الخصوص في لتوانيا حيث المدن الرئيسية فيها شهدت حالة جهنمية لا تطاق. إن الجماعات العسكرية نفسها قد قامت بإطلاق النار على رجال يهود ولكنها لم تقتل كل الرجال اليهود. إن التقارير الواردة تشير بوضوح الى أن أول دفعة من الضحايا كانت فئة المثقفين: مدرسون، محامون ورجال دين وغيرهم. أما الأطباء فلم يصدر بشأنهم أي أمر بالتصفية[213]. وبناء عليه فقد تم تجميع اليهود في مخيم في (منسك) ثم إخضاعهم لإمتحانات تم على ضوئها فرز أعضاء الإنتلجانسيا لتصفيتهم، أما الآخرين فقد تم تحويلهم الى الغيتوهات[214].

كانت قوات التدخل بالفعل تشكل أثناء مرورها لجاناً يهودية، تسن قوانين تأمر بحمل علامات فارقة، تنشىء غيتوهات، تنظم فتن ومذابح لم تؤد الى أكثر من إختفاء أعداد بسيطة من السكان اليهود. قوات التدخل هذه كانت تضرب بقوة وبعنف، وعلى رأسها (هيدريش) الذي كان يستحثها للوصول الى الخطوط الأمامية للجبهة. إن السرعة التي كانوا يعملون بها كانت كفيلة لجعلهم أكثر فعالية في إستحواذهم، خلال تقدمهم، على أرشيف في غاية الأهمية، وفي أسر مسؤولين شيوعيين، وأيضاً في مفاجئة اليهود. إن شغل هذه القوات الشاغل، في تنفيذ أمر الإبادة، كان يترجم

بالسرعة التي كانت تضرب بها، وكأنها في سباق مع الزمن. (هيدريش) كان يريد أن يرى رجاله قادرين على تنفيذ المهمة الموكولة إليهم في غضون وقت قليل. وكان قد صرح في 14 تموز تشكيل فرقة كوماندوس في الطليعة، تكون قادرة على دخول موسكو[215] مع الطلائع الأولى للحزب.

إن قوات التدخل نادراً ما كانت تذكر في تقاريرها الأوامر التي كانت تعطى لها. نص من نصوص المجموعة ب، يحمل تاريخ 5 آب، ويكوّن إستثناءً في هذا الموضوع[216]. في مضمون هذا النص إشارة الى أن مجمل النشاطات التي كانوا يمارسونها "الى الآن"، كانت موجهة ضد الأنتليجنسيا اليهودية، إما بيلاروسيون حيث كان ينفذ فيهم حكم الإعدام رمياً بالرصاص، في حال تبين أنهم عملاء شيوعيون يملكون حجة الإقناع. هكذا كان تعريف المهمة التي مارسوها:"[...] الضرب بالطريقة الأكثر نجاعة لطبقة المسؤولين اليهود – البولشفيك، بحيث لا يؤثر ذلك على الاقتصاد الروسي الذي من شأنه أن يفيد قوات الحرب الألمانية". نفس الالفاظ والتعابير جاءت في رسالة (هيدريش) الى قواته في 2 تموز.

هذا التقرير يؤكد بالمقابل حقيقة التصعيد. إن عبارة "الى الآن" تتكرر في عدة مواضع، عبارة من الأجدى مقاربتها مع مقطع آخر من التقرير: "في الأيام الأخيرة" أصبحت الأعمال ضد اليهود " على نطاق أوسع"، كما أن التصاريح بالعبور التي تم الحصول عليها من قبل السلطات العسكرية، لم يعد يعتد بها. إن محرر التقرير يحاول تبيين، دون أن يذكرها صراحة، تعارضاً بين المهمة التي تم تحديدها عند الإنطلاق، وتوجيه جديد للقضية، من شأنه أن يعارض الهدف المنشود، وهو إستغلال الاقتصاد الروسي الى أقصى الدرجات.

ولم تظهر الإشارات الى أن هناك إرادة للإبادة إلا في بداية آب. الإشارة الأولى تكمن في هذا المقطع من التقرير الخاص بفرقة الكوماندوس 10 أ (مجموعة د)، والذي فيه ينتقدون التصرف الأوكراني الرافض " لمبدأ إبادة شاملة لليهود الذين ما زالوا يعيشون هنا"[217]. في الاسابيع والأشهر التالية، نجد عدة إشارات من النوع نفسه. مبدئياً، لم يكن هناك سر إذن. وإذا كانت التقارير الأولى لا تظهر شيئاً من هذا القبيل ذلك لأنه لم يكن هناك داع للإرتكاز على أمر لم يكن له وجود.

على الرغم من الأراء القليلة حول المسألة اليهودية والحلول الناجعة لها إلا أنها ذات مؤشرات. فمثلاً في المقطع من التقرير المؤرخ في 23 تموز الصادر عن المجموعة ب، عن وضع اليهود في بيلاروسيا: حل للمسألة اليهودية يبدو أمراً من الصعب تحقيقه في هذه المنطقة، وذلك بسبب العدد الهائل لليهود فيها. لذا، لا يمكن حلها إلا بإعادة غرسهم في مناطق أخرى[218]. هنا نشعر بوجود قلق حيال هذه القضية، وكأن برلين قد طالبت بالتفكير وبالتحرك في هذا الإتجاه، في الوقت الذي كانت تشن فيه الحملة. وكأن الحل المراد تطبيقه لم يكن في متناول اليد بعد.

إن التقرير الذي رفعته المجموعة س، والمؤرخ في 14 آب، وربما يكون (راش) هو من قام بتحريره، ينذر بتنبيه من نوع آخر. فهو بذكره للمسألة اليهودية، يشير محرر التقرير الى ضرورة أخذ الحقائق الاقتصادية بعين الاعتبار. بإنتظار أن تحل القضية على الصعيد الأوروبي، فإن عموم اليهود يمكن توظيفهم في إستصلاح المستنقعات في بريبيه، وفي دنيبر، والفولغا. "موظفون ومنهكون" هكذا جاء في التقرير[219]. من الصعب تفسير هذا المقطع إلا بأن حلاً بديلاً سيطبق عما سبق وتم الاتفاق عليه. إنه حل مختلف من حيث المضمون ولكنه شبيه من حيث النتائج: فبدلاً من الإبادة الدموية مباشرة، فإن العمل المستمر ربما يقوم بالمهمة ويقضي عليهم. هذه الفكرة عادت تظهر من جديد في أيلول في تقرير آخر لنفس المجموعة[220].

إن العناصر المشار إليها حتى الآن تعني كل المجموعات ما عدا المجموعة أ، العاملة في بلدان البلطيق. فتقارير هذه المجموعة لا تشير، على سبيل المثال، الى الإنتلجانسيا اليهودية، مما يترك إنطباعاً أن نشاطات هذه المجموعة كانت منذ البداية أكثر عنفاً وأقل أهدافاً. كما أن تقريراً آخراً يشير الى أن في دونابرغ، في لتوانيا، في منتصف تموز ، كان الرجال اليهود يستوقفون ويرمون بالرصاص، في الوقت الذي كانت تنفى عائلاتهم من المدينة. هذا التقرير لم يتحدث عن إختيار، لأن الهدف كما بدا يكمن في تفريغ المدينة من السكان اليهود[221]. وفي هذه الحال لا يمكننا إستبعاد أن هذه المجموعة تعمل وفق إرشادات خاصة.

في الحقيقة أن الأمر معقول، ومحتمل أيضاً وذلك بسبب النوايا النازية. فأوستلالندا، أي بلاد البلطيق القديمة، بخلاف المناطق السوفياتية الأخرى، يجب أن تلحق بالرايخ. وفي أثناء محاضرة اقيمت في الأول من آب بحضور (روزنبرغ)، أعلن مفوض الرايخ المكلف بشؤون أوستلاند، (لوهس) بأنه وحسب تعليمات الفهرر، إن الهدف هو ألمنة تلك المنطقة، وإبعاد اليهود نهائياً عنها[222]. إن كلمة "إبعاد" بالنسبة لـــ (لوهس) لم تكن تعني "إبعاداً دموياً". إن مشروع الأوامر المعادية لليهود، الذي كتب عنه في تلك الفترة، ووجه بإعتراضات من قبل (شتاليكر) الذي يقول، في نص مؤرخ في 6 آب، بأن التدابير المقترحة لا تتوافق مع الأوامر المعطاة لقوات التدخل-المجموعة أ، بما يتعلق بمعاملة اليهود في أوستلاند[223]. كل هذه المعطيات تبدو وكأنها تشير الى أن الأوامر التي يتحدث عنها شتاليكر، في ذلك الوقت، كانت أوامر بالإبادة. ولكن هل كان الأمر كذلك منذ البداية؟ في بداية 1942 قام (شتاليكر) بتحرير وثيقة يقيم فيها نتائج نشاطات مجموعته الى تاريخ 15 تشرين الأول 1941. هي وثيقة طالما تكررت ولكن هذه تتضمن شهادات نورنبرغ، وهي المصدر الثاني الذي يؤكد، على ما يبدو، فرضية وجود أمر بالإبادة صدر، قبل الحملة على روسيا. كتب فيها (شتاليكر) يقول:"طبقاً للأوامر"، إن شرطة الأمن قد قررت حل المسألة اليهودية "بكل الوسائل وبحزم جازم". بعد عدة أسطر، يحدد (شتاليكر) بأنه كان حتمياً، منذ البداية، أن لا تحل المسألة اليهودية في بلدان البلطيق عن طريق إثارة الفتن فقط. لذا، فإن "عملية التطهير" كانت "تهدف الى تصفية أكبر عدد ممكن من اليهود، وذلك عملاً بالأوامر الأصلية[224]".

ليس من المستبعد أن يكون (شتاليكر)، بأثر رجعي، أن يكون قد أعطى لمهمته بعداً أكبر مما كانت عليه. ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا هو ما حدث بالفعل. إنه من المهم أن نسجل أنه لم يحدد الأمر المعطى على أنه "أمر" بإبادة كل اليهود. مع أنه في نهاية التقرير يستعمل عبارة "إلغاء تاماً". ولكن كان هذا من أجل أن يشير الى ما تبقى له من مهمته. برأيي، إن الشكل الذي عبر عنه بالأمر كان مقرراً له أن يفهم، تبعاً للظروف التي أعطي فيها، وتحديداً قصر المدة التي تتطلبها الحملة. من هذا المنظور، "فإن تصفية اليهود بأوسع شكل ممكن" لا تعني الإبادة. وإنما، بالطريقة التي

قيلت بها تعني، أنه أمر قابل للتطبيق طيلة مدة الحرب. في هذه الحال، تأتي التصفية في آخر المطاف.

من المحتمل أن تكون المجموعة أ قد حرضت على إتخاذ تدابير قاسية، وذلك لضمان تحرير المناطق بأسرع وقت ممكن من يهوديها. في كل الأحوال، إن الأمر لم يكن مهمة إبادة تمارس منذ الأسابيع الأولى. وفي مدينة كونو الواقعة تحت سيطرة هذه المجموعة هناك تقرير، بتاريخ 11 تموز، يشير الى مقتل 7800 يهودي خلال الفتن التي نشبت في تلك المنطقة، قسم منهم تم إعدامهم على أيدي متعاونين لتوانيين. ولكن هذا التقرير يشير أيضاً الى إنتهاء الإعدامات الجماعية، وإستبدالها بتنفيذات دورية محدودة تتراوح ما بين 50 الى 100 شخص. وكان من المنتظر أن يعمدوا مرة جديدة الى تمشيط السجون، وإلي إيجاد أسباب خاصة تتيح لهم إعدام كل من هو يهودي. بالمقابل، تم الإتفاق مع الـــ HSSPF[225] على إتخاذ تدابير أمنية وذلك بإنشاء زنار أمني حول مدينة كونو منعاً لعودة اليهود إليها، والأمر بإطلاق النار على كل من تسول له نفسه ذلك[226].

لا يقل عنه فصاحة، جزء من تقرير مؤرخ في بداية 1942، من المحتمل أن يكون قد حرره (جاجر) رئيس الكوماندوس 3، وهو شخص خشن وفظ. يقول بأنه إستطاع أن يتبين " من خلال نشاطات كتيبته" أن إستقرار مؤخرة الجبهة لا يمكن أن يوفره "إغتيال بعض اليهود". "إن الأراضي اللتوانية يتم تنظيفها مقاطعة إثر أخرى من اليهود من الجنسين[227]". وهذا ما يؤكد أنه كان هناك تجاوز في مرحلة من المراحل، عللها (جاجر) بضرورات أمنية لمؤخرة الجبهة، وأيضاً لمنع اليهود من قيامهم بتحريض سكان المنطقة. وفي وقت متأخر، وبعد إدانته، قال بأن أمراً بالإبادة كان قد أعطي من قبل (هيدريش) وأن ذلك كان قبل الحملة.

تظهر الهوة أكثر وضوحاً أيضاً في تقرير آخر يعود لـــ (جاجر) أيضاً، وهو الوثيقة الوحيدة من نوعها[228]، يتعلق بمجموعة من الإعدامات قام بها الكوماندوس التابع له، يوماً بعد يوم، وحتى الأول من كانون الأول 1941. كان يتم تجميع الضحايا على فئات، رجالاً، نساءً ثم أطفال. وبجمع هذه الأرقام يتبين لنا أن عدد الذين نفذ بهم حكم الإعدام بلغ 42390 شخصاً في شهر تموز، بمن فيهم 135 إمرأة. أما في شهر

آب فقد بلغ 37186 ، وهكذا يرتفع عدد القتلى الى 32430 بشخصاً بعد منتصف آب، حيث باشر الكوماندوس قتل النساء والأطفال بأعداد كبيرة. وفي شهر أيلول بلغ عدد القتلى ذروته حيث سجل 56459 قتيلاً يهوديا. أما تفصيلهم فهو 15104 رجل، 26243 إمرأة و 15112 طفلاً. هذا الإنقلاب لا يمكن له أن ينشأ إلا عن إرادة سياسية، التي في وقت من الأوقات، كانت قد إعترفت به بلا منازع.

كان فريق (جاجر) متفوقاً في عملية الإبادة. ولكن الجموح نحو التحول في الإبادة لم يظهر عند جميع فرق المجموعات إلا نحو نهاية شهر آب، حتى وإن كان لا مجال للمقارنة بينهما. إن رجال المجموعة ب، أعلنت في 20 آب أنهم قتلوا حتى الآن 16964 شخصاً (غالبيتهم من اليهود)، و 30094 في 28 أيلول. أما المجموعة س، فقد صرحت في آب، بأن عدد ضحاياها بلغ 8000 شخصاً، وفي بداية شهر أيلول بلغ 80000 قتيل.أما فيما يتعلق بالمجموعة د، فقد بلغ عدد القتلى 8425 شخص وذلك حتى 19آب و 35782 في 30 أيلول. إن المجموعة أ، تأتي في المقدمة على جميع المجموعات الأخرى حتى 15 تشرين الأول حيث بلغ عدد ضحاياها من اليهود فقط 120000 قتيل[229]. إن الضغط القاتل كان أشد منه في دول البلطيق من غيرها، لكن الفارق ليس من الأهمية بحيث يتطلب إفتراض تدابير إضافية أخرى.

مقابل هذه الرزم من المجازر، يجب أن نعود الى مشكلة "الأمر" المبدئي. إننا لا نستطيع إستبعاد أن يكون هناك أمراً بالإبادة قد أعطي قبل الحملة، ولكن ربما يكون أمراً غير محدد المعالم، يحتاج بدوره الى شرح. وكأن المكيافيلية تستطيع أن تمر من خروم الإبر. (هملر وهيدريش) ربما كانا قد تركا لرؤساء قوات التدخل الدولي الاهتمام بإكتشاف محتوى "الأمر الشامل" الذي أعطي، وما يترتب عنه من توريطات كلما تقدمت الحملة. وهكذا فهم يستطيعون التعايش مع ما يفعلونه يومياً. كونهم نسوا أن الحملة يجب أن تكون قصيرة وأمراً بالإبادة، حتى بالنسبة الى رجال هملر، لم يكن من نوع الأوامر التي يترك لعناية "الإكتشاف". إن أمراً من هذا النوع لا بد وأن يكون واضحاً كي ينفذ على أكمل وجه.

إن الرهان يفترض، بالمقابل، أن هملر كان في نيته إيقاف المجازر بحق اليهود السوفيات. إذن، فإن تصرفاته في الأسابيع الأولى للحملة تحملنا الى الشك حول صحة هذه النية. يوجد أدلة كافية تدل على أن أوامره قد نفذت بطريقة أقسى مما أراد لها، وأنه لم يعد بوسعه إيقاف التصاعد الدموي. من أجل التأكد من هذه القضية، علينا أن نتحول بأنظارنا عن قوات التدخل، التي لم تكن سوى جزءاً من رجال كثيرين كانوا تحت تصرفه في الأراضي السوفياتية. من خلال الـــHSSPF الذين كان الجيش قد أعطى الحق في تعيينهم، وله اليد الطولى على قوات الشرطة كما على الـــ WAFFEN SS وإبتداء من نهاية شهر جويلية ستنخرط في مجازر ضد اليهود، في إطار عمليات ضد المؤيدين لروسيا. عدة عشرات الآلاف من الضحايا أضيفت إذن الى مسلسل (هيدريش)[230]..

إن التعليمات التي تم إعطاؤها للقوات قبل الحملة تبقى على غموضها. لم تكن بكل الأحوال من طبيعة إبادية. إن إعادة تشكيل المحاكم يظهر هنا أيضاً أنه وحتى شهر آب، أن وحدهم الرجال من كان ينفذ فيهم حكم الإعدام. في 11 تموز، إن فيلق الشرطة المركزية نقل الى وحداته "أمراً" من الـــ HSSPF المركزية يقضي بأن كل اليهود الذكور الذين تبلغ أعمارهم من 17 الى 45 ، المتهمين بأعمال سرقة، ينفذ فيهم حكم "الرمي بالرصاص" وفقاً للقانون العسكري. لقد طبق عليهم حكم مبالغ فيه. كما أن هذا "الأمر" كان يرافقه تعليمات إضافية. إن على الضباط الاهتمام بالجنود المكلفين بتنفيذ الاعدامات وإفهامهم طبيعة الضرورة التي تستدعي وجود هكذا تعليمات[231].

بعد أسبوعين، أصدر هملر أمراً الى (باشزلويسكي) بتنظيم حملات إحلال السلام في مستنقعات بريبيه. وقد توزعت عناصر من الجيش العامل في الإتحاد السوفياتي على كل خطوط الإمداد الألماني. إن المسالمة التي قصدها هملر كانت شاملة: يجب عدم السماح للخصم بالإتكاء على أي سند له، أو إمدادات في المنطقة. كل السكان المشتبه بهم الذين يقدمون خدمات للموالين يجب أن يقتلوا رمياً بالرصاص، تشرد عائلاتهم وتحرق بيوتهم[232]. أما اليهود فقد كان ينتظرهم مصير خاص بهم، ألا وهو : بموجب الأمر رقم 42 الصادر عن الفيلق الأول للـــ SS المشاة، كل اليهود يموتون

رمياً بالرصاص، بإستثناء بعض العاملين في منهة الطب. وقد كان التبرير الذي أعطي كونهم يساندون الموالين، وبأنه من الممكن لهم أن يشكلوا في المستقبل خلايا من الإضطرابات في مؤخرة الجيش الألماني. في الاول من آب ، أوجز هملر بنفسه أن اليهود يجب أن يقتلوا رمياً بالرصاص، وأن النساء والأطفال يرمون في المستنقعات[233].

توقيف اليهود وقتلهم بعد اتهامهم بأعمال سلب، الى اعتبار كل اليهود مناوئين فعالين، الى وجوب قتل النساء والأطفال، فلا بد أن يكون هناك تطوراً ما قد حصل. ولكن لا بد وأن نذكر أن هملر لم يجرؤ على إعطاء الأمر بقتلهم، فالأمور ليست سهلة. ولنتوقف عند التقريرالذي رفع إليه عن نشاط الفيلق الثاني الـــ SS المشاة، والذي يشير الى أن النساء والأطفال قد تم رميهم في المستنقعات بدون نتيجة

و لم يغرقوا كون المياه لم تكن عميقة بما فيه الكفاية. من صمت النص، يمكننا أن نستخلص ان هؤلاء التعساء كانوا قد تركوا يعيشون[234]. وفي الأيام التالية، كانت النساء والأطفال بأعداد هائلة، تقتل رمياً بالرصاص، كما حصل في كامانا-بودولسك، على يد رجال هملر الذين قطعوا مسافة في هذا المجال. في نفس الوقت تبين لهم أن عملية الإبادة هذه هي تجربة مريرة. وفي 15 آب، كما سبق وقدمنا، كان هملر قد حضر إحدى عمليات التنفيذ، التي جرت في منسك، والتي فقد فيها إتزانه. حينها طلب الى (نيبه)، رئيس الجموعة ب، ان يبحث عن وسيلة للإبادة أكثر إنسانية. أكثر إنسانية للسياف طبعاً، لأن هذه الإعدامات الجماعية كانت تتسبب في تنازعات نفسية لدى المنفذين.فما كان من (نيبة) إلا أن قام بتجربة رهيبة حين ألهب بالديناميت حاوية ملأى بالمصابين بلوثة، ثم جاءته فكرة أن يسلط الغاز المنبعث من خرطوم محرك السيارة على حاوية أخرى. وبعد عدة أشهر قامت الراشا بتجميع شاحنات عازلة، مزودة بخرطوم يسمح بتسليط الغاز الى داخل الشاحنة. عدة شاحنات من هذا النوع وصلت الى الشرق حوالي نهاية العام 1941[235].

لو كان هملر وهيدريش عرفا منذ الربيع أن رجالهم، بعد عدة أشهر، سيقتلون النساء والأطفال، بأعداد كبيرة لكانوا فكروا بإختراع طرق أقل رهبة من الرمي بالرصاص. إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل، بل كان يجب عليهم أن يبحثوا عن طرق

أخرى وأن يخترعوا. وكانت الراشا قد عاشت تجربة سابقة في هذا المجال، حين إستعملت شاحنة في عام 1940، في قتل المرضى العقليين في بروسيا الشرقية. بلغة أكثر دقة كانت تعرف بإسم غرفة غاز بدواليب. وكان الضحايا قد قتلوا أيضاً بواسطة قناني ملأت بغاز مونوكسيد الكربون. إن نقل تلك القناني كان من الصعوبة لمسافات طويلة حيث أنه غالي التكلفة. إن شاحنة الغاز كان جواباً فورياً، وليد الساعة، رداً على موقف لم يكن قد تخيله إنسان قبل ذلك الوقت. لم يكن هملر بكل مكر يريد جر رجاله الى إكتشاف مضمون "امر الأبادة"، كونه كان مشغولاً بأمر آخر، حين إكتشف في نفس الوقت الذي إكتشفوا فيه، ضرورة إختراع طريقة تخفف عن الفاعل عبء فعلته.

أخيراً، فإن فرضية أمر بالإبادة قد يكون قد أعطي قبل بداية الحملة، يبدو بعد التدقيق، أمراً ضعيفاً. في الحقيقة هذا لا يعدو كونه فرضية بعيدة الإحتمال، وخاصة عندما نعيد بناء لمنظور المسؤولين النازيين في ربيع 1941. فمن غير المعقول أن يفكروا في قتل ملايين من الأشخاص في عدة أشهر فقط، وأقل منه أن يتخيلوا إستمرار المجازر الى ما بعد حملة عسكرية ناجحة. الجيش، الإدارة، النخبة المحافظة، كل هؤلاء من الصعب أن يقبلوا فكرة الإعدام الجماعي للمدنيين، خاصة إعدام نساء وأطفال عند إنتهاء الحملة.

من المحتمل أن تكون قوات التدخل قد إستلمت أمراً، في بداية مهتمها، بالقضاء على النخبة اليهودية، وإستطراداً، ضرب السكان اليهود بعنف دموي، من خلال تنظيم فتن تقود الى مذابح، غير أن تصعيداً بدأ بعد شهر من بداية الحملة على أبعد حد، كان من شأنه أن إتخذ منعطفاً خطيراً، في مكان ما، ما بين الأول من تموز ونهاية آب عندما شملت المجازر النساء والأطفال. وهكذا فإن مهمة قوات هملر قد تغيرت. إن التقديرات التي أفادت عن قتل حوالي 50000 يهودي حتى منتصف آب، أي بعد شهرين فقط من بدء الحملة هي تقديرات غير دقيقة. رقم مذهل، يعادل 10 مرات أكثر من عدد ضحايا مجازر بولونيا، ولكنه يبقى رقماً متواضعاً بالنسبة لعدد الضحايا الى نهاية العام، أي بعد أربعة أشهر إضافية. من الواضح أن اليهود دفعوا

حياتهم تبعاً لتقدم عسكري مدروس جاء إمتداداً لحملة كان من المقرر لها أن تنتهي في أيلول.

الفصل الخامس

القرار النهائي

حدث حاسم بدل من وضع المسألة اليهودية في سهول الاتحاد السوفياتي في آب 1941. فقد تخلت عملية إبادة اليهود عن حالة الطوارئ التي كانت تعامل بها، كي تدخل في مجال الحقائق. وأصبح من المحتمل أن يكون الشعب اليهودي في الاتحاد السوفياتي، منذ تلك اللحظة، على وعد مع الموت. كما أنه من المحتمل أيضاً، أن تكون قوات الـــ SS قد إستلمت أمراً بتقتيل كل اليهود، دون معرفة سابقة لحجم هذه العملية، الأمر الذي يرتبط بالتطورات اللاحقة للحمة العسكرية. ربما يمكننا القبول بقسم منها، في حال إستطعنا الرد على السؤال التالي: هل تعني الموجة الدموية التي ضربت اليهود السوفيات، قراراً بالموت، إتخذ ضد كل اليهود تحت الحكم النازي؟ إذا كانت الإبادة الجماعية قد تم تقريرها في منتصف الصيف، فإن السياسة التي مورست علي اليهود في اراضي الرايخ، من شأنها أن تظهر ذلك.

في 31 تموز، وقع (غورينغ) رسالة الى (هيدريش)، تعتبر بمثابة ملحق على نص الإنتداب، الذي كان قد قدمهِ له في 24 كانون الثاني 1939. وكان قد كلفه في ذلك الوقت بالعمل على تهجير اليهود الألمان، وها هو يمدد صلاحيته الى "إتخاذ كل التدابير التحضيرية" ،اللازمة لتحقيق "حل إجمالي للمسألة اليهودية في القطاع، الواقع تحت النفوذ الألماني في أوروبا". وطلب منه، في غضون ذلك، أن يقدم له، خلال مدة قصيرة، مخططاً عاماً حول التدابير اللازمة لتنفيذ ذاك الحل النهائي[236]

هذا النص أصبح شهيراً، لكثرة ما يذكر، كلما تعلق الأمر بمسألة الإبادة الجماعية لليهود. ولكن ليس في هذا التقرير أي إشارة حول منبع ذاك النص. صحيح أنه موقع في الفترة التي كان فيها، معاونو هملر يوشكون على المباشرة بقتل السكان اليهود، في الشرق. إن ساعة موت اليهود الأوروبيين ربما تكون قد دقت. ولكن لا شيء كان ينذر بذلك.

إن النص يشير بوضوح الى أنه يتعلق بملحق لتكليف (هيدريش)، بموجبه تمتد صلاحيات هذا الأخير في المجال التطبيقي على كامل أوروبا النازية. كما ينص على، أنه في حال دخلت عناصر جديدة ذات كفاءات، فإن على (هيدريش) إستشارتها والطلب إليها التعاون. كما يشير النص بوضوح الى الغرض من التكليف، الذي يتعلق بحمل المسألة اليهودية على شكل هجرة، أو إخلاء وهو الحل الأمثل في كل الظروف"[237]. خطياً، تنطوي الحلول المطروحة على هجرة أو إخلاء.

علاوة على ذلك، وقبل إتخاذ أية تدابير، كان على (هيدريش) أن يقدم مخططاً عاماً لـــ (غورينغ). إذن، فالوضع كان ما زال على مستوى التحضيرات لمقترحات من شأنها أن تكون خاضعة بدورها للدراسة، وليس لتحقيق مخطط متفق وموافق عليه. ثم يجب التنويه بأن رسالة (غورينغ) لم يكن من شأنها سوى وضع إطار عام للوضع القائم منذ الصيف الفائت. لكن (هيدريش) تصرف، منذ ذلك الحين، وكأنه ذو كفاءة في المسألة اليهودية على كافة أراضي أوروبا النازية. ظهر هذا التصرف عبر إرساله لمستشارين، معادين لليهود، الى عدد من البلدان.

الطريقة التي نشأ فيها هذا النص، كانت وتبقى غامضة. في مذكرات (أيشمان) يقول بأن فريق عمله الخاص من قام بتحرير ذاك التقرير، وأن (غورينغ) قام بتوقيعه[238]. بحسب أقوال مشارك في مؤتمر "وانسي"، أن (هيدريش) صرح بالحصول عليه من (غورينغ) تطبيقاً لتعليمات هتلر، ولكن بروتوكول المؤتمر لا يثبت كلاما بهذا المعنى[239]. الرواية الأكثر تصديقاً هي رواية (أيشمان). من المحتمل أن يكون (هيدريش) قد أراد يسجل كفاءاته خطياً، تحسباً لوضع منتظر، في مستقبل قريب: نهاية الحملة على روسيا ستجعل "الحل النهائي" على قائمة الأولويات. وبرأيي، ان رسالة (غورينغ) خير شاهد على أن شيئاً لم يكن قد تم تدبيره حتى تاريخ كتابتها. وإذا كان هتلر قد فكر في اللجوء الى (هيدريش)، في إبادة اليهود، لم يكن ليهمه أن يحدد ذلك خطياً، أوأن يعين الكفاءات اللازمة لتنفيذ تلك المهمة.

ليس هناك أية وثيقة صادرة بتاريخ تلك الفترة من الصيف تشير الى أن إبادة، قد تم الإتفاق بشأنها، أو أن يكون قد تم التحضير لها. بل نستخلص من تلك الوثائق، على العكس، بأن الحل النهائي المنتظر يكمن في ترحيل اليهود الى مكان، يكون بمثابة

"تجمع". في الأول من آب، أي غداة توقيع (غورينغ) على النص الشهير، كتب (هيدريش) الى وزير العدل لأخذ رأيه، بخصوص مشروع قانون. هذا المشروع بطلب مستعجل من هتلر يتعلق بإدخال، قانون جنائي عرقي، خاص باليهود وبالبولونيين، الذين كانوا ما زالوا يسكنون الاراضي الملحقة بألمانيا. في جوابه، يطالب (هيدريش) بأن يتضمن القانون، تعميم الأحكام العرفية على البولونيين وعلى اليهود: "حتى وإن كنا عازمين على أن لا يكون هناك يهودياً في المستقبل". ثم أضاف "وإن كنا الآن، في الوضع الراهن، بأشد الحاجة"، الى تطبيق القانون العسكري عليهم[240]. من الواضح أن لم يكن ، حتى ذلك الوقت، يرى ملحاً تبخر اليهود، بل في مستقبل قريب. عبارته هذه مبهمة بحيث لا يعقل أن يصدق أن قائلها، قد استلم بالأمس "أمراً" بالإبادة.

كما أن (غورينغ) أيضاً لا يبدو أكثر منه وضوحاً. ففي بداية آب، إضطر لإتخاذ موقف بشأن تشغيل اليهود في الإتحاد السوفياتي قائلاً: لم يعد لليهود ما يعملونه في الأراضي الألمانية المحتلة من الآن فصاعداً، يجب توقيفهم وتشغيلهم على شكل فصائل عمل، وأن تخضع وجباتهم اليومية لقانون داخلي ولمراقبة خاصة. أما ما عدا ذلك، فقد قال بأن القتل رمياً بالرصاص يعتبر شرفاً لهؤلاء، وأمر بإستبدال الرصاص بالموت شنقاً [241]لكل المحكومين بعقوبة الموت،. كل ما قاله (غورينغ) هو أن اليهود سيخرجون من أراضي أوروبا النازية، وبدا جاهلاً للحظة التي سيتم فيها ذلك. وإن كانت إبادتهم قد سبق وأن قررت، فلم يكن له أن يشعر بالحاجة أن يعلق على موتهم شنقاً.

تبدو الأمور أكثر وضوحاً في صيف 1941، إذا ما سلطنا الضوء على الأشخاص العاملين في جهاز الشرطة، والذين كانوا معنيين مباشرة بتنتظم "الحل النهائي". على سبيل المثال، (أيشمان) الذي كان يرغب بالمشاركة بالحملة على روسيا، على رأس قوات الكوماندوس و لم يتسن له ذلك، فندم. ثم هنأ نفسه على نجاته من مهمة، كما أفادت التقارير التي تسلمتها الـــ RSHA أظهرت إختلافها عما كان يتخيله[242]. وبما أنه بقي في برلين، فقد تحول بعد فترة من ذلك، الى قاتل إداري، حيث أنه عقد

في 13 آب، إجتماعاً من تنظيميه، ضمه مع الـــ RSHA بعض ممثلين عن وزارة الداخلية، ومجموعة مشروع الـــ الأربع سنوات بالإضافة الى مفوضية الحزب.

الغرض الفوري من الإجتماع هو معالجة قضية "مختلطي النسب" اليهود والزواج بشكل عام في ألمانيا، ترحيل اليهود، بشكل أو آخر، بأعداد نوعاً ما كبيرة خارج البلاد. كان (أيشمان) يحلم بمهة أوسع، لذا، إقترح إنشاء مجموعات عمل بين المناطق التي من شأنها أن تهتم بإيجاد "تعريف" لمفهوم اليهودي على الصعيد الأوروبي. كانت هذه بداية "التدابير التحضيرية"التي حصل (هيدريش) بموجبها على تكليف من (غورينغ)، بوضع هذا الأمر موضع التنفيذ مما أشعر بالخطر المكلف بالأعمال اليهودية في وزارة الداخلية: بحجة ضرورة إعداد وثيقة يتم بموجبها تحديد مواصفات اليهودي صالحة لكل الأراضي المتواجدة تحت رقابة ألمانية. ألم تفكر الـــ RSHA والحزب بالرجوع عن المواصفات الواردة في الوثيقة، لكونها بحسب رأيهم، بالغة الكرم. تم تبني هذه الوثيقة وإعتمادها خلال مؤتمر نورنبرغ لعام 1935[243]، وعمل بها على كل أراضي الرايخ.

ولكن فائدة خلاصة تقرير الإجتماع تتعلق بناحية آخرى من المسألة. وكما أشير فإن مسؤولي الـــ RSHA ، جماعة مخطط السنوات الأربع والحزب يتقاسمون وجهة نظر واحدة حول قضية "مختلطي النسب، كما حول قضية الزواج برمتها. حول قضية الزواج المختلط، تم الرأي على إبعاد، في حال كانت الزوجة ألمانية، مع زوجها اليهودي وأولادهما. وفي حال كان الرجل ألمانياً، فإن القضية تدرس وفقاً لنقاط ثلاث:

- قيمة الشخص بالنسبة للمجتمع الألماني،
- ردود الفعل السلبية المحتملة على عائلته الألمانية،
- التنبه الى "عدم ترك أي نقطة دم ألمانية تسقط في مصب يهودي".

هذه النقاط تخص اليهود الغير مزمع قتلهم. وفي الحالة هذه، فإن الإنشغال الذي واكب دراسة هذا الموضوع ينفي وجود إبادة، كيلا يباد دماً ألمانياً. بحسب المفهوم النازي، فإن الدم الألماني يرفع من مستوى العرق اليهودي. نستطيع الإستنتاج، أنه

بحسب تفكير أخصائي النظام، وعلى رأسهم (أيشمان) بأن السياسة الرسمية للدولة وحتى منتصف آب تقضي بإرسال اليهود الى مجمع[244] يقيمون فيه.

في 3 أيلول وجّه (رالف-هاينز هوبنر، وهو ضابط في الـــ SS، سبق وشغل منصب رئيس الـــ DS ومسؤول عن عملية ترحيل السكان في الـــ وارتلند، مذكرة الى الـــ RSHA من 13 صفحة، يضع فيها اللمسات الأخيرة على محادثاته الأخيرة التي أجراها في برلين مع (أيشمان): يوجد في الأراضي الملحقة، ومنذ خريف 1939، تنظيماً لترحيل اليهود والبولونيين الى منطقة "الحكم العام". وطلب (هوبنر) توسيع هذه المهمة بحيث تشمل كل أراضي الرايخ، وأن تصبح الشريان المسؤول عن الترحيل المؤجل الى ما بعد إنتهاء الحرب. أما ترحيل الأشخاص الغير مرغوب فيهم في أراضي الرايخ، وهذا بطبيعة الحال يعني اليهود في إطار حل نهائي للقضية اليهودية.

بعد أن وصف الإطار العام للتنظيم ، تساءل (هوبنر عن المكان الذي سيرسل إليه السكان "الغير مرغوب فيهم". وبكتابته لهذه العبارات، غاب عن باله ما يفكر به المسؤولون الكبار. على اية حال، لقد تخيل أن الإتحاد السوفياتي يوفر مساحات تخولها إستقطاب هذا العدد من اليهود. ولكنه لم يكن يريد تفصيل الموضوع أكثر من ذلك، طالما أن "قراراً رسمياً" لم يتخذ بشأنه بعد. فوق هذا، هل كان يريد أن يعبر عن وهمه بأنه العنصر الأهم في القضية. المفيد في هذا المجال، أنه ومنذ البداية، كان واضحاً مصير هؤلاء الذين سيبعدون. فهل كان الهدف، "أن يؤمن لهم، على مدى طويل، إمكانية حياة، أم كانت النية في إبادتهم جميعاً"[245]؟

بنفسه كتب (هوبنر) في منتصف تموز، مذكرة تتعلق بمصير اليهود في وارتلند. وفيها يكرر نفس المقترحات التي تم تداولها في دوائر الشرطة المحلية. وكان قد إقترح تجميع اللاجئين اليهود في مخيم واحد كبير، وإلزامهم العمل. وبما أن الخطر كان موجوداً، فإنه وبعد عام لم يعد بالإمكان إطعام جميع اليهود في الشتاء، كان يجب التفكير بأن" الحل الأكثر إنسانية" هو القتل بطريقة أسرع لكل عاجز عن العمل. وكان قد إقترح في آب تعقيم النساء اليهود القادرات على الحمل. وهكذا تحل مشاكل جيل من اليهود. مع هذه المذكرة التي أرسلها الى (أيشمان) في 16 تموز،

كتب هوبنز يقول أن المواضيع المثارة تبدو "متخيلة"، إلا أنها برأيه، ممكنة التحقيق[246].

فكرة الإبادة بدأت طريقها. وليس من المفاجئ أن يكون مسؤولي الـــ SS في الوارتلند قد توصلوا إليها قبل غيرهم بعد أن أصبح اليهود حملاً ثقيلاً عليهم، وذلك منذ سنتين. هذه المقترحات لم تحظ بأي متابعة حينها ذلك أن (هوبنر) عندما كتب مذكرته في أيلول كانت القرارات الأساسية بشأن هذا الأمر لم تتخذ بعد. ولكن إحاطته بالجو العام ومعرفته بنشاط قوات التدخل، دفعتاه لطلب إستفسار حول مصير السكان "الغير مرغوب فيهم": الحياة أم الموت؟. بعد مدة وجيزة وصله جواب سؤاله. ففي بداية أيلول، كان الرجال الذين قاموا بتنفيذ حكم الإبادة، بأنفسهم فيما بعد، يعتقدون بترحيل اليهود.

من ناحية ثانية، فإن باب الهجرة بقي مفتوحاً أمام اليهود، رغم أنه في شهر آب صدرت تعليمات جديدة تمنع اليهود، القادرين على حمل السلاح، من مغادرة البلاد، أي الرجال البالغين من 18 الى 45 سنة[247]. لكن معظم الرجال الذين بقوا في الرايخ كانوا من المعمرين، لأن الشباب كانوا أول من هاجر منهم. ولا يقل عن ذلك أهمية أن نلاحظ إهتمام النازيين باليهود القادرين على حمل السلاح، وبمنعهم من مغادرة البلاد خوفاً من تشكيلهم قوة ضدهم. أثناء ذلك، رغم ذلك فقد إستمر الألمان على تشجيع الهجرة، بحسب تعميم أصدره رئيس الغستابو[248]. بالرغم من الحواجز التي تسبب بها الحرب، فإن عدة ألوف من اليهود غادروا في 1941.

في تموز وآب، كانت التحضيرات الأولى للموت التي نفذها رجال هملر في الرايخ، تهدف الى قتل المفتشين السوفيات وليس اليهود. وبموافقة الـــ RSHA لم ينجح الجيش في تطبيق أمر القتل كما كان ينتظر منه، مفضلاً إرسالهم الى مؤخرة البلاد وضمهم الى أسرى الحرب. وكان (هيدريش) قد حصل من الجيش على الحق في إرسال كوماندوس يقومون بعمليات خاصة في مخيمات أسرى الحرب. وفي سرية تامة، تم قتل الأشخاص الذين تم القبض عليهم في أول مخيم وصلوا إليه. ما بين تموز وآب، دار إجتماع في مخيم شاشنهوزن، شمال برلين، بحضور (إيك)، مفتش

المعتقلات الجماعية، الذي أعلن عن وصول 18 الف سوفياتي، وطلب إختراع طريقة سريعة لقتلهم.

ولهذا الغرض تم تركيب أجهزة عممت على جميع المخيمات الأخرى تباعاً. وتحت غطاء معاينة طبية، كان يجري إدخال السوفيات واحد بعد الآخر، الى غرفة حيث كان يتم إيقافهم تحت نوع من المسطرة تستعمل لقياس الطول، ثم على مستوى العنق، ينبثق أنبوب كفوهة المسدس يخترق العنق فيقتل الشخص على الفور. ما بين بداية أيلول ومنتصف تشرين الثاني، جرى قتل 6500 سوفياتي على بهذه الطريقة على الأقل[249]. في أيلول وفي أوزفيتش قتل بالغاز مساجين، عن طريق ضخهم بمادة مزيلة للجرائيم، وهي مادة زيكلون ب. أعيد إستعمال هذه العملية على مستوى ضيق في الأشهر التي تلتها، وقبل أن تستعمل بشكل أساسي في قتل اليهود[250].

الى الآن، يعيش يهود الرايخ حياة إضطهاد عادية، إلا أن تدبيرين طرءا غيرا من مسار مصيرهم. فقد اتخذ في آب قرار يجبرهم على حمل إشارة مميزة، وفي أيلول صدر قرار بترحيلهم الى الشرق. هذان القراران صدرا عن هتلر، غيّر بهما سياسته السابقة. في نهاية عام 1938 رفض هتلر أن يفرض على اليهود حمل هذه الإشارة المميزة. ومنذ ذلك الحين، لم تطبق هذه التدابير إلا على يهود الشرق. وفي آب 1941، اقنع (غوبلس) نفسه، المهووس دائماً بوجود اليهود في برلين، المصاب بتوتر من وضع الجبهة في الشرق، بأن "المسألة اليهودية" وصلت الى وضع من الخطورة القصوى. وكتب بعض الجنود العائدين من إجازة بأنه لا يجوز بقاء اليهود الأغنياء يترعون في شقق فخمة، يستخدمون موظفين ألمان، يتحكمون ببضاعة تمثل أهمية حيوية للجنس الآري. إثر ذلك، فرض على اليهود حمل إشارة تلافياً من تمكينهم بث أفكار معادية للألمان، من شأنها أن تخرب العقلية الألمانية[251]. وفي 15 آب، تم الإستدعاء لعقد محاضرة، في وزارة الترويج الدعائي الإعلامي، على عجل، حيث تم إعلام المختصون بالمسألة اليهودية من الوزارات الأخرى، بمقترحات (غوبلس)، وطلبوا منهم دعم هذه المقترحات. وقام (أيشمان) الذي يمثل الـ RSHA بإعلام الحضور أن (هيدريش) كان قد أرسل الى (غورينغ) يرفع إليه المقترحات عينها. بما أن هذا أجابه بأن الفهرر

هو الوحيد الذي يستطيع التقرير، فإن مشروعاً آخر كان قيد الإعداد من شأنه أن يرفع الى هتلر[252].

ما كان من (غوبلس) إلا أن أسرع بقطع الطريق على (هيدريش) بمقابلة هتلر الذي وافق على المشروع الذي رفع إليه. إن فرض حمل إشارة على اليهود يزيل خطرهم على الرأي العام، الذي كان يرى فيهم "متذمرين ومحرضين"، يندسون بين الناس العاجزين عن تلافيهم، مشكلين خطراً على المجتمع برمته[253]. هذا التدبير المعتمد إتخذ بما يتوافق مع حالة الحرب التي تعيشها البلاد، والصراع الصعب الذي يعيشه الجنود في الجبهة الشرقية، والذي من شأنه أن يرتد سلباً على النفسية الألمانية. كان يعلم (غوبلس) أنه قادر على لمس وتر حساس لدى هتلر. خلال الحرب الأولى، ألم يأت الخطر من النشاط السلبي الذي كان يآذاره اليهود على الجبهة للخلفية؟

في أول أيلول، أعلن رسمياً ضرورة حمل نجمة صفراء، إبتداء من سن الـ 6 سنوات ، على أن تخاط على الملابس بشكل لا يستطيعون معه نزعها، متى يشاؤون. هل كانت بداية النهاية؟ ليس هناك ما يسمح بهذا الإعتقاد. إذا كان تدبير من هذا النوع، يعتبر تمهيداً لترحيل لاحق، فإن الترحيل لم يكن مبرمجاً كي يتم على الفور. أثناء إجتماع 15 آب، في وزارة الترويج الدعائي الإعلامي، كان (أيشمان) أيضاً قد أعلم الحضور، عن وجود مشاريع لإخلاء اليهود، تقوم بها الـ RSHA. وكان (هيدريش) قد قدم للفهرر برنامجاً مفصلاً ، لكنه الفهرر رفض أن تتم أية عملية إخلاء خلال الحرب. هذا ما دعا الى إعداد مشروع آخر، يهدف الى إخلاء جزئي من المدن الكبيرة[254]، لم يرشح عنه أي وجهة مقصودة. إنما بالنظر الى الوضع القائم، فلا بد من أن تكون الوجهة هي الإتحاد السوفياتي.

أثناء مقابلته مع هتلر، في 18 آب، طلب (غوبلس) ترحيل اليهود من برلين. قبل هتلر العرض لكنه رفض ترحيل أي منهم قبل نهاية الحملة على الإتحاد السوفياتي[255]. ومنذ صيف 1940، إستمر هتلر على موقفه حول ترحيل اليهود. لن يرحّلون قبل نهاية الحملة. أما الآن، فهو مستعد للنظر في ترحيلهم الى الجبهة الشرقية، وتحديداً قبل إنتهاء الحرب مع بريطانيا العظمى. ولكن في كل الأحوال، لم يكن موافقاً على أن

يتم ذلك قبل إنتهاء الحملة في الشرق. في بداية أيلول، قامت السلطات العسكرية الألمانية في صربيا، بالعمل على ترحيل الـــ 8 آلاف يهودي في المنطقة، بذريعة إستيعاب الحرب ضد بعض المؤيدين الذين بدؤا التمدد عبر البلاد. وبطلب من وزارة الخارجية الألمانية، يتعلق بترحيل محتمل لليهود نحو منطقة الحكم العام، أو الى روسيا، رد (أيشمان) في 13 أيلول، بعدم موافقته على ذلك، ولا حتى يهود الرايخ[256].

بعد ذلك بعدة أيام، وفي 18 أيلول بالتحديد، كتب (هملر) من مكتبه في المقر العام للفهرر، يعلم (غريزر) عن تغير جذري في تصرفات هتلر، بخصوص الوارلند. هتلر يرغب الآن بتحرير الرايخ ومحمية الـــ بوهيم ـــ مورافي، "بأسرع وقت ممكن"، من كل اليهود المتواجدين هناك. كما أعلن هتلر عن رغبته تنفيذ هذه العملية قبل نهاية العام. وإقترح أن يتم ترحيل اليهود الى أراضي الرايخ الملحقة، كمرحلة أولى، ثم يتم ترحيل هؤلاء في الربيع الذي يليه "الى مكان أبعد"، الى أراضي الشرق. كما توجه بالرجاء الى (غريزر) بقبول 60 الف شخص في لودز، من أجل تمضية فترة الشتاء، كما أعلمه بأنه قد أوكل هذه المهمة الى (هيدريش)، الذي سيقوم بالإتصال به بشأن ذلك[257].

لا شيء يشير الى الأسباب التي كمنت وراء هذا التغير المفاجئ، الذي أعلنه هتلر لـــ هملر، في نفس اليوم من 18 أيلول، أو ليلتها على أبعد تقدير. أحد الخيوط الممكنة لشرح ذلك، يوصل الى (روزنبرغ)، الذي بتاريخ 14 أيلول، قام بتكليف ضابط الإتصال لديه في القيادة العليا لقوات الجيش البرية، (أوتو براتيجام) بتقديم الإقتراح التالي لهتلر: أعلن الإتحاد السوفياتي عن ترحيل الألمان الى الفولغا. وللرد عليه، قام هتلر بترحيل يهود أوروبا الوسطى الى الشرق. إستطاع (براتيجام) الوصول الى المساعد في الواهماخت (وزارة الدفاع الفيدرالي) التابعة لهتلر، (شندت)، الذي قال له بأنها "كانت قضية مهمة ومستعجلة، من شأنها أن تهم الفهرر". وفي الغد، علم أن هتلر قد أمر بعرض القضية على وزارة الخارجية[258]". وبدت العملية وكأنها ضاعت في الرمال. فرجل الإتصال الخاص بـــ (روزنبرغ) لدى المقر العام للفهرر، كتب يقول في 21 أيلول، أن الفهرر لم يتخذ قراره بعد. صحيح أنه لم يعلم بأمر ترحيل اليهود الى الشرق، قبل الـــ 7 من تشرين الأول، لكن هتلر قبل باقتراح

روزنبرغ، حسب علمه، قرارا بترحيل يهود المحمية فقط[259]. إن دور هتلر في إتخاذ قرار بترحيل اليهود، بالرغم من عدم إنتهاء الحملة ،إنما على أية حال، لا يمكن لها إلا أن تكون أمراً ثانوياً.

ما هو المعنى الذي يحمله إتخاذ هكذا قرار؟ هل إتخذ القرار على أنه رد على تصرف الإتحاد السوفياتي، دون أن تكون هناك نية في إرتكاب مجازر؟ أو أنه يعني أن ساعة تصفية اليهود قد أزفت؟ كثير من الأمور التي مرت خلال هذه الأسابيع الحاسمة، من أيلول الى تشرين الأول، يبقى غامضاً، بالرغم من أن هناك سلسلة من الإشارات المتقاربة جعلت من إعتماد القراءة الثانية أمراً ممكناً.

في الـــ 4 من تشرين الأول، أجرى (هيدريش) مقابلة مع المعاون المساعد أول لـــ (روزنبرغ)، وفي خلال هذه المقابلة، كانت قضية اليهود، واحدة من القضايا التي تمت مناقشتها في ذلك اللقاء. فكان أن تساءل (هيدريش) عما إذا كانت وزارة (روزنبرغ) ما زالت تملك مكلفين من قبلها في معالجة القضايا اليهودية، وذلك لرغبته آنذاك في منح الـــ SS وحدها السيطرة على مجمل تلك القضايا. المهم في هذه المقابلة، هو النقاش الذي دار حول نقطة واحدة من هذه النقاط لم تكن قد أثيرت أثناء المناقشة مع (أيارور)، وهذه النقطة تتمثل في "الخطر" الذي عبرت عنه عدة مؤسسات ألمانية، التي كانت ترغب في الاحتفاظ بالعمال اليهود العاملين لديها، وذلك بذريعة أنهم ضروريون للإنتاج القومي. ولم يكن أحد من المسؤولين قد فكر بتأهيل يد عاملة تحل محل اليد العاملة اليهودية. "ولكن هذا قد يلغي خطة إعادة زرعهم الكاملة خارج الأراضي المحتلة منا[260]".

علاوة على أن هذا الكلام سيعود بالقضية الى نقطة الصفر، إلا أنه مؤشر على تعصب رجال الـــ RSHA . هذا الكلام المهم هو بالتأكيد يحمل أكثر من معنى. فهو يظهر أنه، وحتى ذلك التاريخ، فهو ينذر ببدء مشروع واسع النطاق يخافون أن يواجه تحقيقه عراقيل جدية.

وعلاوة على كل ذلك، بدا وكأن هذا المشروع يشمل كل الأراضي الخاضعة لرقابة الرايخ. في رسالته الى (غريزر)، لم يأت هملر على ذكر اليهود ككل، وإنما إقتصر حديثه على أراضي الرايخ والمحمية فقط. من المحتمل أنه لم يشأ إفزاع مراسله،

إن هو ذكر له، أن اليهود سيقدمون من كل مناطق أوروبا النازية، أو ربما المشروع قد توسع بعد ذلك بقليل. على أية حال، "إعادة الزرع" هذه التي يتحدثون عن ضرورة تحقيقها، هل يمكن لها أن تكون شيئاً آخر عدا موضوع إبادة؟ (هيدريش) جعل من اليهود السوفيات ضمن "مخططه" المذكور. اين يمكن لهم "إعادة زرعهم" في زمن حرب دائرة؟ وأي مصير، إن لم يكن الموت، موعود ليهود سيستقدمون من كل أوروبا الى منطقة يتم فيها تقتيل السكان اليهود بدون تمييز؟.

قبل ذلك بيومين، حدث أمر في باريس من شأنه أن يكون على علاقة مباشرة بالموضوع ذاته. ففي ليل 2 – 3 تشرين الأول، حصل اعتداء بالتفجير على سبعة معابد يهودية في باريس، جرح خلاله عدة عدة فرنسيين وجنديان ألمانيان. على الفور، تم إستدعاء (هلموت كنوشن)، ممثل (هيدريش) في فرنسا، من قبل الإدارة العسكرية، من أجل جلاء الأمر، الذي أجاب بأن الأمر هو فرنسي صرف، ربما يكون قد قام به أشخاص معادون لليهودية ومتعاونون مع الألمان. على إثر معلومات وصلت للإدارة، تبين أن المعلومات التي ذكرها (كنوشن) تخلو من المصداقية، ذلك أن الحادث فعلاً كان من تدبير فرنسي، ناتج عن تدخل أعضاء متعاونين لجماعة (أوجين دولنكل)، لكن المتفجرات قد وصلت إليهم بواسطة جهاز (كنوشن) نفسه. نتيجة لهذا، إستبد الغضب بـــ (أوتو فون ستوناتجيل)، القائد العسكري الألماني، فكتب الى برلين يطلب إليها إستدعاء (كنوشن)[261] .

وفي رسالة، وجهها في 6 تشرين الأول، الى القائد الأعلى للجيش (OkH)، أخذ (هيدريش) على عاتقه مسؤولية هذه العملية كاملة. وبنتيجة موجة من الاعتداءات على الجيش الألماني، وضد مسؤولين سياسيين فرنسيين، متعاونين، لافال ودايا، كانا قد جرحا بتاريخ 29 آب)، إقترح (دولونكل) أن يرد بنفسه، بتوجيه ضربات موجعة لليهود. وكان (هيدريش) قد قبل خدماته، لكنه قال بأن قبوله لم يأت"إلا بعد تأكد له، من مراجع عليا، أن المنظمة اليهودية لها ضلع كامل في التفجيرات في أوروبا، وأنها يجب أن تختفي نهائياً من أوروبا[262].

إذا كان للكلمات معنى، فإن هذه الجملة تعني أن أمر ترحيل اليهود، كان في الوقت ذاته، أمراً بالإبادة. ولنأخذ على محمل الجد، أن إشارة هتلر الغير مباشرة،

"على أعلى المستويات"، لا يمكن لها أن تقال، إذا كان أمر"إختفاء اليهود" مسألة بريئة. كما أن (هيدريش) يؤكد على أن "الأمر" صدر في أيلول، وربما يكون في النصف الثاني من الشهر، فإن أسبوعاً أو إثنين، كافيان لتحضير الاعتداء. إننا نتمسك، علاوة على ذلك، بالدافع الذي تذرعوا به للدفع بالقضية الى الواجهة، وهو استعمالهم لعبارة "إختفاء" اليهود، "مشعلي الفتن". وهذا معناه باللغة الهتلرية، أنهم المسؤولون بالدرجة الأولى عن الحرب، التي أشعلت الفتيل وها هي تنفخ كي تؤججها في العالم كله.

إن رسالة (هيدريش) وكذلك تصرفاته في هذه القضية تحمل إلينا شعوراً، بأن كان سعيداً بالمهمة التي أوكلت إليه. يبدو أنه كان يعتقد، أن خلفيته في كل الأحوال، مؤمنة مما جعله ينخرط في مؤسسة إبادية كهذه، رغم أنها تعرضه لخطر التصادم مع الجيش. وكان قد كتب في أوراقه، بأنه "كان واعياً كل الوعي، ما رمت إليه سياسة"، التدابير التي إتخذها، خاصة، وأنه كان قد كلف منذ سنوات، بتحضير حل نهائي للمسألة اليهودية في أوروبا. إن اختياره لباريس للقيام بذلك الاعتداء معناه بالنسبة لليهود أنهم لن يشعروا بأمان بعد اليوم، في البلاد التي كانت حتى تلك الساعة "مركزاً أوروبياً" لهم. إن تدمير المعابد اليهودية في باريس، كان إعلاناً بالموت، إعلاناً رمزياً بالإنسحاق القادم.

في أورشليم، صرح (أيشمان) بأنه أعلم بأن أمراً بإبادة اليهود قد صدر، "شهرين أو ثلاثة أشهر" بعد بدء شن الحرب على الإتحاد السوفياتي. عندما إستدعي من قبل (هيدريش) سمعه يردد الجملة، دون أن يفهم، في البداية، الى ما رمت إليه: "لقد أمر الفهرر بتصفية اليهود جسدياً". "تلفظ أمامي بهذه الجملة وصمت، وكأنه أراد، حينها، أن يرى وقع كلماته علي. ما زلت أذكر ذلك تماماً الى اليوم"[263]. لكن (أيشمان) عجز عن تحديد تاريخ هذه المقابلة. وأكد بالمقابل أن (هيدريش) كان قد أرسله، في اليوم عينه، الى مراقبة التحضيرات الخاصة بالتصفية، التي كانت تعد تجهيزاتها في لوبلين، على يد (غلوبوكنيك)، المسؤول المناطقي للشرطة وللـــ SS. وقال أنه يتذكر أنه رأى رجالاً، يحكمون سد أرضيات خشبية، إستعداداً لقتل اليهود بالغاز بواسطة محرك ديزل كبير. إن المنطقة التي يتحدث عنها، كما يصفها، لا يمكن

أن تكون سوى بلزك. إلا أن الأشغال التحضيرية لم تبدأ قبل نهاية تشرين الأول وبداية تشرين الثاني، مما يؤكد على أن زيارته لتلك المنطقة، كانت في تشرين الثاني أو كانون الأول. لا بد أن (أيشمان) قد خزن في ذاكرته حدثين معينين[264]. وكما سنرى، فإننا لدينا ما يحملنا على الظن أنه كان عارفاً بمشروع الإبادة، منذ نهاية أيلول.

في الواقع، في نهاية شهر أيلول، كانت عملية ترحيل قسم من اليهود الى لودز، قد تم تأكيدها. وفي 29 أيلول، وافقت وزارة الداخلية على أن السلطات في لودز، قد أعطت موافقتها على ترحيل اليهود المقصود. وهذا ما هو غير صحيح، لأن رئيس الإدارة للمقاطعة، (فريدريش أوبيلهور)، وهو ضابط برتبة عالية في الـــSS، تقع مدينة لودز ضمن دائرة صلاحياته، كان يعترض على وصول عشرات الآلاف من اليهود الإضافيين، الى غيتو يحوي أكثر مما ينبغي. وكان قد شرح وجهة نظره هذه الى هملر، مراراً ، دون أن يهمل الإشارة الى تصرفات (أيشمان) التي كان يعتبرها مغامراتية لا تخلو من المخاطرة، واصفاً إياه بـــ "غجري متنكر"، مما يعتبر مسبة مهينة في أوساط الـــ SS. في كل هذه المراسلات التي أصبحت معروفة لدينا[265]، والتي كانت تقابل بجفاف وتوبيخ من قبل هملر. هذا الرجل هو عنصر معلوماتي هام في هذه القضية، غالباً ما تم إهماله.

في رسالة مؤرخة في الـــ 9 من تشرين الأول، كتب (أوبيلهور) يقول، أنه ومنذ عدة أيام، يعمل الغستابو المحلي على إعادة تنظيم غيتو لودز. وكان من عملية إعادة التنظيم هذه، أن قسمه الى قسمين منفصلين تماماً. القسم الأول منه يخصص "للسكان العمال" ويضم 40 ألف يهودي ممن يآذارون نشاطاً منتجاً، أما الثاني، فيخصص "للصيانة"، ويضم اليهود الذين لا مهنة لهم ويبلغون 100 ألف شخص. هذا المشروع لم ينل رضى (اوبيلهو) الذي واجهه بإحتجاجات عنيفة، قائلاً بأن المصانع قد تم توزيعها بشكل غير عادل، وأنه لا يمكن حشر 100 ألف شخص في المساحة التي حددها لهم الغستابو. وكانت مساحة الغيتو الثاني لا تتجاوز 0.748 كيلومتر مربع مقارنة بالأول الذي بلغت مساحته 3 كليلومترات و 162 متراً[266]. إن إعادة تنظيم هذا الغيتو لا تترك مجالاً للشك: إن قسمة الغيتو تسمح بالاحتفاظ باليهود القادرين

على العمل، أما سكان القسم الآخر، فإنهم لا شك سيقتلون. إنه ليس من المعقول أن يكون (أيشمان) الذي تربطه علاقة وثيقة بمسؤول الـــ SS للقضايا اليهودية في لودز وراء هذه التغيرات.

في نفس الفترة، بدأت الأجهزة بالتحضير للإبادة في تلك المنطقة. وكان الضابط الـــ SS (هربرت لانج)، العامل في الغستابو التابع لـــ "بوزن"، والمسؤول عن المجزرة التي نفذت بحق المرضى العقليين، والتي تمت في عام سابق، إستلم أمراً بالمباشرة بأعمال التركيب اللازمة. بمعاونة بعض الأشخاص، قام بالبحث في الـــ وارتلند عن مكان مناسب، ثم تحول الى برلين، الى مكاتب الـــ RSHA [267]. وفي نهاية تشرين الأول، إستقر فريق من الكوماندوس في مكان ما من مدينة شلمو حيث قاموا ببناء معتقل هناك. بعد ذلك بقليل، وفي بداية كانون الأول أرسلت الـــ RSHA الى المنطقة شاحنتي غاز، إستعملتا في قتل يهود تلك المنطقة. وفي جانفيه، جاء دور سكان الغيتو اليهود، الذين لم يكن لهم عمل في لودز.

هل كانت إبادة يهود الـــ وارتلند عملية خاصة، عمد إليها (غريزر) للتخلص فيها من السكان اليهود، الذين شكلوا عبئاً عليه؟ يمكننا تخيل عملية مقايضة تمت بينه وبين هملر، قضت بإستقبال عدد من اليهود الجدد مقابل قتل الغير قادرين على العمل. وكان في رسالة بتاريخ الأول من أيار، قد كتب الى هملر بخصوص إبادة 100 الف يهودي في منطقته، كان "سمح" بها هملر. وبذلك تبدو العملية وكأنها أتت من (غريزر) نفسه[268]. إن هذا ممكن، ولكننا لا نستطيع الإستنتاج بأن عملية الإبادة بدأت محلية، وأنها لم تكن جزءاً من مخطط عام[269]. لأنه، وفي نفس الوقت، بعيداً الى الشرق، وفي منطقة لوبلين، كانت التحضيرات عينها تتم من أجل إبادة يهود منطقة "الحكم العام".

أما المسؤولون عنها في هذه المنطقة فهم فريق (بوهلر)، بالإضافة الى جماعة مفوضية الفهرر، الذين وجدوا أنفسهم معفيين من مهمة "أوتانازي – وضع حد لعمر المريض بإنهاء حياته"، هذا صحيح، لأنه وفي 14 آب، كان هتلر قد أمر بإلغاء العملية، بعد أن عمت الإنتقادات والإحتجاجات عليها. كما كان أسقف مونستر قد قام بإحتجاج علني إثر هذه العملية، جعلت من هتلر يخاف أن يسبب هذا إحتجاجاً

شعبياً وإضطرابات في البلاد، في الوقت الذي كانت فيه الحرب في الشرق بحاجة الى دعم شعبي، كما أن الحزب كان بأمس الحاجة لإلتفاف الناس حوله. هل كان لهتلر ترتيب آخر في رأسه عندما أوقف هذه العملية، محولاً إياها الى ساحة أخرى؟ لا يبدو ذلك. فبحسب شهادة (فيكتور براك) في نورنبرغ، فإن عدداً كبيراً من الذين كانوا مكلفين بهذه العملية قد تم تسريحهم[270]. وبعد عدة أسابيع، وإثر مقابلة بين هملر و (بوهلر)، على ما يبدو[271]، فإن الكفاءات التي سبق تسريحها، عادت للإلتحاق بالخدمة، بشكل غير منتظر. أما الكفاءات الأخرى فقد تم إرسالها الى لوبلين للعمل تحت إدارة (غلوبوكنيك). وكان (براك وبوهلر)[272] ايضاً قد قاما بزيارة هملر في خريف ذاك العام، وبالتحديد في أيلول بحسب شهادة براك[273]. كما أن النقيب (كريستيان ويرث)، الذي سبق وشارك في عمليات الأوتازي، سيلعب دوراً في العملية القادمة، وتكون له اليد الطولى على كل مخيمات الإبادة، في منطقة الحكم العام، واضعاً نفسه في خدمة (غلوبوكنيك) " من صيف ذاك العام 1941"[274]. وفي نهاية تشرين الأول، تم الإنتهاء من بناء مخيم بلزك. كل هذا يعود بنا الى أن قراراً مركزياً وحاسماً قد إتخذ في نهاية أيلول أو بداية تشرين الأول.[275]

أثناء العمل على بناء آلات الإبادة، كانت الـــ RSHA تسارع في عمليات الترحيل. لم يعد بالإمكان الإنتظار أكثر، بعد أن أصبح كل شيء جاهزاً. لا بد من تحرير الرايخ من "اليهود" في أسرع وقت ممكن. في 16 تشرين الأول تحركت القوافل الأولى بإتجاه لودز. قبل ذلك بعدة أيام، في الـــ 10 من تشرين الأول، عقد إجتماع في براغ، برئاسة (هيدريش) المكلف من هتلر منذ نهاية أيلول، بإستلام إدارة منطقة الحكم العام، التي كانت قد بدأت تشهد حركة إضطرابات واسعة. وكان (أيشمان) قد حضر ذلك الإجتماع برفقة أعلى المسؤولين المحللين، من الشرطة والـــ SS. وكان في هذا الإجتماع قد تم التذكير على أن الفهرر يرغب بإختفاء اليهود من "الفضاء الألماني" قبل نهاية العام، "لا يجب أن يعترض أي حاجز، ولا مشكلة نقل المشروع". نشعر هنا، مرة أخرى أيضاً، أن المسؤولية اقع على عاتق الـــ SS تنفيذ مهمة تاريخية.

وكان هناك أيضاً قضية لودز والمشاكل التي تعترضها. من المحتمل أنه بعد مناقشة بين (غريزر) وهملر، تقرر أن يستقطب غيتو لودز، في نهاية المطاف، 20 ألف يهودي و 5 آلاف غجري، بدلاً من 60 ألف كان قد سبق وأعلن عنهم. وكانت الـــ RSHA تبحث عن أماكن أخرى ترسل إليها اليهود. كما تفيد خلاصة تقرير هذا الإجتماع، أن الإختيار قد وقع على مدينتي ريغا ومنسك، الواقعتين في صميم منطقة عمليات قوات التدخل. وكان (أيشمان) قد أثار إمكانية إرسال اليهود الى "المعتقلات التي تضم السجناء الشيوعيين" المتواجدة تحت سيطرة المجموعتين ب وس. ليس هناك من ضرورة للتساؤل بعد حول مصير هؤلاء الأشخاص، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار المعادلة التالية: إن الـــ 50 ألف يهودي الذين سيتم إرسالهم الى ريغا ومنسك، سيجري إختيارهم بصفتهم "يشكلون إرهاقاً"، لكون أكثرهم من المرضى المعاقين، اصحاب الأمراض المستعصية، والعاطلين عن العمل[276]. وإبتداءً من 14تشرين الثاني، كانت سلسلة من القوافل تتوجه نحو الإتحاد السوفياتي، حيث قتل معظم أفرادها رمياً بالرصاص، حال وصولهم.

في ذلك الإجتماع أيضاً، جرى تداول أحاديث أخرى تفيد عن مخطط للإبادة كان قد تم التخطيط له. وبموجبه، تقرر جمع اليهود في المحمية في معتقلين إثنين، واحد للإنتاج والآخر لأعمال الصيانة. وهكذا إعتقدوا أنهم بهذه العملية سيهلكون قسم كبير من اليهود، قبل أن يتم ترحيلهم الى الشرق. وكان قد طلب، على سبيل الإحتياط، أن يتنبهوا في عدم إبادة اليهود الذين يتمتعون بحماية من ذوي المناصب العالية. وكان من الإجراء الذي إتبع أن قاموا بالحد من العلاقات الودية بين اليهود وبعض ذوي المناصب، التي يمكن لها أن تتشفع لهم[277]. وقد أخذت هذه العملية طابعاً مهماً من الجدية، بحيث في الأول من تشرين الثاني، كتب هتلر أنه، وبعد مكالمة هاتفية مع (هيدريش) تم الإتفاق فيه حول التالي:

- إقامة اليهود الذين تبلغ أعمارهم فوق الـــ 60 عاماً[278]،
- مشروع غيتو "واجهة" ، كما هي الحال في ثريزينستاد.

ومن أجل وضع اللمسات الأخيرة للتحضيرات، لم يبق سوى سد الشبكة. في الثاني أو الثالث من تشرين الأول، كان هملر في كييف، فقام بإستقدام (أيشمان)

بالطائرة كي يقدم له تقريراً مفصلاً عما وصلت إليه حال هجرة اليهود[279]. وفي 18 تشرين الأول، ذكر أنه، وبعد محاورة تلفونية مع (هيدريش)، الذي قال "لم يسجل هناك ولا أية هجرة الى ما وراء البحار". بعد ذلك بخمسة أيام، أعلم رئيس الغستابو رجاله، بأنه من الآن فصاعداً تمنع أية هجرة لليهود[280].

كل شيء كان قد إتخذ مكانه في مدة 4 أسابيع، ما بين 18 أيلول و 18 تشرين الأول. إن مؤتمر وانسي لم يقم سوى بتسجيل أن حلاً نهائياً قد تم التوصل إليه، على أن يكون ذلك إبتداءً من منتصف تشرين الأول. هذا الحل كان قد تم التوصل إليه بعد جمع خيوط كل العناصر، وهي جزء من العمليات المتعددة التي قامت بها الـــ RSHA من أجل محاولة تجميع اليهود، وذلك منذ خريف العام 1939. طرق التقتيل التي كانت تتطور بشكل منفصل، ولأهداف متعددة. أو لأهداف محددة، عن طريق مفوضية الفهرر، وايضاً عن طريق رجال (هيدريش) في الإتحاد السوفياتي. ثم التفريق بين اليهود من عامل وعاجز عن العمل، الذي شاع في أوساط المسؤولين عن الغيتوهات في بولونيا.

خفت وتيرة التباطئ في اتخاذ القرارات المتعلقة بالمسألة اليهودية. إن إرسال اليهود الى الاتحاد السوفياتي عائد الى الضغط الذي كان يمارس عليهم من قبل هتلر، الذي كان يرغب بتطهير الرايخ قبل نهاية العام، في حين كانت مواقع الإبادة قد بوشر بإنشائها. علاوة على ذلك، يبدو أنه في تلك الفترة، فكر مسؤولو الشرطة بإنشاء معتقلات في الإتحاد السوفياتي. فقد التقى (غوبلس) هتلر في المقر العام، في 23 أيلول، وكذلك قول (هيدريش) الذي صرح بإعادة زرع اليهود في مخيمات أخرى،كان قد أنشأها الشيوعيون على طول القنال للبحر الأبيض[281] حالما يسمح الوضع العسكري بذلك . لكن بعد درس المشاريع التي جرى التفكير بها، تم الإستغناء عنها كي تتركز مخيمات الموت في منطقة الحكم العام وفي سيلازيا العليا.

إبتداءً من منتصف تشرين الأول 1941، أخذت دائرة المطلعين على الأمر تتوسع. في 23 تشرين الأول، كتب محرر في جريدة الـــ strümer وهي الجريدة المعادية لليهود التي يصدرها (سترايخر)، أن هناك "تدابير خاصة" قد إتخذت في الشرق، بفضلها سيتم القضاء، في مستقبل قريب، على " قسم كبيرمن الحشرة الطفيلية

اليهودية"[282]. في 25 تشرين الأول، قام المكلف بالقضايا اليهودية لوزارة روزنبرغ، بالكتابة لـــ (لوهس)، مفوض الرايخ لشؤون الـــ أوستلاند، يعلمه بجهوزية (براك) و (أيشمان) لتزويد "الآلات المجهزة بالغاز" إستعداداً لقتل اليهود العاجزين عن العمل. وكان (أيشمان) قد أعلن عن ترحيل يهود الرايخ الى الشرق، وأن القادرين على العمل سيعملون لحساب الرايخ[283].

في أيلول، كان (فرانك) ما زال يأمل في ترحيل اليهود "الى أماكن تجميع في أعماق روسيا "، وبالتحديد الى جبال الأورال[284]. وفي 13 تشرين الأول، صرح لـــ (روزنبرغ) عن رغبته في نقل اليهود من منطقة الحكم العام الى الشرق. فكان جواب (روزنبرغ)، أن الأمر مستحيل في الوقت الراهن، ولكنه سيعمل ما بوسعه من أجل تحقيق إعادة زرعهم هناك[285]. لا بد وأن (روزنبرغ) أعلم بأمر الإبادة، بعد ذلك بقليل. وفي 18 تشرين الثاني، وفي مؤتمر صحفي قال أن "المشكلة اليهودية لا يمكن لها أن تحل إلا بالإبادة البيولوجية لكل يهود اوروبا[286]. وكان قبل ذلك بيومين، ظهر مقال لـــ (روزنبرغ) في جريدة "داز رايخ"، يقول فيه أن نبوءة الفهرر في طريقها الى التحقق. ومن المحتمل أن يكون (فرانك) بنفسه، قد إطلع على ذلك في نهاية تشرين الثاني، بعد أن أرسل أحد معاونيه الى برلين. وفي 16 كانون الأول قام بإعلام أقرب المتعاونين معه بأن مجازر ستحصل قريباً[287].

إبتداءً من أول تشرين الثاني، إهتم (أيشمان) بالتحضير لعقد مؤتمر وزاري حول "المسألة اليهودية". وفي 29 تشرين الثاني، تم إرسال الدعوات الى حضور مؤتمر في 9 كانون الأول، الذي صادف موعد الاعتداء الياباني على الولايات المتحدة، مما تسبب في إرجاء المؤتمر الى 20 كانون الثاني 1942. و لم يعد هناك ضرورة للإستعجال، لأن الهدف من المؤتمر كان تأييد البيروقراطية الوزارية لمشروع واسع بوشرت أعماله. وكان (مولر)، رئيس الغستابو، بمساعدة (هيدريش) قد أعادا كتابة صيغة خلاصة المؤتمر التي كتبها (أيشمان) بنفسه. من المؤكد أنه لم يصرح بكل شيء، ولكن الخطوط العريضة فقط. بحسب (أيشمان) أن (هيدريش) رغب بتأكيد المنة التي منحت لمهمته من قبل أعضاء الإجتماع، أمناء سر الدولة[288]. إن الصيغة النهائية لم تذكر شيئاً عن مصير اليهود الغير قادرين على العمل. إنه من السهل علينا معرفته من

خلال معرفة مصير الآخرين، القادرين على العمل. إن قسماً كبيراً من هؤلاء الذين كانوا يعملون بشكل متواصل قضي عليهم. أما من بقي منهم فكانوا يقتلون أيضاً، تحسباً لخطر قد يشكلونه من جديد[289].

ويبدو أن المسؤولين النازيين كانوا ينوون جدياً إستعمال اليد العاملة اليهودية. فالبلد كانت تعيش أزمة يد عاملة، أسهمت في تبنيهم هذا الإجراء. وكان هملر قد أعلم الجميع، وذلك منذ نهاية أيلول، عن نيته إدخال اليد العاملة اليهودية في إنتاجية المعتقلات الجماعية. إن اليهود الأصحاء يجب أن يساهموا في إعادة بناء الأمبراطورية الاقتصادية، التي كان هتلر ينوي إنشاءها.[290] إنما آلة الإبادة كات قد قضت على معظم الأشخاص الأصحاء، في وقت واحد مع غيرهم. إننا لا نستطيع الإستنتاج بأن تصلباً إضافياً زاد من الرغبة في القتل: إن اليهود القادرين على العمل لم يكونوا، على أية حال، سوى على موعد مؤجل مع الموت.

الفصل السادس

هتلر والإبادة الجماعية

من خلال مطالعة نشاط منفذي السياسة المعادية لليهود عن قرب، يتبين لنا أنها مرت بمنعطفين كبيرين: الأول، خلال شهر آب، وذلك عندما تحولت لتصفيات اليهود في الإتحاد السوفياتي والى إبادة. والثاني، حوالي منتصف أيلول، عندما إتخذ القرار بترحيل يهود الرايخ الكبير الى الشرق. إذ رافق ذلك تحضيرات دلت على أن كل اليهود، الذين كانوا خاضعين لرقابة نازية، أصبحوا اليوم على موعد مع الموت.

موت فوري أو مؤجل. شهر كامل كان قد مر بين هذين المنعطفين. هذا الحماس للقتل الذي دار في الإتحاد السوفياتي إذن، لم يعني سوى أن الأمور كانت قد إتخذت صيغة نهائية. كما كان يبدو، فإن الأمور كلها كانت تشير الى أن القضية برمتها قد إتبعت سلسلة من المراحل، إمتدت لأسابيع، قبل أن يسقط نهائياً، في أيلول"القرار المشؤوم".

إن المنفذين هم من أعلى درجات الحزب، حزب الرجل الواحد، القابض على زمام الأمور، المطّلع على كل أمر. إنها سلطة هتلر التي غالباً ما عادل نفسه بها هملر، عندما كان يتوجه الى رجاله، عندما أمر بإبادة النساء والأطفال في الإتحاد السوفياتي. هذا لا خلاف عليه. إن هتلر نفسه هو من كان قد أمر بوشم يهود الرايخ بالنجمة الصفراء، قبل أن يقوم بترحيلهم الى الشرق. ليس هناك أدنى شك في أنه هو من قام بإعطاء الأمر باللجوء الى تجهيزات الإبادة. ولكن ليس هناك أي شيء من شأنه أن يلقي الضوء، على الأسباب التي دعت إتخاذ هتلر تلك القرارات، أو من شأنه أن يدل على الأسلوب الذي إعتمده في إقناع ضباطه بتلك الإجراءات. إلا أن شيئاً يجعل من هذا التصرف غير بعيد عن الفهم، هذا إذا ما قمنا بإعادة تركيب للسياق الذي جرى فيه إتخاذ هذه القرارات. كيف تصور هتلر سير الحملة في روسيا، وكيف كانت ردة فعله حولها. إذا ما درست بعمق، فإن ردات فعله ظهرت في عنف أقواله

حيال اليهود، من شأنها إكمال اللوحة، وتقييم ما يطرحه هذا الكتاب من وجهات نظر.

حقيقة القول، إننا بإمكاننا تطبيق ذلك على الشطر الأول، آملين أن تكون هذه القراءة مناسبة لسير الأحداث في تلك الفترة. في نهاية صيف 1941، ألم يكن الرايخ في قمة إنتصاراته ومكتسباته على الصعيد الجغرافي؟ ألم يمضي سنواتاً أربع من المعارك الضارية، في محاولة إخضاع، قبل أن يتحول كفاحه الى صراع عالمي عندما شن اليابان عدوانه ضد بيرل هاربر في شهر كانون الأول، فاستغلها هتلر فرصة يعلن فيها حرباً على الولايات المتحدة. ولكن نظرة إستذكارية للحرب العالمية الثانية هنا، تبدو مضللة. ولا بد من العودة لرؤية الأحداث بالصورة التي رآها عليها هتلر في ذلك الوقت. إن الوثائق، لهذا الموضوع وفيرة بحيث تلقي الضوء الكامل على السياق الذي تم فيه التوصل الى الإبادة الجماعية.

إن الحملة على الاتحاد السوفياتي قد تم تحضيرها في أجواء من الثقة بالنفس، لا مثيل لها. إن الجيش الالماني الذي كان يطير من نجاح الى نجاح، لم يكن يرى في عدوه سوى لقمة سائغة. فالجيش السوفياتي لم يكن بكامل إستعداداته. كما أنه لم يكن بكامل تأطيره العسكري، علاوة على أنه لم يكن راغباً في خوض غمار تلك الحرب. هذه هي، على الأقل، الصورة التي رآها المسؤولون الألمان، الذي عمدوا الى تقدير عشوائي لقوة الجيش الروسي نسبة لمستوى التسلح لديه. يضاف الى ذلك، أحكامهم المسبقة والمتأصلة فيهم عن عجز السلافيين عن النظام. الى ذلك تضاف أفكارهم المركبة سلفاً، والتي لا يمكن تغييرها، حول إنعدام شعبية ستالين. كل شيء حولهم يدعوهم للتفاؤل: بإستعماله أقصى قوته وبطش آلياته العسكرية، تقوم القوات الألمانية بمحاصرة القوات السوفياتية وسحقها قبل أن يتمكن هؤلاء من التراجع. الإدارات المسؤولة عن هذا الإجتياح، ستفاجئ بسقوط النظام السوفياتي بكامل أجهزته وفيالقه العسكرية تحت الضربات التي ستسدد إليه.

حدد الجيش الألماني لهذه الحرب الخاطفة مدة تتراوح من أسابيع الى عدة أشهر، تفاوتت خلالها نسبة تفاؤل بعض المسؤولين، الى تشاؤم البعض الآخر. إن شعبة

عمليات الجيش البري، كانت قد حددت لها موعداً في منتصف أيلول[291]، كحد أقصى لنهاية العمليات. وكان هتلر قد أخبر لـــ (غوبلس) في حزيران، عن حرب قصيرة مدتها 4 أشهر، بينما كان الآخر متأكداً من أنها، لن تدوم أكثر من ذلك، وأن "البولشفية ستنهار كإنهيار قصر من ورق "[292]. كان هتلر بعد بين فئة المتفائلين، لكن تفاؤله كان أكثر منهم تعقلاً، هو الذي عرف بطبيعته الحذرة. فقد كان يتوقع عراقيل تظهر في آخر لحظة. وكان يعلم أن نجاح العملية يتوقف على سهولة حركة العلميات، التي لا يجب أن يعيقها عائق. وكان هتلر قد صرح لرئيس الأركان للقوات البرية(فرانز هادلر)، في 17 آذار 1941:"من الضروري تحقيق النجاحات منذ بداية الحرب، وأن لا يحدث شيء أن يعيقها"[293].

إن حملته على الاتحاد السوفياتي كانت أشبه بالرهان، وكان يعرف ذلك تماماً. ففي الأسابيع التي سبقت 22 حزيران، كان هتلر لا يتوقف عن ذكر الأخطار، والوعود. فعملية "بربروسا" كان عبارة عن "مخاطرة[294]"، بل مخاطرة كبيرة أيضاً[295]. كان يشعر وكأنه "أمام باب مغلق"، سيفتح على المجهول. هل كان هتلر بمواجهة " أسلحة سرية". أم يواجه عناد متعصبين[296]؟ لا شك أن بربروسا، كانت عملاً صعباً. وإن لم يكتب لها النجاح بشكل أو آخر، كل شيء سيضيع[297]. من جهة أخرى، كان هتلر يثق بجيشه ثقة كبيرة، كما كان يتصور أن حربه مع بريطانيا ستتوقف ما أن ينتهي من حربه مع روسيا. إن هزيمة الإتحاد السوفياتي ستضطرها الى وقف الحرب، والذي ربما سيأتي قبل نهاية العام[298].

هذا، لأن أموراً كثيرة يعتمد نجاحها على نجاح حملة "بربروسا". فبإنتهاء هذه الحملة، يتوجب على ألمانيا إعلان إنتهاء الحرب مع بريطانيا. وبذلك تحول أنظارها نحو قوى التحالف الإنكلو-ساكسونية. إنه من الضروري نجاح هذه العملية، وإقرار إقتصاد لم يكن أعيد تأهيله من أجل خوض حرب طويلة عرضة لضغوطات كثيرة، منها قلة اليد العاملة، والمواد الأولية. وهذا سبب آخر من شأنه أن يجعل الحرب قصيرة الأمد: إن التدمير المحدود يسمح بإستغلال سريع لخيرات البلاد.

كان من المقرر في الخريف، ما أن ينهزم الإتحاد السوفياتي، أن يباشر الجيش الألماني عملياته في الشرق الأدنى، يحاصر المتوسط ويستولي على مضيق جبل طارق. وهكذا

يستقر في أفريقيا الغربية وعلى طول جزر الأطلسي. حينها، ستضطر بريطانيا الى عقد الصلح، على أبعد حد، في عام 1942. من جهته، اليابان، بعد أن يكون قد تم تحريره من ضغط الإتحاد السوفياتي، سيعمد الى الإستيلاء على الممتلكات البريطانية في الشرق الأقصى، مما سيشكل ضغطاً على الولايات المتحدة. ولكن التدخل العسكري الأميركي، كان يستحوذ على تفكير هتلر. ففي حال لم تتدخل الولايات المتحدة، فإن حربه ستنتهي قبل نهاية العام، على أبعد حد. ولكن، وإن دخلتها، فإن الصراع سيستمر "لسنوات طويلة "[299].

إن الأسابيع الأولى للحملة، أجابت على ما كان يأمله هتلر وينتظره. فقد كانت قواته قد أجبرت السوفيات على الهروب الى عمق البلاد، ثم لحقتها بسرعة كبيرة الى عمق الأراضي السوفياتية. ويوماً بعد يوم، كانت الأبواق تعلن عن غنائم الجيش الألماني المكتسبة: أعداد كبيرة من الآلات، مئات الآلاف من السجناء. في بداية تموز، كان المسؤولين في الجيش الألماني يعتقدون أن الحملة قد نجحت[300]. أما هتلر، فقد سرحت أفكاره في أحلام إستعمارية، يطرحها بألفاظ عنيفة عبرت عن شعوره تجاه تلك الحملة. وفي 8 تموز، أعلن بأنه سيرسل طائراته تبيد موسكو ولينينغراد عن بكرة أبيها. وبهذا الشكل، لن يخسر الرجال ولا العتاد، علاوة على أنه، لن يضطر الى إعالة سكان تلك المدن، للشتاء القادم. وإستشعر قدوم كارثة ديموغرافية، لن تكون البولشيفية وحدها ضحيتها، ولكن سكان تلك المدن أيضاً[301].

إن هوسه المعادي لليهودية لم يكن ليتركه بالطبع، بل هاج عليه أثناء خوض المعارك. وفي 10 تموز، أظهر قلقاً كبيراً حيال فرقه العسكرية المدرعة التي كانت تتوغل في طريقها الى كييف. كان مقتنعاً بأن سكان المدينة اليهود، الذين يشكلون 35 بالمئة[302]، سيعمدون الى هدم الجسور. كان يرى فيهم خصوماً ناشطين، وشرسين. إلا أن فكرة المجازر، كانت لا تزال بعيدة عن تفكيره. وفي نهاية يوم 10 تموز بالذات، صرح في مجموعة صغيرة من أعوانه، أنه يعادل سياسياً (روبرت كوش). فكما إكتشف (كوش) باكتيريا الباسيل، هو بدوره، إكتشف اليهودي "خميرة التحلل الإجتماعي". وما كان منه إلا أن اعطى المثال القاطع، على أن دولة تستطيع أن تحيا بدون يهود: فكانت الضربة الأكثر قسوة التي سددها إليهم[303].

في 14 تموز، صادق هتلر على برنامج التسلح، الذي سيبدأ العمل عليه عند إنتهاء عملية بربروسا، والقاضي بتخفيف عدد العناصر العاملة في الجيش. هذا البرنامج من شأنه أن يعود على الإنتاج بألف يد عاملة إضافية، وسيضاعف من عدد الآليات، إستعداداً للحرب التي سيخوضها هتلر في الشرق الأدنى وفي إفريقيا الشمالية. الطائرات هي المستفيد الأكبر من عملية إعادة التسلح هذه حيث أنها ستساهم في تصفية الحسابات مع بريطانيا[304]، هذا من جهة. اما من جهة أخرى، فهو يؤكد لهتلر، أن الأسابيع الأولى للحملة، جاءت مطابقة للتوقعات. عدا ذلك، فقد كان منشغلاً بحسابات كثيرة هاجمته من كل ناحية.

إبتداءً من 30 حزيران، كان قد عبر لموسوليني عن دهشته إزاء الكم الهائل من الأسلحة التي يملكها الخصم[305]. وبعد فترة وجيزة فوجئ بأن مخزون الأسلحة لدى الخصم، هو أكبر بكثير من التوقعات التي نقلت إليه. وأكثر من ذلك، كانت دهشته كبيرة أمام مقدرة القوات السوفياتية وعناد رجالها في مواصلة القتال، هذا العناد الذي زاد، حين علموا بالمصير الذي واجهه المفتشون السياسيون السوفيات، وأيضاً مصير السجناء السياسيين بشكل عام. هذا عدا، سياسة التمثيل الأعمى بالسكان، التي إتبعها المحتل بشكل خاص. أما في الغرب، وفي أثناء هذا الوقت، فكان الوضع يتدهور أيضاً: فالولايات المتحدة كانت قد أنشأت قاعدة لها في إيسلندا. مرة أخرى، يجد نفسه هتلر أمام ضغوطات من قبل قوات بحريته؛ فهو لا يريد الدخول في الحرب مع الولايات المتحدة "قبل شهر أو شهرين على الأقل"، حيث يعتقد، أن نصر قواته في الشرق سيعمل على عدول الولايات المتحدة [306]عن دخول الحرب.

في 15 تموز، إستقبل هتلر السفير الياباني (أوشيما)، واضعاً إياه في جو "سلسلة المفاجآت" التي عانى منها حين فوجئ بالقوة العسكرية الهائلة للقوات السوفياتية، وعن بأسهم في القتال. كانت القوات السوفياتة تقاتل كـــ "حيوانات مفترسة". ولكنه، وبالرغم من ذلك، فقد قدر أن القتال سينتهي في أواسط أيلول. هذا التفاؤل، لا شك أنه صادق، لكنه يرمي الى هدف محدد أيضاً، وهو أن هتلر، وبعد أن قام بتشجيع اليابان، طيلة فترة الربيع، علىمهاجمة الممتلكات البريطانية في الشرق الأقصى، ها هو يرغب دخوله الى جانبه في حربه ضد الإتحاد السوفياتي. وقال هتلر

مؤكداً أنه ليس بحاجة الى أية مساعدة، ولكن دخول اليابان الى جانب ألمانيا، سيعمل على تعزيز علاقاتهما في المستقبل. وقال مضيفاً، بأن دخول اليابان الى جانبه في هذه الحرب من شأنه أن يسرع في إنتهائها. إن هزيمة سريعة للسوفيات، ستعود، بلا شك، بالفائدة على الطرفين، كما أنها سترغم الولايات المتحدة على عدم دخول الحرب[307]. هذا القلق، أو على أبسط تقدير، الإنشغال الذي يبديه هو في نفس الوقت، يعبر عن إنشغال القوى الحليفة. وقد كان (شيانو) في روما، قد أشار في 9 تموز، أن الجيش الألماني يتقدم ببطء شديد، وذلك بسبب المقاومة المتصلبة التي يقاتل بها السوفيات. كما كان قد نقل في 16 من الشهر عينه، خوف موسوليني أن الرايخ لن يستطيع الإنتصار قبل الشتاء، ما يضعه وحلفاءه أمام إحتمالات مجهولة[308].

وفي النصف الثاني من تموز، تحول القلق المتصاعد الى أزمة حقيقية. فبالرغم من الخسائر الجسيمة، تابعت القوات السوفياتية القتال بتعنت كبير، كما أخذت فصائل كبيرة تابعة لها بالظهور. وأصبح من الواضح، أنه وبالرغم من تقدم القوات الألمانية داخل الأراضي السوفياتية، إلا أنها لم تصل الى الهدف المنشود. إن القوة التي كان يقاتل بها السوفيات قد أضعفت من عزيمة القوات الألمانية، إلا أنها لم تقض عليها، بحسب تقدير (هادلر)، في 23 تموز[309]. وكان الخصم قد عمد، بقسم كبير من قواته، الى عمليات تطويق للقوات الألمانية، وبذلك أصبح في وضع يخوله تنظيم دفاعاته بشكل أفضل. وفي 25 تموز، صرح قائد القوات الأرضية (بروشيتش)، بأنه وللمرة الأولى، يجد نفسه أمام "خصم جدي"، وأضاف بأن "طول مدة الحرب تقضم الأعصاب[310]".

كما أخذ القلق يهيمن على هتلر من امتداد زمن الحرب. في مذكرات (كيتل) يقول، أنه وفي 25 تموز " تساءل الفهرر بخشية ملحوظة، عن الوقت الذي بقي أمامه كي ينتهي من روسيا. وكم من الوقت عليه أن أنتظر بعد"[311]. كما أن (غوبلس) بدت عليه نفس مظاهر التوتر، كما أشارت دفاتره تشير الى السرعة التي كان يكفهر فيها الجو. في 17 تموز، أعلن بقلق متضاعف عن القوة الخارقة التي يقاوم بها العدو على مختلف الجبهات[312]. وبعد يومين، اصبح يرى الحرب صراعاً من أجل البقاء، صراعاً بين عقيدتين، البولشفية والنازية[313]. وفي 26 تموز، عمد هتلر الى إعطاء

تعليمات جديدة لمكتب الدعاية مفادها أنه "على الشعب أن يفهم أن ألمانيا تحارب من أجل بقائها، وعلينا أن نختار بين موت الأمة الألمانية المطلق وبين سيطرتها على العالم[314]".

وكان يبدو من تصرفات هتلر أن شعوراً بفقدان الثقة قد سيطر عليه. إن المخطط الأولي للعمليات قد أثبت عدم جدارته أمام مقاومة الروس الشرسة، والغير منتظرة. لم يكن هناك ما يشير الى هذه الإحتمالية، التي لم يعد لها الألمان العدة. إن التوجيه الذي يحمل الرقم 33 ، الموقع في 19 تموز، فتح باباً من الجدل إستمر لمدة شهر، بينه وبين المستشارين العسكريين، وخاصة مع (هادلر) بسبب الخطوات التي يجب إتخاذها من أجل مواصلة العمليات. في الوقت ذاته، كان رئيس قيادة أركان الجيش، يستعجل هتلر في إرسال قوات الى موسكو، بهدف سحق أكبر عدد ممكن من أسلحة وعتاد الجيش الروسي. في حين أن هتلر كان يرغب في شن حملات على الأجنحة، تقطع الطريق بين موسكو وبين خطوط الدفاع عنها، كما تخوله السيطرة الفورية على مصادر الطاقة والمواد الألوية في شمال الاتحاد السوفياتي وأوكرانيا. لكن توجيهات جديدة صدرت عن هذه المناقشات الفظة، منها تلك الخاصة بـــ 30 تموز والتي حملت في طياتها القرار الجذري. لهذه الساعة، وبسبب ظهور قوات ضخمة معادية، وبسبب إحتياجات الإمداد، وحاجتنا الى إصلاح فصائلنا المصفحة، فإن مجموعة القوات المتواجدة في وسط الجبهة، تتحول من وضع الهجوم الى وضع الدفاع[315].

إن الصعوبات التي واجهتها القوات الألمانية منذ منتصف تموز، كان لها أثر السيء على نفسية هتلر، وبخاصة حول إدراكه لضرورة حفظ النظام والأمن، وفي تصرفه حيال اليهود. في 3 تموز، أطلق ستالين نداءه ضد المؤيدين للجيش الألماني بالقتال. قوات الإحتياط الالمانية القليلة لإيطاليا تتحرك ضد خطر ضعيف، لكنه سيتزايد حتماً بسبب بطش القوات الألمانية. وفي 16 تموز، وخلال مؤتمر ضم أهم قيادات الحزب النازي، تحدث هتلر عن الأهداف التي دعته لإعلان الحرب في الشرق. كما أعرب عن نيته تحويل سراً الأراضي المغتصبة الى مستعمرات، "كل التدابير اللازمة: رمياً بالرصاص، نفي، إلخ...". أما الحرب ضد المؤيدين، فإن لها فوائدها في "تخويلنا

القضاء على كل من يعارضنا..." الأراضي المحتلة يجب أن تكون مسالمة، والوسيلة الأنجع لتحقيق ذلك هي "أن نقتل أي شخص يظهر من تصرفاته أنه معارض، وإن لم يفعل سوى النظر إلينا نظرة غضب[316]".

في 22 تموز، تراجع هتلر عن قراره، مصدراً أمره الى قيادات المناطق الخلفية للقوات بإستعمال كل الوسائل، مهما بلغت قسوتها، لحفظ الأمن. كل الوسائل متاحة في إخضاع السكان وحملهم على الطاعة العمياء[317]. بعد ثلاثة أيام، عمد بدوره، القائد الأعلى للجيش، لإتخاذ موقف من الخطر المائل وراء الحدود. كل خصم يقبض عليه في المعركة، لا بد من الانتقام منه بقتله. في حال أي مقاومة سلبية من السكان، يعمد الى تنظيم انتقامات جماعية "للعناصر المشتبه بها"، وإن لم يمسكوا بهم متلبسين، وإنما حصل الإشتباه بهم أنهم يشكلون خطراً الأمة، فيسلمون فوراً الى قوات التدخل[318] للبت في أمره.

عبر النشاط الدموي للـــ SS الذي ترجم على الأرض بفظاظة المسؤولين الألمان التي تصاعدت وتيرتها، خلال الحملة وبعد أسابيع فقط من إعلانها، نتيجة فشل قواتهم على الحدود. مهدت العقيدة النازية الطريق لهذه التصرفات الغاضبة، ولهذا القتال ضد خصم محتقر ومشيطن في آن، دفعت بهم جميعاً نحو التطرف. كان الجيش الألماني، ومنذ الأيام الأولى لإعلان الحملة، قد أشار الى اليهود على أنهم يمثلون هذه فئة مشتبهاً فيها، وأنهم الخطر الذي يجب أن يحارب بكل قسوة وحزم. كما إن الجمع بين المقاومين خلف الحدود وبين اليهود فرض نفسه في سياسة المسؤولين العسكريين في كل المناطق على الخطوط الخلفية للجيش. وأطلق العنان لقوات الـــ SS في أن تعمل دون توقف[319].

في 22 تموز، إستقبل هتلر مسؤولاً كرواتياً، المارشال (كفاترنيك). وفي أثناء هذا اللقاء، أخبره عن قناعته بأن القسم الاكبر من القوى المعادية، ستتم تصفيتها خلال ستة أو ثمانية أسابيع، متخذاً له مرجعاً من التاريخ، ذاكراً أن ستالين يعرف تماماً نهاية نابليون. هذا التصريح من هتلر لا يمت الى العقلانية بشيء، ولكنه على الصعيد النفسي ذو دلالات كثيرة. ثم تطور بهما الحديث الى المشاكل الداخلية لكرواتيا، فإستغلها هتلر بإسداء النصح الى ضيفه بضرورة إستعمال أشد الوسائل قسوة وإتخاذ

تدابير تطهيرية لكرواتيا. لا بد من التخلص من أعداء المجتمع والمجرمين. إن دولة ما، عندما ترسل أهم مسؤوليها على الجبهة، كي تعرض بحياتهم، فهي لا تستطيع أن توفر حياة الرعاع.

وبالعودة الى الوضع في الشرق، تحدث هتلر عن اليهود واصفاً إياهم، بأنهم كانوا "آفة الإنسانية". إنهم يمارسون الرعب بوصفهم مفوضين عن البولشيفية في بلاد البلطيق. أما الآن، فإن سكان هذه البلاد ينتقمون منهم انتقاماً دموياً. كما أعلن هتلر حينها عن رغبته في إبعادهم عن أوروبا، وأنه لا يهمه إن كان ذلك في مدغشقر أم في سيبيريا[320]. كان في حديث هتلر غضب متعطش لإبادهم، لما فعلوه وما تسببوا به من إراقة لدماء الجنود في المعركة. وإن كان لا يحمّل اليهود وحدهم مسؤولية ما حدث . وكان يذكر، بحماس، المجازر التي إرتكبت في بلاد البلطيق وأن لأهل البلاد الأصليين، دوراً بارزاً فيها. كما عاد وأكد عن عزمه في تجميع يهود أوروبا في مكان ما.

في بداية آب، وجد نفسه من جديد أمام أفق مظلم. إن الروزنامة الأولية لا يمكن اتباعها، لأن الخطر يزداد يوماً بعد يوم، وخاصة أن حملته على الإتحاد السوفياتي لن تنته قبل حلول الشتاء. لن يكون إذن في موسكو في الـــ 15 من آب، ولن ينتهي من الحرب في بداية تشرين الأول، كما سبق ووعد السفير (شلولنبرغ)[321]، في بداية الحملة. إن المناقشات الحادة بين العسكريين، حول الخطوات اللاحقة للحملة، عادت لتتخذ مكانها، ولترتفع وتيرتها، كي يتوصلوا الى إتفاقات جزئية ومؤقتة، كان من شأنها تعكير الأجواء بين الأطراف. في 11 آب، قام (هادلر) بوصف الوضع، في إحدى الصحف، على أنه غير مشجع . لقد أساء تقدير قوة الجيش الروسي العسكرية. وبدلاً من 200 فصيل متوقع، ها هم إصطفوا 360 فصيلاً. وكل 12 فصيلاً يدمر، ينتصب 12 آخرون بدلاً منه، وإن كانت غير مجهزة، ولكنها متواجدة في ساحة المعركة. علاوة على هذا فإن الخصم يستفيد من قربه من قواعده، في الوقت الذي يبتعد فيه الألمان عن قواعدهم. بل أن الخصم بإمكانه الإستفادة من تمدد خطوط الجبهة المعادية، وبمهاجمته لها وملاحقتها[322].

في 18 آب، إقترح الجيش مخطط عمليات يهدف الى السيطرة على موسكو. فما كان من هتلر إلا أن تفاجأ بالمخطط، وتدخل لفرض وجهة نظره، واضعاً حداً للمناقشة. ثم قال، إن المراكز الحيوية للخصم هي: منطقة لينغراد في الشمال، حوض دوناتس، ومنطقة شبه جزيرة الكريميه في الجنوب، يجب السيطرة عليها قبل الشتاء. إن الهجوم على موسكو لا يمكن له أن يتم إلا بعد السيطرة على هذه المراكز الأربعة. منذ هذا الوقت، كان المسؤولون الالمان يشككون أكثر فأكثر من إنتهاء الحملة قبل نهاية الشتاء. في 19 آب، إن إعادة تنظيم القوات الألمانية التي كان مقرراً لها أن يتم في الخريف، بعد عملية بربروسا، تم تأجيله الى وقت غير محدد. وفي نفس الوقت، كانت قد تراجعت العملية ضد بريطانيا، التي كانت مقرراً خوضها في الربيع، وذلك من أجل توزيع النشاطات على مجالات أخرى، أكثر أهمية في الوقت الراهن.

إن استعماله لجملة "بشكل غير متوقع" كان لها نتائج لم يعد بالإمكان تجاهلها. وفي مذكرة، كتبت في الثلث من شهر آب، قام (كيتل) بإجراء حسابات ونتائج الحملة، وقدم عرضاً للتوقعات. بعد 8 اسابيع من الحملة، بالرغم من النجاح الباهر للألمان، كانت الـــ وارهماخت تواصل تصادمها مع القوات السوفياتية. إذا كان ممكناً أن تنهار قوات الخصم فجأة، فإن مجرى الأحداث ينبئ عن حصول أمر مغاير. في الحقيقة، إنطلق (كيتل) من فرضية في العمل، أن العدو لن يقضى عليه تماماً، قبل إنتهاء الشتاء، وأن العمليات ستستمر للعام القادم. وكان يعرض نتائج ذلك السلبية على إستراتيجية الرايخ. إن اليابان سيتخلى عن فكرة إنخراطه الى جانب المانيا في الحرب على الإتحاد السوفياتي، لأن مشاركتها كان مشروطة ، بحالة نصر شامل لألمانيا. إن إنضمام بريطانيا الى الإتحاد السوفياتي، عن طريق إيران، لا يمكن منعه، لأن تركيا و إسبانيا وفرنسا، يصرون على الحياد. في البحر الأبيض المتوسط، فإن وضع قوات المحور، أصبح اصعب مما كان عليه. وأخيراً، لولا الخوف من اعتداء أنكلو-أميركي قريب، لكان الوضع تغير جذرياً، اذا وقعت إفريقيا الشمالية في يد الخصوم. حينها، ستصبح إيطاليا مهددة مباشرة.

إن الهدف الأخير للرايخ، كما قال (كيتل)، يكمن في هزيمة بريطانيا. ولكن، هذا الهدف أصبح أصعب، من أي وقت كان، في الوصول إليه. إن قراءة (كيتل) للوضع

تظهر أن تدخل الولايات المتحدة، لم يعد محتملاً، وإنما قائماً ،أكثر من أي وقت مضى. إنها ليست سوى مسألة وقت. إن توقيع تشرشل وروزفلت لميثاق الأطلسي، في 11 آب، أظهر للملأ تضامن الشعب الإنكلو-ساكسوني. وإن كان الخصم في الشرق، قد تم سحقه في الربيع التالي، فإن الصراع سيبقى قائماً. بل أن المقاومة السوفياتية، أعلنت عن تمديد للحرب بلا نهاية، وذلك بالانتقال من حرب خاطفة الى حرب طويلة الأمد. كل هذا يمكن قراءته من بين سطور مذكرة (كيتل). من غير المحتمل، ألا يكون هتلر قد تصور هذا، وإن كان يرفض الإعتراف به. وفي نهاية الأمر، قام هتلر بالموافقة على مذكرة (كيتل)، وسمح بإرسالها الى رؤساء القوات المسلحة الثلاث (البحر، الجو، الأرض)، كما الى (ريبنتروب). ولكنه منع تصويرها، أو إرسالها الى مسؤولين آخرين[323].

في الحقيقة، لقد نوى تمديد الحرب، منذ بداية شهر آب. ففي كل مرة كان يستقبل فيها زواراً أجانب، رجال دولة حلفاء عامة، كان يؤكد لهم أن الصعب قد فات، وأن النصر أكيد. تحفظات وشكوك، غالباً ما كانت تخترق هيئته المتفائلة. ولدى إستقباله (أنطونيسكو) في 6 آب، إستعمل هتلر مرتين عبارة "نأمل" بخصوص أهداف كان قد استعد لها. كان "يأمل" في السيطرة على مراكز الخصم، الاقتصادية والحيوية. كان "يأمل" في الوصول لهذه الأهداف قبل فصل الشتاء السيء[324]. أما فيما يتعلق بهدفه الأساسي، خط الفولغا – أرشانجيلسك، فقد كانت طموحاته تتقلص بشكل ملحوظ. كان يعلم أن ستالين يملك وراء الأورال مراكز إنتاج ضخمة، وأن كل أسبوع يمر، منحه فرصة لنقل المصانع والعمال الى الوراء، بعيداً عن الجبهة. ولكنه، كان يفضل تقليل أهمية ذلك، دون أن يكون، ربما، مقتنعاً بذلك، كاتماً قناعته حول حرب تغوص في الرمال.

في 25 آب، إلتقى بموسوليني وحادثه بنفس الأقوال التي تعوّد ترددها عن النصر المنتظر. إن العدو سينهار تحت الضربات الألمانية المتكررة، وذلك على أبعد حد، في تشرين الأول.إن خسارته لقواعده الاقتصادية ستساعد في إنهياره. ولكنه، وفي نفس المقابلة، قال بأنه لا يهم كثيراً أن يكون هذا الإنهيار، بمدة قصيرة، أو في عدة شهور، أو أن يتأخر الى الربيع القادم. إن أدوات النصر بين أيدي الألمان[325]. وكان قد كتب

أحد الدبلوماسيين، الذين حضروا تلك المقابلة: أن القياديين الألمان يتمتعون "بتفاؤل من حيث المبدأ"، رغم كونهم ضحية للخوف الذي سببته المقاومة السوفياتية[326].

إن ملامح التشتت القوي الذي كان عليه هتلر، كانت تغذيها آمال السلام، التي بدأ يفاوض عليها. حيث، في 18 آب اثار أمام (غوبلس) ، المندهش من إمكانية عقد صلح، كان قد قدمه ستالين. وقال بأنه مستعد لقبوله، إذا ما قدم له ستالين ضمانات جغرافية واسعة، وأيضاً، التعهد بأنه سيعمل على إزالة سلاح العدو حتى آخر بندقية. وحينها، تستطيع البولشيفية التقدم، كما شاء له، على الجانب الآخر من الأورال. من الطبيعي، أن هذه الطلبات المبالغ فيها، لا يمكنه الحصول عليها، إلا في حالة نصر ساحق. من ناحية ثانية، فهو عندما يقول بأنه مستعد لتوقيع سلام مع ستالين، ذلك لأنه كان يشعر بأنه ليس باستطاعته القضاء عليه. وفي المقابلة نفسها، التي أجراها مع (غوبلس)، قال بأن السلام ربما سيأتي فجأة. ربما يسقط تشرشل[327]؟ في الأسابيع التالية، أثار هتلر، لعدة مرات، فرضية نهاية فجائية للحرب مع الإتحاد السوفياتي. حينها، سيكون بالإمكان قلب نظام ستالين، أو أن يجبره على توقيع عفو أو سلام. ولكن، ماذا عن هتلر، هل يرضى بالمقابل بالتراجع في آسيا، أو على الأقل، بالتمدد نحو الخليج الفارسي، مما سيضعه في مواجهة مباشرة مع بريطانيا العظمى، وهذا سيكون من شأنه تسريع الأعمال في الرايخ[328]. كان هتلر يحلم بسلام أعجوبة يخرجه من الفخ الذي أقحم نفسه فيه.

بالتوازي، فإن تصرفه حيال اليهود شهد تصلباً ملحوظاً. فحوالي الـ 8 الى الـ 10 من آب، وخلال أحد مونولوجاته، التي كان من عادته أن يمارسها الى ساعة متأخرة من الليل، الى درجة جعلت (بورمان) يقوم بتسجيلها في مذكراته، كان هتلر يتحدث عن إجلاء للسكان. إذا كان هناك من دولة تملك الحق في فعل ذلك، فهي ألمانيا. ألم تجبر مئات الألوف من الألمان على ترك بروسيا الشرقية ، غداة الحرب الكبرى؟ لم يكن يفهم إجلاء 600 ألف يهودي[329]، يكون قد قام بعمل عنيف. إنه يكرر قوله: طرد يهود الرايخ، كما قال لـ (غوبلس) في مقابلتهما لـ 18 آب، حينما فرض عليهم حمل إشارة مميزة. كما أثار معه قضية ترحيلهم نحو الشرق عقب الحرب، قائلاً بأن المناخ القاسي سيعلمهم الحياة.

ما هو مهم في هذا المونولوج، هو أن هتلر قد عاد وذكّر بـــ "بنبوءته". فقال "في هذه الأسابيع وهذه الأشهر" ستتحقق، بضمانة شبه مرعبة. "في الشرق، لا بد من تحمل اليهود للخسائر الواقعة علينا بعد أن دفعوا في ألمانيا، قسماً من الثمن. أما في المستقبل، فإنهم سيدفعون أكثر"[330]. إنه يشير الى مذبحة اليهود السوفيات. لقد كانت أشبه بحدث حصل بالأمس القريب، مرتبط بمسار الحرب وتحولاتها. على اليهود أن يدفعوا ثمن "الأضرار". إذن، فإن الذي مورس عليهم هو في الحقيقة ليس سوى عملية انتقام، كرد على الدم الألماني المهدور. وفوق هذا، وعد هتلر بأن يسري انتقامه على الألمان اليهود، بقسوة لم تعرف ملامحها بعد. وربما يكون مصيرهم أقسى مما شهده اليهود السوفيات. وربما يكون أقل قسوة. إن فكرة الإبادة تتجسد تبعاً لحجم الصعوبات التي كان يواجهها الجيش الألماني في الشرق، مع أن القرار النهائي لم يكن قد وقع عليهم بعد.

من الملفت للنظر، أن هتلر في حواراته المونولوجية لذلك الصيف، والخريف الذي تلاه، كان ما زال يجتر ذكرى الحرب الأولى، 1918. ففي الموقف الذي كان فيه، كان لا بد من عمل مقارنة بين الحالتين، بين تجربته المرة للحرب، والتي كان من شأنها صقل عالمه السياسي آنذاك، "لو كان بحوزة ألمانيا 400 دبابة فوق ما كانت تملكه في الحرب الأولى، لكانت ربحت الحرب"[331]. "لو إستطاعت أن تملك قواتاً إضافية على الجناح الأيمن في 1918، لكانت ربحت الحرب". كلام كثير من هذا النوع، يبين أن هتلر كان على حد السيف في تلك الفترة. إلا أن الموقف العسكري لا يستدعي المقارنة من حيث المخطط العسكري وحده. في مساء 14 أيلول، تحدث هتلر عن ثورة 1918 وعن قياداتها، الذين كانوا خريجي سجون، وأن هذا لن يتكرر. لقد أصدر أمراً لهملر، في حال نشوب أية إضطرابات داخلية، أن يعمد الى قتل جميع المساجين في المعتقلات الجماعية بحيث عقاب مسبيبها، يكون بمثابة عقاب للجميع[332].

في مكان آخر، لم يكن الموقف غارقاً بالتشاؤم، ففي هذه الاسابيع من أيلول وتشرين الأول، كانت التحضيرات للإبادة الجماعية على قدم وساق، وكان من جهة أخرى يعبر عن حالة من الأمل والثقة، إنما دون أن يعترف بمحدودية وخلفيات

مخططه. وإذا كان عليه أن يعترف، أن هناك إحتمالية، أن الحرب لن تنتهي على عتبات الشتاء، فهو لم يكن يريد، أكثر منه، التصديق بأن إنقلاباً في الموقف سيكون من شأنه تعويض التأخير الحاصل، في أيلول، بعد أن عمد الجيش الى الهجوم نحو الجنوب، أن ذلك سيتوج بالنجاح في السيطرة على كييف، وعلى حوض دوناتز وجزءاً من الكريميه. حينها، قرر هتلر دفع قواته نحو موسكو فاستطاعت السيطرة على بريانسك وعلى فيازما. هذا الهجوم كبّد الخصم خسائر بالغة دون أن ينجح في تطويق القوات الألمانية لها.

وفي المساء الذي سبق ذاك الهجوم ، أطلق هتلر أبواق الصحافة تهتف بنصر أكيد. دوافع نفسية مبعثها القلق أدت به الى هذا التصرف، وكأن هتلر يريد أن يؤكد لحلفائه كما للشعب الألماني أن قواته قادرة على النصر. كل هذا إنما كان يعكس إيماناً راسخاً بنصر نهائي وأكيد لكنه لا يخفي قلقاً عميقاً متأصلاً في شخصيته. في النداء الذي وجهه في الثاني من تشرين الأول، الى جنوده على الجبهة في شرق أوروبا، نوه هتلر بكل الترتيبات التي تم إعدادها على الجبهة، والتي سيكون من شأنها استئصال شوكة العدو. إلا أنه وجد بأنه من الضروري أن يصف: الى "أبعد الحدود التي تسمح لرجالنا بأن يكونوا أسياد الموقف". وفي خطاب أدلى به في اليوم التالي، وبعد أن تنبأ أيضاً بالنصر، ألمح بلباقة الى إمكانية تمديد أمد الحرب [333]. إن آماله كانت، كمبالغاته في الثقة، غالباً هي نتيجة لحالته النفسية الغامضة والمعذبة[334] في آن. فهو كان مقتنعاً بنصر نهائي وقريب، في الشرق، لم يكن ليأمر في ترحيل فوري لليهود، تصرفاً من شأنه أن يتناقض مع تصرفه الواثق النابع من إيمانه بالنصر النهائي.

في نفس الوقت، كانت تصريحاته المعادية لليهود تواصل تصلبها. وقد ظهر ذلك في رسائله وخطاباته حيث كان يشير إليهم بإستمرار، متهماً إياهم بالتسبب بالحرب، شأنهم في ذلك شأن الأعداء البولشفيين المختبئين وراء قناع، الرأسمالية والبولشيفية، الذين تعاهدوا على القضاء على النازية وعلى الشعب الألماني[335]. وفي 3 تشرين الأول، تطور خطابه كي يشمل هؤلاء الذين حرضوا تشرشل على دخول الحرب في الأول من أيلول 1939، فرحين برؤية المانيا تتطاير شظايا، ثم أضاف" [...] بإنهم ربما سيرون، من اليوم فصاعداً، هذه الحرب الرائعة بمنظار جرائمهم"[336]. لم يشر الى

اليهود بشكل واضح، ولكنهم كانوا المعنيين لا شك، وبذلك كان هتلر يشير الى حرب إبادة جماعية. لأن عبارة، من الآن فصاعداً، يستنتج منها أن قراراً قد إتخذ بشأنهم.

أما في مجتمعه الخاص، فإن الأسابيع القادمة سيكون من شأنها توضيح الموقف، هذا، دون أن تتوقف تماماً عباراته الملمحة الى شيء ما. لكن مونولوجاته الخاصة بشهر أيلول لا تفيد بشيء هام. على العكس من ذلك، تلك الخاصة بشهر تشرين الأول كانت على درجة من التعبير، حيث في 21 تشرين الأول، صرح هتلر، أثناء حديثه عن اليهود، أنه "بإبادة هذه الحشرة" يقوم بخدمة للإنسانية، لا يستطيع الشعب الألماني تصورها الآن[337]. وفي 25 تشرين الأول، وبحضور هملر و (هيدريش)، ذكر بنبوءته، مضيفاً بأن اليهود يحملون في ضمائرهم، مقتل 2 مليون من البشر في الحرب العالمية الأولى، وعدة مئات الالاف لهذه الحرب. "فلا يقل لي أحد، أننا لا نستطيع الإرسال بهم الى المستنقعات!" من يهتم لمصير رجالنا؟ انه مدعاة فخر أننا سبقنا غيرنا في إبادتنا لليهودية. إن محاولة تأسيس دولة يهودية سيكون فشلاً [338]".

هنا أيضاً، يعمد هتلر الى ربط الدم الألماني المراق بموت اليهود. الجملة ما قبل الأخيرة تبقى في جزء منها مبهمة ولكنها لا تخلو من أهمية. إنها تظهر في الحقيقة تصرف هتلر الغامض إزاء جرم الإبادة. من ناحية أخرى، كان هتلر يبدو قلقاً من إخفائه لهذا السر، كما أعلن في 21 تشرين الأول، بأن الشعب الألماني ليس مؤهلاً بعد لفهم الخدمة التي يسديها هتلر للإنسانية. لقد كان هتلر يحتاج الى ترداد هذه العبارات مرات ومرات وكأنه يطالب الشعب الألماني الاعتراف بفضله. منذ نهاية العام، عاد هتلر يكرر الحديث عن نبوءته، ملمحاً الى أنها في طريقها للتحقق. كان يريد من الشعب اليهودي أن يفهم أنه في طريقه لدفع ثمن معارضته له.

في الحقيقة، أن سير الأحداث للحملة، في الشهرين الأخيرين، كان قد أكد مخاوفه. وفي تشرين الثاني، أراد أن يرغم القدر، بإرساله قوات هجومية الى موسكو، وذلك بالرغم من سوء الاحوال التي يرزح تحتها جيشه من قلة تجهيزات الشتاء، وبالرغم من حالة إحتياطه من الجيش والعتاد. كان يبحث بعناد عن قرار، وفي نفس الوقت عن الحرب من أجل أهداف تستدعيها ظروف صعوبة موقفه: إن الهجوم على موسكو

من شأنه إضعاف قوة الخصم ، بما فيه الكفاية، لتكون العمليات العسكرية لحرب الربيع بدون مخاطر. لكن الهجوم أخفق في تحقيق النجاح إلا في البداية. لأن في الوقت الحاضر، الخصم هو من يقوم بالهجوم، عاملاً على وقف التمدد الألماني داخل أراضيه، وهو على وشك أن يواجههم بالضربة القاضية.

وفي النهاية، فشلت عملية بربروسا. وكان على المسؤولين النازيين أن يقبلوا، بما كانوا قد رفضوه في نهاية شهر تشرين الأول. مع أنه، ومنذ ذلك الحين، لم يكن هناك من شك بأنهم قد خسروا الرهان، من الناحيتين العسكرية والاقتصادية. وكانت الحرب قد كلفت الجيش الألماني، ما لم يكن يتوقعه، سواء أكان خسائر بشرية، أم مادية من عتاد وذخائر، عدا أنها تسببت في خروج أكثر المحاربين معاقي حرب، مما دعا (هادلر) أن يكتب في أوراقه، في 23 تشرين الثاني، أنه لن يكون للرايخ جيش في المستقبل كالذي كان يملكه في 22 حزيران 1941[339]. وكان من نتائج فشل الحملة على الاتحاد السوفياتي وقوع ألمانيا في أزمة إقتصادية يصعب الخروج منها، ذلك أن قلة اليد العاملة والمواد الأولية كان من شأنها أن حدت من إنتاج الأسلحة . وفي 29 تشرين الثاني، قام (تود) وزير التسلح والذخيرة، بالتصريح لهتلر بإستحالة نهاية الحرب لصالح الرايخ، يضاف الى ذلك خسرانهم للمفاوضات العسكرية وأيضاً الاقتصادية[340].

وكان قبل ذلك بأسبوع واحد، إلتقى هتلر (غوبلس) فسأله إن كان ما زال يؤمن بالنصر. فكان جواب هتلر، بأنه إن كان يؤمن بنصره في 1918، حين كان ما زال برتبة كابورال نصف اعمى، غارقاً بدمه، فوق سرير في مستشفى، فكم يتطلب منه إيمانه اليوم، وهو الذي يعتبر على رأس أكبر واقوى جيش على وجه الأرض، وحاكماً تقريباً لكل أوروبا. وكان هذا، بشكل أو بآخر، إعترافاً بأن الطريق حتى النصر سيكون صعباً وطويلاً، من أجل الوصول إليه لا بد من شروط مناسبة، كما كان الحال في الماضي. وفي بداية كانون الأول، وقع الاعتداء الياباني على بيرل هاربر، مما أجبره على إعلان الحرب ضد الولايات المتحدة. مؤكداً من جهة وقوفه الى جانب حليفه، ومن جهة أخرى يعبر عن رغبته في محاربة خصم، طالما رأى أنه سوف يدخل الحرب. وفي تلك الظروف أصبح وضعه يشبه ذاك الذي عاشته ألمانيا

الامبراطورية، التي طالما سعت الى تحاشي الإصطدام بالولايات المتحدة، لما يشكله هذا الإصطدام من موت محقق.

في هذا الوقت، كانت آلة الإبادة الجماعية قد باشرت دورها. لم ينتظر هتلر دخوله في حرب ضد الولايات المتحدة، كي يباشر أعماله. القرار النهائي كان قد إتخذ في ظل أجواء من الغضب الدموي العارم، تشتد حدته تبعاً لإشتداد أزمة الحملة على روسيا، وتبعاً لخطوات الفشل التي كان يواجهها مشروع هتلر برمته. منذ بداية شهر آب، كان يعلم أن نصراً نهائياً في الشرق قبل نهاية الشتاء، أصبح بعيد الإحتمال، وأن الحرب ستتواصل للعام القادم أيضاً. وللوهلة الأولى، بدت المقاومة البريطانية في حالة إنتعاش، وبدا التدخل الأميركي أكثر إحتمالاً. ربما قد أساء تقدير العراقيل التي من شأنها أن تعيق تدخل أميركا. لكن المهم هنا هو أن شعوراً راوده بوقوع حادث لا مقر منه. في ظل هذه الظروف، لم يعد من الضروري إنتظار صيرورة الحرب، حرباً عالمية.

منذ دخوله في معترك السياسة، لم يزل يرجّع فكرة الفشل وأنه قد تم إتخاذ قراره بإعتماد حلول. كان يعرف الخطر المحيق به، ولطالما إعترف به حين وقوعه: حرباً طويلة الأمد، يظلل نهاياتها شبح الهزيمة. حوالي منتصف أيلول 1941، عندما قرر هتلر القضاء على اليهود، لم يكن متأكداً من هزيمته في الحرب، ولكنه كان متأكداً من أنه يحتاج للحظ كي يتغلب فيها. ومن المؤكد أنه كان يعلم مقدار الثمن الذي سيدفعه، نظير انتصاره. إن موت اليهود شكل بالنسبة إليه عملاً إسترضائياً، وانتقامياً في آن. عندما اطلق حكمه بالموت على اليهود، الذين طالما إعتبرهم أعداء أساسيين، لم يكن يعنيه، كونهم سكاناً عزلاً، غير قادرين على المواجهة. كل ما كان يعنيه هو أن يثبت سلطانه في كفاحه بالقوة، متخذاً من هؤلاء ضحايا عن جرم إرتكبه يهود مثلهم. فقاد حربه بتعصب ضدهم، متصلباً في رأيه، أملاً منه بتحقيق نصر، أو بحرب ضروس لا تبق منهم أحداً. وفي نفس الوقت، كان لا يفتر يتحدث عن الدم الألماني المراق، منتقماً بذلك لهزيمة كانت يراها قادمة. لقد قاد مشروعه الانتقامي، كيفما إتفق، بكثير من العناد المستبسل، كلما إقترب وضعه من التدهور، وكلما إقترب من نهاية هي أشبه بنهاية العالم.

خلاصة

منذ نصف قرن، والحل النهائي يرمي بثقله على الضمير الأوروبي. سواء تعلق الأمر بإنكاره، بإحيائه أو بالحديث عن تفرده، على كونه عملاً من هذا النوع، فإنه يبقى يستعطف العقول، ويستحوذ على القلوب[341]. كما أنه ما زال يستجلب إنتباه المؤرخين، الذين يواجهون مهمة ثنائية، إعادة تركيب الحديث بكل أجزائه وتفاصيله وأبعاده المتعددة، ثم محاولة فهم طبيعته. للرد على المهمة الأولى، فإن الوسائل التي يملكها المؤرخ كافية، حتى وإن كان، بالنظر الى حالة المصادر، فإن مختلف التراكيب لا تستطيع التغلب سوى على درجة، أقل أو أكثر، من التجانس ومن المصداقية. أما بالنسبة للمهمة الثانية، فهي على العكس، وسائل التعاطي مع الحدث تبدو، بكل أسف ضعيفة. إن الحدث في قسم كبير منه يبدو غامضاً، وذلك بسبب كثافته، وكذلك بسبب تباينه. وكما كتب عنه (صول فريدلندر) يقول: "إن المؤرخ يصاب بالشلل أمام تزامن وتداخل المظاهر المتباينة، المتنافرة فيما بينها. من تعصب شيطاني، الى مؤسسات بيروقراطية، الى دوافع مرضية ثم قرارات إدارية، علاوة على ذلك، تصرفات بدائية ومجتمع صناعي متقدم[342]".

إن الحكم بالموت على يهود أوروبيين كان مؤسسة، إنتسب إليها العديد من الأشخاص من كل أنحاء أوروبا، تطوعوا من أجل إسداء الخدمات لها. من الحماس الى المؤامرة، ومن الموافقة الى السلبية، كلها ساهمت في تحقيق هذا الأمر. ما أن باشرت الآلة الإجرامية عملها، حتى بدا وكأنها تعمل بجمود منقطع النظير. إن الجريمة، كانت بقسم كبير منها، جريمة بيروقراطية. كل واحد يؤدي مهمته، منصباً على عمله الموكول إليه، لا يلتفت إلا للحلقة التي تخصه من السلسلة الضخمة التي تحيط به، سلسلة في طرفها الأخير يكمن موت تتحكم به المكاتب وتؤطره. ولكن، وإن كان الحل النهائي في تنفيذه، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، إعتبر عملاً مجهولاً، جامداً ومجزئاً الى مراحل، فإن رجلاً واحداً، يملك قناعات صلبة، ودوراً لا ينازع

عليه، والحفاظ علي وتيرته الى النهاية. أما فيما يتعلق بالإبادة، فإن هتلر الوحيد من يملك الكلمة النهائية، لقد كان محورها ومحركها الفوري.

في أيار 1942، كتب (غرايز) لهملر يعلمه أن إبادة اليهود في الـــ وارتلند في طريقها الى الكمال. كما أعرب عن رغبته في تطبيق نفس التدابير على 30 الف بولندي مصابين بمرض السل. فما كان من هملر إلا أن أجابه، في 14 أيار 1942، عن طريق مساعده، بأن طلبه هذا قد تم تحويله الى (هيدريش) للموافقة عليه. عدا أن القرار النهائي، وحده الفهرر، من يستطيع البت فيه. من المستغرب أن يكون أمر إبادة اليهود، لم يتم بنفس الطريقة[343].

مات هتلر في صيف 1941، فهل كانت الإبادة قد حصلت بعد موته ؟ لقد كان غائباً، فهل يمكن أن تكون النزعة الحاسمة قد أخطأته. وهل كان اليهود يعانون في أوروبا التي يقودها (غورينغ)، (غوبلس) أو هملر؟. إن سياسة التمييز لكانت إذن إستمرت، والعنف إرتكب، وربما عنف جماهيري أشبه بالعصيان. ولكن، لكي ينصبوا على الإبادة الجماعية، لا بد لهم من نزعة هتلرية، نزعة آتية من البعيد. لم يتعثر هتلر كي يقع في الإبادة، بدون قصد، كما أنه لجد شيئاً أخر يفعله، بل لأن كل الخيارات الأخرى قد فشلت. ولن يبيد اليهود إلا من أجل تطبيق برنامج، كان قد أقسم على تحقيقه، مهما كلف الأمر.

إن عداءه لليهود، كان قد أملى عليه توصيات وقرارات، بحيث لم تشكل بمجموعها برنامجاً بالفعل، وإنما هوساً أكثر من بسيط. هذه العناصر تكفي لوحدها، لكي توحي إليه ولتقود حركته، بالرغم من تصرفات هتلر يشوبها الغموض، وبالرغم من أنها تحمل في ذاتها، تنافسات وصراعات حول أسبقية كل منها. فمنذ نهاية السنوات 30، في كل الأحوال، خطان من التفكير تجاورا في فكر هتلر، يحكمان تصرفاته: البحث عن حل جغرافي، في حال إنتصاره، وانتقام عرقي، في حال أن الأمور لم تسر كما أراد لها. بين هاتين السياستين اللتان هدفتا الى إخلاء أوروبا من اليهود، لم يكن هناك تناقض، حاسم لأمره. فكل واحد تستمد عافيتها من إمتدادها في الأخرى. إن تجميع اليهود في مركز بعيد، كان من شأنه أن يمحو قسماً كبيراً من الشعب اليهودي. لو حصل، لكان اليهود تقاسموا مصير الشعوب السلافية في أوروبا

الشرقية، التي مات فيها الكثير أثناء توجههم الى سيبيريا. إن الإبادة هي طريقة أخرى في التخلص يهود أوروبا. ولكن ما بين الأولى والثانية يوجد عتبة، من أجل عبورها كان لا بد لهتلر من مواجهة موقف، طالما خافه. وفي كلا السياستين: المهمة ممكنة التحقيق.

في صيف 1940، في قمة نجاحاته، كان مستعداً لإرسال يهود أوروبا الى ما وراء البحار. وفي أثناء تحضيره للحملة ضد روسيا، مطمئناً الى النصر، لم يقم بعمل أي شيء ضدهم. إن الحملة على الاتحاد السوفياتي أخذت منعطفاً غير منتظر، فأحس بالخطر يتأرجل بحدة، صادرة أصلاً عن خيال مريض. بكلمة واحدة، كان الرجل الأوحد لهكذا موقف. بعيداً عن إظهار تعسفه، فإن تصرفه بدا مخيفاً. كان رجلاً انتظر طويلاً فشله، فجاء القرار النهائي بنتيجته.

ولكن هتلر، كان قد إتخذ قراره منذ زمن بعيد، لذا، فهو لم يكن بحاجة الى تأصيل قراره، بل على العكس، كان عليه أن يجعله حدثاً قائماً إنطلاقاً من النقطة التي ابتدأ منها المنعطف السيء. إن الضحايا السوفيات كانوا نتيجة حالة غضب عارم، تصاعد في داخله، في الوقت الذي كان فيه يسعى لإيجاد طريقه، يشجعه على فعلته الذبذبات الدموية، التي كان يراها في قسم كبير من أعضاء حزبه. في وقت من الأوقات، في أيلول غالباً، ربما قام بالقفزة المنتظرة: التجمهر حول حرب جديدة وطويلة، إخترقت كيانه. بهذا القرار، إستعاد المبادرة التي شعر بأنها هربت منه في الميدان العسكري. في مواجهة فشل محتمل لمشروع سيطرته ، قام بقطع كل الجسور، مقسماً على تحطيم المسؤولين عن عدم نجاحه. استفحل في الصراع العسكري، وفي ارتكاب مجازر ضد أناس أبرياء، الى درجة أوصل معها ألمانيا الى الهلاك.

إن اندلاع حرب طويلة في بداية الخريف 1941، قرر له أن يقفز الخطوة. وحده قدوم حرب شاملة كفيل بالسماح لهذا القرار أن ينفذ. في كل أجهزة النظام ثمة رجال لا يستطيعون، في ظروف أخرى، القيام بحماس بعملية كهذه. إن تصرف الجيش الألماني دل على ذلك عندما اضطر لمواجهة المقاومة الشرسة للعدو السوفياتي، قام بتصرفات مماثلة من شأنها التشجيع على ارتكاب المذابح. في المؤخرة، إن المحن

التي عاشها الشعب المدني قد أضعفت الحساسية الطبيعية، في الوقت الذي كانت فيه السلطة تشدد من سيطرتها. إن أصوات الكنائس التي كانت تعترض ضد عمليات "الأوتانازي"، ها هي تخمد أمام مرأى اليهود يرحلون.

وبإطالة أمد الحرب، لم يكن للعناصر العقائدية إلا أن تصير أكثر تصلباً، وقبل أي شيء في معاداة الشيوعية، التي كانت النخبة الألمانية تتقاسمها مع نخبة النظام وقلبه النابض. ولم يكن لهذا الاستهتار الخلقي أن يتصاعد، وربما كان المساعد الأقوى للحل النهائي. وفوق ذلك عملت الحرب هذه على تأصيل لدى النازيين المتزمتين عقيدة هتلر بسهولة أن يستغلها من خلالهم عندما اندفعوا، كرجل واحد، في ممارسة الأعمال البربرية. إن الألمان سيخسرون دماءهم، أما اليهود، فسيكونون المنتصرين. هذا التصور، كما رأيناه يكمن في قلب فكر هتلر الراغب بالانتقام. هكذا أعلن، في خطاب ألقاه في برلين، في 30 كانون الثاني 1942، بعد أن ذّكر بنبوءته. قال: "للمرة الأولى، إن اليهود لن يكونوا وحدهم من يخسر الدماء، هذه المرة، وللمرة الأولى سنعمل بالقانون اليهودي القديم "العين بالعين ، والسن بالسن [344] ".

هل كان هتلر ما زال رجل الموقف. يترجى ويطالب بتنفيذ رغبته بالإبادة، بناء على كره قاتل له صداه عند رجال الحزب، لو ترك على حاله، لما كان وصل لأكثر من موجة من الإضطرابات. وكان (غوبلس) يحتج، منذ 18 آب 1941، على أن الألمان علاوة على أنهم سيقومون بالحرب، فإنهم مضطرون لإعالة اليهود "الذين لا يتطلعون الا الى هزيمتنا"[345]. وكان قد ذكر في 26 آب، في أوراقه، أن في هذه الفترة، التي تحارب فيها ألمانيا من أجل بقائها، فإن اليهود سيحرمون من الإستفادة من الحرب أو النجاة منها [346]. وعندما أعلم (فرانك) معاونيه، في 16 كانون الأول 1941، بالتصميم على قتل اليهود، قال بوصفه قديماً في الحزب الوطني الإشتراكي، يقول: "في حال عاش اليهود بعد الحرب بعد أن ضحى الألمان "بدمائهم الطاهرة" فإن هذه الحرب لن تكون قد نجحت إلا جزئياً". في هذه الأقوال، يلوح (فرانك) الى فرضية موت اليهود بعد نصر نهائي لألمانيا، فكم ستكون المجازر في حال خسران المانيا الحرب. مساعد أيشمان، (فرانك نوفاك) وهو أقل منه ببعدة رتب، صرح

خلال محاكمته، أن ما يبرر قتل اليهود، كان مؤيداً من قبل ألمان كثيرين كانوا سيموتون من جراء الحرب، في الوقت الذي يجتاز اليهود البلاد أصحاء معافين[347].

هذا التقديم للأمر، يستمد روحه من الخط الأول لتجربة هزيمة الحرب الأولى 1918. أنماط وتصرفات غذتها صدمة النكسة نشأ عنها يمين ألماني متطرف. شعب من الجبناء اليهود الذين لا يشاركون في الحرب. شعب من المستغلين، يدفعون بالآخرين الى التقاتل كي يبسطوا سيطرتهم. شعب شيطاني، عملوا على تحالف العالم ضد ألمانيا، مقسمين على إبادة الشعب الألماني. إن القوة المدمرة التي تحملها هذه الرؤية، تتضاعف عندما يصل الأمر الى علماء البيولوجيا الألمان، الذي كانوا يعلقون أهمية قصوى على الدم الألماني. إن غريزة الدم الألماني تنادي بالانتقام، فوجدت لها مروجاً في الفكر العنصري.

إن الإبادة ضربت اليهود لأنهم كانوا يجسدون كل ما هو خطر، كالليبرالية والديموقراطية، والمادية، وخاصة الماركسية التي أثارت ردات فعل عنيفة. إنما من المبالغ فيه أن نعتبر أن العداء للبولشيفية، بدلاً من العداء للسامية لعب الدور المحرك لعملية الحل النهائي[348]. إن كره النازية للشيوعية، والتعريف الذي كان الألمان ينادون به مقارنين بين الشيوعية وبين اليهودية، من شأنه حتماً، أن يشرح أسباب عنفهم حين كانوا يمارسون عمليات القتل، في الأسابيع الأولى من الحملة على روسيا، وكذلك في تأصيل هذا العنف حين أخذت الحرب منعطفاً غير منتظر. إلا أن تمديد الحرب في الشرق ليس وحده، ما أدى الى إبادة اليهود الأوروبيين. إذ أنن الشعب الأميركي كان له نصيبه في تقرير هذا المصير. إن الصعوبات التي واجهها الجيش الألماني في الشرق، عززت من إمكانية دخول الولايات المتحدة الحرب، مما أدى الى هزيمة بألمانيا.

في صيف 1941، وبنتيجة التقارب الذي حصل بين الإتحاد السوفياتي وبين الأنكلو – ساكسون، وجد هتلر نفسه أمام تحالف دولي، فرمى بالأسباب على عاتق اليهود. إبادة من إستطاع الوصول إليه لم تأت من عدوانه على البولشيفيين السوفيات، هدف حملته الأول. فكانت ثمرة فظيعة لكراهية واجه بها عدواً عالمياً بوجهين متناقضين الرأسمالية والبولشيفية. وها هو يقوم اليوم بإطاحة اللثام عن قناعه

كاشفاً للعالم توحده مع الشيطان. إن اليهود الأوروبيين واجهوا بهذا التصرف مصيراً ينم عن مأساة لا مثيل لها. إن أوروبا لم تخلص من هذا الفريق النازي إلا بالمقاومة السوفياتية وبالتدخل الأميركي، إلا أن عولمة الصراع أسقطت عن اليهود الحكم بالموت. إن تحرير اوروبا دُفع ثمنه بحياة اليهود.

مراجع الكتاب

1. راوول هيلبرغ، تدمير يهود أوروبا، فايار، باريس، 1961
2. كارل ديتريش براشير، الديكتاتورية الألمانية، بريفا، تولوز، 1986
3. مارتن بروزار، هتلر اند داي جينيزيز، 1977

مارتن بروزا ، "هتلر أنشودة الابادة من سفر التكوين، الجزء الرابع ، 1977 ، ص 739 الى 775 ؛ هانز مومزن ، داي ريليزيرون، ديس أوتوبيشن "الحل النهائي ديس جودى التراسل الفوري "الرايخ" ، غزلشافت ، الجزء الثالث ، 1983 ،

4. محاضرات جامعية حول تيارين سياسيين في ألمانيا النازية، "ألمانيا النازية وإبادة اليهود"،سويل، باريس 1985.
5. سول فريدلندر، مقال بعنوان من العداء للسامية الى الإبادة، 1984

ألمح الكاتب الى دور هتلر الرئيس في المسألة اليهودية، دراسات يود فاشيم، المجلد السادس عشر، 1984، ص ١ الى 50.

6. إبرهارد جاكيل، هتلر في التاريخ، إنكلترا، 1984
7. كريستوفر براوننغ، تجارب حول الحل النهائي، نيويورك، 1985
8. آرنو مايور، "ما الذي لم تحرقه الأفران، الحل النهائي في التاريخ"، نيويورك، 1989
9. دتليف غرزويل، هتلر إن در ويمار، 1969، ص. 356 الى 358
10. هرمان، قال لي هتلر، باريس، 1939. ص. 57 الى 59، ص 159 الى 160.

11. رودولف بنيون، "تأثير الحرب العالمية على هتلر، نيويورك، 1976. وقد ألحق هذا الكتاب بمقال هام، باللغة الألمانية، حول النفس عينه، نشره عام 1983

12. أدولف هتلر، " ساماليخ أوزشنغن "، 1905 ــ 1924 ، رقم 578 المانيا 1980.

13. أدولف هتلر، "كفاحي"، 1934 ، ص 254 الى 402.

14. روشننغن، هرمان، قال لي هتلر، باريس، 1939 ، ص 264

15. أدولف هتلر، ساماليخ أوزشنغن، 1905-1925 ستيفن ولسن، عقيدة وتجربة، لندن، 1982

16. مجموعة من المدافعين عن حقوق اليهود، الرايخ الثالث واليهود، أنفرس، 1933

17. هتلر إزت نان زوم أيتشلوس غوكمان، 1987

18. ديتريش آدام، "السياسة اليهودية في الرايخ الكبير"، ص. 28 الى 33.

19. هلموت غنشل، داي فردراغنغ در جودن أوز در ويرتشافي" اليهود في الوارماخت"، 1996

20. أكتن در راخكازلاي ريجيرنغ هتلر، 1983، وثيقة رقم 193

21. إلياهو بن عازر، ديبلوماسية الرايخ الثالث وهتلر واليهود، 1933

22. جيزيل بوك، زوانغشترليزيشن إم نازيونازوزياليزموس، 1986

23. الياهو بن اليعازر، المصدر السابق

24. دافيد بنكييه، هتلر ووثيقة تسويق اليهود، المجلد الثالث.

25. جوزف ليبسكي، ديبلوماسي في برلين، 1933-1939

26. وليام كار ، هتلر. دراسة في الشخصية والسياسية ، لندن ، إدوارد أرنولد ، 1978 ، ص .177.

27. ستيفن ويلسون ، الفكر والتجربة. معاداة السامية في فرنسا في ذلك الوقت من الشئون دريفوس ، لندن ، عام 1982 .

28. هتلر الأيديولوجية ، مرجع سابق. هتلر بلا التمثيلية .مقابلات مع هتلر هتلر - بريتنغ ،على .قدم المساواة ، باريس ، بورصة ، 1969 ، .82 . أسطورة الرايشتاغ ، لوس انجليس لاتجاه، ميونخ ، بايبر ، 1986

29. التنمية المستدامة ، غير مرقم .، برلين 1935

30. هربرت أ. شتراوس ، «الرهائن من' يهود العالم ': على أصول فكرة الإبادة الجماعية في تاريخ المانيا ، دراسات المحرقة والإبادة الجماعية ، 21988 / ،ص 136125-

31. أوجين كوغون، هرمان لونغبين و أدالبرتروكيل، "غرف الغاز، سر دولة"، باريس، 1984، ص 24 ، وأيضاً أرنست كلاي في كتابه الذي يحمل عنوان "أوتانازي في الرايخ، فرانكفورت 1983

32. جيرهارد إيزنبلاتر،الخطوط العريضة لسياسة الرايخ، 1939-1941 فرانكفورت، 1969، ص 29 الى 30

33. هلموت كراوسنيك، هتلر إيزنكرابنغ، فرانكفورت، 1985

34. مارتن جيلبرت، أطلس الهولوكست، لندن، 1982

35. المشكلة اليهودية كما رآها هتلر، 1941.

36. وسائل وديبلوماسية هتلر، فرانكفورت، 1967.

37. أياركل ر. ماروس ـــ روبير باكستون، فيشي واليهود، باريس 1981

38. كريستوفر براوننغ، الغيتو النازي في بولندا، مركز اوروبا للتاريخ

المقدمة

---

[1]- راوول هيلبرغ، تدمير يهود أوروبا، فايار، باريس، 1961

اعتمد الكاتب هذا الكتاب كمرجع أساسي، لكنه يتحفظ على بعض ما جاء فيه، فيقول: يهتم هيلبرغ بالطرق التي تمت بها الإبادة. فقد اهتم قبل كل شيء بتقديم نموزج اعتمد في قتل اليهود، قام بتعريفه؛ مبتدءاً بتعرية اليهود، تجميعهم وتكديسهم في مكان واحد، عمليات تنقيلهم. منطقياً، ما قدم إليه هو صحيح، لكنه يبرز الأشياء بطريقة وكأن التطور التاريخي جرى تبعاً لمراحل تطور هذا النموزج. كل ما كان يهمه هو إبراز الدور الذي لعبه إصرار البيروقراطية على تصفية اليهود. هذا الإصرار الذي ما إن انطلق في عملية اضطهاد اليهود لم يعد هناك ما يوفقه قبل تحقيق إبادتهم لهم . وأيضاً، ذكره لعمليات الترحيل، سياسة التهجير النازية، مخططات خلق مجمع يهودي في أي مكان من العالم، وكأن ما حصل لم يأت تتويجاً لخط سياسي بل هو اعوجاج مؤقت لمدة من التاريخ.

[2]- نذكر على سبيل المثال كارل ديتريش براشير، الديكتاتورية الألمانية، بريفا، تولوز، 1986 و Karl Dietrich Bracher, *La Dictature allemande,* Toulouse, Privat, 1986 ; Eberhard Jäkel, *Hitler Idéologue,* Paris, Calmann-Lévy, 1973 ; Lucy S. Dawidowicz, *The War Against the Jews,* New York, Holt, 1975 ;Gerald Fleming, *Hitler und Endlösung,* Wiesbaden & Munich, Limes Verlag, 1982; Helmut

Krausnick, "Judenverfolgung", in *Anatomie des SS-Staates,* vol.2, Munich, DTV, 1967

[3] ـــ من ضمن هؤلاء المؤرخين أمثال ارنست فرانكل في كتابه، الصراع الدولي، مطبوعات جامعة اكسفورد، 1941، وأيضاً كتاب فرانز نيومان "بيهيموش"، بايو، باريس، 1987 (النسخة الانكليزية منه صدرت عام 1944)، وأيضاً كتاب مارتن بروزار "دولة هتلر"، بايو، باريس، 1985. كتاب كارل شلونس "الطريق الى أوزفيش"، وثيقة نازية تتعلق بيهود المانيا، مطبوعات جامعة إلينوا، 1970. وأيضاً كتاب جوزف بيلغ "الحل النهائي للمسألة اليهودية، باريس ، سيرج وبيت كلارسفيلد 1977، ص 47 حيث يصف المؤلف حالة التردد لدى هتلر والدور الفاعل لضباطه في تنفيذ عملية الإبادة. وأيضاً كتاب ليون بولياكوف "صلاة الكره"، كلمان وليفي، باريس، 1951الذي يؤكد فيه أن هتلر لم يكن ينوي الإبادة وإنما ضباط النازية من قاموا بذلك مدفوعين بوحي من الشياطين.

[4] هو عنوان كتاب صدر في 1946 Walter Petwaidic, *Die Autoritäre Anarchie*, Hamburg, 1946.

[5] - يرجع الى

Martin Broszat, « Hitler und die Genesis der 'Endösung' », *VfZ*, 4, 1977, p. 739-775; Hans Mommsen, "Die Realisierung des Utopischen : Die 'Endlösung des Judenfrage" im "Dritten Reich", *Geschichte und Gesellschaft*, 3, 1983, p. 381-420.

[6]- محاضرات جامعية عن ألمانيا النازية، ألمانيا النازية وإبادة اليهود، 1985

فيما يتعلق بالمناقشة حول هذين التيارين ، فإن المرجعين التاليين يقدمان تفصيلاً حول هذا الموضوع:

L'Allemagne nazie et le Génocide juif, Paris, Gallimard-Le Seuil, 1985 ; *Der Mord an den Juden in Zweiten Weltkrieg*, édité par E. Jäckel & J. Rohwer, Stuttgart, DVA, 1985 وأيضاً محاضرات باريس عن النازية في كانون الثاني 1987 .وأيضاً "السياسة النازية والإبادة، ألبان ميشال، باريس، 1989, Michael R. Marrus, *Holocaust in History*, London, University Press of New England, 1987. ، وأيضا Ian Kershaw, *The Nazi Dictatorship, Problems and Perspectives of Interpretation*, London, Arnold, 1982 (2e éd.).

[7]- أشار سول فريدلندر، الى دور هتلر المركزي في قضية عدائه للسامية الى وصوله الى الإبادة في مقال بعنوان من العداء للسامية الى الإبادة، Saul Friedländer, « From Antisemitism to Extermination », *Yad Vashem Studies*, XVI, 1984, p. 1-50.

[8]-إبرهارد جاكيل، هتلر في التاريخ، إنكلترا، 1984

Eberhard Jäckel, *Hitler in History*, Hanover & London, University Press of New England, 1984, p. 44-65, *Hitler Herrschaft*, Stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, 1986, p. 89-122; S. Haffner, *Un certain Adolf Hitler*, Paris, Grasset, 1979, p. 217-218.

[9]- من بين مؤلفات كريستوفر براوننغ، نعود بالتحديد الى تجارب حول الحل النهائي، 1985

Fateful Maths. Essays on the emergence of the Final Solution, New York, Holmes & Meier, 1985.

[10]- آرنو مايور، ما الذي لم تحرقه الأفران، 1989

Arno Mayer, *Why Did the Heavens not Darken? The Final Solution in History,* New York, Pantheon, 1989.

١ــ العداء للسامية

[11]- دتليف غرزويل، هتلر إن در ويمار، 1969

Detlef Grieswelle, *Hitlers Rhetorik in der Weimarer Zeit.* Diss. Saarbrük, 1969, p. 356-358.

[12]- هرمان، قال لي هتلر، باريس، 1939

Hermann Rauschning, *Hitler m'a dit,* Paris, Coopération, 1939, p. 57-59, 159-160.

يشترك بورين هنا ، بحسب قوله، مع مؤرخين آخرين يؤيدون ما جاء في هذا الكتاب حول المظاهر السياسية والاجتماعية لعقيدة هتلر.

[13] - أدولف هتلر، ساملیخ أوزشنغن، 1905-1925، ص 1025 ــ 1926

Adolf Hitler, Sämtliche Aufzeichnungen, 1905-1924, édité Par E. Jaeckel et A. Kuhn. Stuttgart. Deutsche Verlags-Anstal, 1980, n° 578, p. 1025-1026.

[14] Adolf Hitler, Mon combat, Paris, Nouvelles Editions Latines, s.d. (1934), p. 254-402.

[15]- Adolf Hitler, *Mon combat*, Paris, Nouvelles Editions Latines, s.d. (1934), p. 25-250. - 402-404

[16] - المصدر السابق

[17]- المصدر السابق ص. 225 . ولأثر الحرب العالمية الكبرى على هتلر يراجع

Rudoloph Binion, *Hitler Among the Germans*, New York, Elsevier, 1976

وايضاً مقاله الشهير

"Der Jude ist Weg. Machtpolitische Auswirkungen des hitlerschen Rassengedankens", in *Die deutsche Frage im 19. und 20. Jahrhundert.* Sous la direction de J. Becket et Hilgruber. Munich. Vöggel, 1983, p. 347-372.

[18]- Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit., n° 566, p. 1003 ; Mon combat, op.cit., p. 169-170, 517-518, 677.

[19] ــ أدولف هتلر، كفاحي ص, 680.

[20] أدولف هتلر، كفاحي. ص 71

[21] ــ المصدر السابق ص 205

[22] ــ المصدر السابق ص 653

[23]- *Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit.*, n° 103, p. 138 ; n° 109, p. 148 ; n° 113, p. 153.

24ــ المصدر السابق، نمرة 338 ص 644 . هذه المظاهر سبق وأن ذكرها جاكيل في كتابه Hitler Idéologue

[25] - Mon combat, op.cit., p. 660.

[26] ــ على سبيل المثال ,Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit., n° 173 p. 276 ; Mon combat, op.cit., p. 324.

[27] - Victor Klemperer, *LTI*, Leipzig, Reclam. 1966 (1re éd. 1946), p. 71.

[28] - « Sein letztes Ziel aber muss unverrückbar die Entfernung der Juden überhaupt sein », Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit., n° 61, p. 89-90.

[29] ــ على سبيل المثال ، المصدر السابق نمرة ٩١، ص. ١٢٠؛ نمرة ٩٨، ص.١٢٨.

[30] ــ

« […] *absolut nur als Gäste* », BAK, *NS 26/55*, discours du 7 décembre 1928, p.33.

[31] ــ هذا ما طالب به في 18 أيلول 1922 في *Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit.,* n° 405, p. 690.

[32] - Rauschning, Hitler m’a dit, op.cit., p. 264.

[33] - أدولف هتلر، ساملیخ أوزشنغن، 1905-1925، ص 420 وما بعدها، Sämtliche Aufzeichnungen, op.cit., n° 421, p. 727 (13 novembre 1922)

[34] - Hitler – Memoirs of a Confidant, édité par H.A. Turner, Jr., New Haven et Londres, Yale University Press. 1985, p.186.

[35] - William Carr, *Hitler. A Study in Personality and Politics*, Londres, Edward Arnold, 1978, p.177, note 25.

[36] - Mon combat, op.cit., p. 649.

[37] - أكبر شهادة على هذا تبدو في خطاب ألقاه هتلر في 29 نيسان 1937 *Es spricht der Führer. Sieben exemplarische Hitler-Reden*, édité par H. von Kotze et H. Krausnick, Gütersloh 1966, p. 147-148.

[38] - Stephen Wilson, Ideology and Experience. Antisemitism in France at the Time of the Dreyfus Affair, Londres, Associated University Press 1982.

[39] - يبدو لي هنا أنه انتقاد لنظرية جاكيل *Hitler idéologue, op.cit* ستيفن ولسن، عقيدة وتجربة، لندن، 1982

[40] — *Mon combat, op.cit.*, p. 170.

[41] — المصدر السابق ص 677-678

[42] - *Hitler sans masque. Entretiens Hitler-Breiting*, édité par E. Calic, Paris, Stock, 1969, p. 82. حول هذا الكتاب يراجع *Reichstagsbrand. Aufklärung einer historischen Legende*, sous la direction de U. Backes *et alii*, Munich, Piper, 1986.

[43] - إلاستشهاد الأخير مقتطع من كتاب الرايخ الثالث واليهود

Le IIIe Reich et les Juifs, édité par le comité pour la défense des droits des juifs, Anvers, 1933, p. 94.

[44] - مقطع من مقال ظهر في *Judenkenner* (برلين) 27 تشرين الأول *Die Stellung des NSDAP zur Judenfrage*, édité par le Centralverein deutscher Staatsbürger jüdischen Glaubens, Berlin, s.d., non paginé. و *Der verwaltete Mensch*, Tübingen, Mohr, 1974, p. 60. وأيضاً Herbert A. Strauss, « Hostages of 'world Jewry': on the origins of the idea of Genocide in German History, *Holocaust and Genocide Studies*, 1988/2, p. 125-136.

٢ - سياسة التهجير، ١٩٣٩-١٩٣٣

[45] - Uwe Dietrich Adam, *Judenpolitik im Dritten Reich*, op.cit. p. 28-33.

[46] - Hitler ist nun zum Entschleus gekommen, 1987, p. 398 ;

[47] ــ هلموت غنشل، ص 56 Helmut Genschel, *Die verdrängung der Juden aus der Wirtschaft im Dritten Reich*, Göttingen, Musterschmidt Verlag, 1966, p. 56.

[48]- أكتن در راخكازلاي ريجيرنغ هتلر، 1983، وثيقة رقم 193 *Akten der Reichskanzlei Regierung Hitler 1933-1938* ص *193 ــ 675*

[49] ــ غنشل ، ص 47

[50]-

Eliahu Ben Elissar, *La Diplomatie du IIIe Reich et les Juifs*, 1933-1939, Paris, Julliard, 1968, p.38.

[51]- *Akten der Reichskanzlei Regierung Hitler 1933-1938*

[52]- ، المصدر السابق، وثيقة رقم 180 ــ ص 630 ــ 633

[53]-غنشل ، المصدر السابق، ص 18 ــ 82

54 - Cf. Gisela Bock, *Zwangssterilisation im Nationalsozialismus*, Opladen, 1986.

[55] ــ بن أليعازر ، المصدر السابق ، ص 150 ــ 155

[56]- Schleunes, *The Twisted Road to Auschwitz. Nazi Policy toward the German Jews*, op.cit., p. 178-180.

[57]- الياهو بن اليعازر، المصدر السابق، ص 85

[58] ــ غنشل ، المصدر السابق ، ص 109

-59 *Er ist sehr zugänglish. In vielen wird es nun bald Änderung geben*", Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit., I/2, p. 488.

60 – للإطلاع على الشروط العشوائية التي ، Genschel, *op.cit.,* p. 114. ادت الى سن هكذا قوانين، يراجع Lothar Gruchmann, « Blutschutzgesetz und Justiz. Zur Entstehung und wirkung des Nürmberger Gesetzes vom 15. September 1935", VfZ, juillet 1983, p. 418-442.

61 –

"Bericht des mit der Führung der Geschäfte beauftragten SS-Sturmann Dr. Schlösser über die Besprechungim Rassenpolitischen Amt vom 25.9.1935", BAK, *NS* 2/143.

-62 "Das Reichsministerium des Innern und die Judengesetzgebung", *VfZ,* juillet 1961, p. 281.

63 - Adam, *op.cit.*, p. 135 *sq*

64 - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, op.cit., I/2, p. 520, 537, 540.

65 - وجهة نظر شلونس الذي قال في مذكراته أن هتلر لعب دور المتردد طيلة الفترة

[66] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, *op.cit.*, I/2, 19 août 1935, p. 504; 29 mai 1936, p. 618, 15 novembre 1936, p. 727.

[67] ــ المصدر السابق، 23 شباط 1937 ، ص 55

[68] ــ المصدر السابق، الجزء ١ الى 3، ص 351

[69] - BAK, *R 18*/5514, "Vermerk über die Besprechung am 29. September 1936."

[70] - Adam, *op.cit.*, p. 200 ; Ben Elissar, *op.cit.*, p. 216, 219 *sq*

[71] ــ Ben Elissar, *op.cit.*, p. 183-184.

[72] - آدم، المصدر السابق, Adam, *op.cit.*, p. 161-162 ; Genschel, *op.cit.*, p. 142, note الملاحظة رقم 9

[73] - حصر الاقتصاد على الجنس الآري. وقد وردت سابقاً كلمة الرايخ وهي تعني الإمبراطورية الرومانية بالمفهوم الحديث والذي كان سائداً أيام هتلر. والرايخ هو مجموعة الأراضي التي يحكمها الألمان

[74] - Hubert Rosenkranz, *Verfolgung und Selbstbehauptung. Die Juden in Österreich* 1938-1945, Vienne, Harold, 1978, p. 27.

[75] - Genschel, *op.cit.*, p. 150.

[76] - بورغنلند ، بحسب القاموس، هي المناطق الغير خاضعة لرقابة أو لأية جهة كانت. Rosenkranz, *op.cit.*, p. 106

[77] - Genschel, *op.cit.*, p. 150.

[78] ــ المصدر السابق، ص 168 ــ 172

[79] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.,* I/3, 11 juin 1983, p. 452.

[80] — *« Hauptsache ist, dass die Juden hinausgedrückt werden. In zehn Jahren müssen sie aus Deutschland entfernt sein. Aber vorläufig wollen wir die Juden och als Faustpfand hierbehalten* »(Ibid., I/3, p.490).

[81] - Ben Elissar, *op.cit.,* p. 284 *sq.*

[82] - Krausnick, "Judenverfolgung", in *Anatomie des SS-Staates, op.cit.,* vol.2, nouv.éd. 1984, p.276.

وأيضاً Hermann Graml, Reichskristallnacht. Antisemitismus und Judenverfolgung im Dritten Reich, Munich, DTV, 1988. & Rita Thalmann, La nuit de cristal, Paris, Laffont, 1982.

[83] - Stenographische Niederschrift von einem Teil der Besprechung über die Judenfrage [...]", *TMI,* t. XXVIII, PS-1816.

[84] - Adam, *op.cit.,* 217.

[85] - David Bankier, "Hitler and the Policy-Making Process on the Jewish Question", *Holocaust and Genocide Studies,* vol. 3, n° 1, p.6.

يحاول بانكر إظهار إهتمام هتلر الدائم بتطور قضايا اليهود.

[86] — Adam, *op.cit.,* p. 218-219. يتحدث في هذا الكتاب واصفاً هتلر في هذه المرحلة بأنه المخطط الأعلى.

[87]- بن أليعازر، المصدر السابق، ص 383

[88]- Avraham Barkai, *von Boykott zur "Entjudung", Der wirtschaftliche Existenzkampf der Juden im Dritten Reich*, 1933-1943, Francfort, Fischer, 1987, p. 156; Rosenkranz, op.cit., p. 227.

[89]- Lipskià Beck, 20 septembre 1938, doc. 99, in Jozef Lipski, *Diplomat in Berlin, 1933-1939*, édité par W. Jadrzejewics, New York, Colmbia Uinversity Press, 1968, p. 411.

[90] - جوزف ليبسكي، 20 أيلول 1938 ،"ديبلوماسي في برلين، 1933-1939"، نيويورك ، 1968، ص 411

[91]- Ben Elissar, *op.cit.*, p. 411 *sq*

[92]- ADAP، د. الخامسة، الوثيقة 119 ، 5 كانون الثاني 1939

[93]- ADAP, D4, doc. 158, p. 170-171. "*Die Juden würden bei uns verichtet. Den 9. November 1918 hätten die Juden nicht umsonst gemacht, dieser Tag würde gerächt werden.*"

[94]- *Dokumente der Deutschen Politik*, Berlin, Junker und Dünnhaupt verlag, t. 7, P. 476-479.

[95]- « *Wenn es dem internationalem Finanzjudentum in – und ausserhalb Europas gelingen sollte, die völker noch einmal in einen Weltkrieg zu stürzen, dann wird das Ergebnis nicht die Bolschewisierung der Erde und damit der Sieg des Judentums,*

sondern die Vernichtung der jüdischen Rasse in Europa sein » (Ibid.).

[96]- كثير من المؤرخين يسندون هذا الكلام لهتلر، وكأنه ربط بين الإبادة وبين حدوث حرب بشكل عام...كان يتحدث عن حرب عالمية وليس عن حرب أوروبية اندلعت بعد ذلك بثلاثة أشهر. الجدير بالذكر أن بعض ضباط هتلر ، ومنذ خريف 1938 يتحدثون عن تصفية حساب مع اليهود، في حال اندلعت الحرب. هذا ما صرح به تحديداً غورينغ في 12 تشرين الثاني 1938. من المحتمل أن يكون هتلر قد باح بسره عما توصل إليه في قضية اليهود بحضور ضباطه المخلصين. ومن المحتمل أن يكون هؤلاء قد فسروه بشكل مبهم ولكنه على أية حال، فإن تفسيرهم جاء مطابقاً لما جاء في نهاية الفصل الأول.

[97] - *TMI, t.32,* PS-3358, t.41, Streicher-8.

٣ - البحث عن حل جغرافي، 1939 ــ 1941

[98] - Eugen Kogon, Hermann Langbein et Adalbert Rücherl, *les Chambres à gaz secret d'Etat,* Paris, Minuit, 1984, p. 24 *sq. ;* Ernst Klee, *« Euthanasie » im Dritten Reich,* Francfort, Fischer, 1983.

[99] - ADAP، د. ١ ، الوثيقة 19، ص 30

[100] - Gerhard Eisenblätter, *Grunlinien der Politik des Reiches gegenüber dem Generalgouvernement,* 1939-1945, Diss. Francfort, 1969, p. 29-30.

Helmut Krausnick, *Hitlers Einsatzgruppen*, Francfort, -[101] Fischer Taschenbuch, 1985.

Martin Gilbert, *Atlas of the Holocaust*, Londres, Michael -[102] Joseph, 1982, p. 33.

BAK, *R 58*/825, "Amtschefbesprechung am 29.9.39. -[103]

"[...]*dass die eplanten Gesamtmassnahmen (also das* . -[104] *Endziel) streng geheim zu halten sind"*, "Schnellrief an die Chefs aller Einsatzgruppen der Sipo", 21 septembre 1939, doc. 21, *Faschismus-Getto-Massenmord*, édité par l'Institut historique juif de Varsovie, Berlin, Rütten und Loening, 1961, p. 37.

.1961

[105]- إحصاء غرامي، المصدر السابق، ص 192.

[106]- - . BAK.R، 58/825.بتاريخ 39/9/29

[107] -بنص تم تعميمه بتايخ 30 سبتمبر 1939 موجه الى قواد قوات التدخل ، يتحدث عن الخطر الذي يمثله اليهود الذين علموا بالخطر الذي يتهددهم دون أن يشكل لهم ذلك خوفاً. وأيضاً Seev Goshen, « Eichmann und die Nisko-Aktion im Oktober 1939 », *VfZ*, janvier 1981, p. 81-82.

Das Politische Tagebuch Alfred rosenbergs, édité Par -[108] H.G. Seraphim, Munich, DTV, 1964, p. 99.

[109]-المشكلة اليهودية كما رآها هتلر، 1941.

"[...] *Der Versuch einer Ordnung une Reglung des jüischen Problems". Der grossdeutsche Freiheitskampf. Reden Adolf Hitlers*, Munich, Eher Verlag, 1941, vol. 1, p.95.

[110] ــ في الأول من أيلول عندما خطب أمام الرايشتاغ، المصدر السابق، ص 26 ــ 35 و 126 . وأيضاً خطاب هتلر أمام القوات المسلحة في 23 كانون الثاني 1939, وأيضاً *Lagevortäge des Oberbefehlshabers der Kriegsmarine vor Hitler 1939-1945*, édité par G. Wagner, Munich, Lehmanns Verlag, 1972, p. 54.

[111] - *Der grossdeutsche Freiheitskampf op.cit.,* 3 septembre 1939, p. 35.

[112] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.*, I/4, p. 150.

[113] - *Staatsmänner und Diplomaten bei Hitler*, édité par A. Hillgruer, Francfort, Bernard une Graefe Verlag, 1967, doc. 1, p. 30.

.

[114] - Krausnick, *op.cit.*, p. 57.

[115] - *ADAP*, D 8, doc. 419 et 477; *Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs in Polen, 1939-1943*, édité par W. Prag & W. Jacobmeyer, Stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, 1975, p. 82.

[116] - Goshen, article cité ; Jony Moser, « Nisko ; the first Experiment in Deportation" *Simon Wiesenthal Center Annual*, II, 1985, p. 1-30.

[117] - *TMI*, t. 36, EC-305, "Sitzung über Ostfragen unter dem Vorsitz des Ministerpräsidenten Generalfeldmrschall Göring".

[118] - CDJC, *CLXXXVI-21*, "Endlösung des deutschen Judenproblems". ونجد أن التعبير الذي جاء في إحدى المذكرات بتاريخ 11 تشرين الأول 1939 ، والمكتوب بخط المكلف بالمسألة اليهودية في مجموعة بيركل في فيينا: Gerhard Botz, *Wohnungspolitik und Judendeportation in Wien 1938 bis 1945*, Vienne-Salsburg, Geyer, 1975, p. 105.

[119] - *Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs*, *op.cit.*, 4 mars 1940, p. 146.

[120] - *Faschismus-Getto, op.cit.*, doc, 16, p. 55-56.

[121] - *ADAP*, D 8, doc. 671, 12 mars 1940, p. 716.

[122] - Denkschrift Himmlers über die Behandlung der Fremdvölkischen im Osten (Mai 1940) », *VfZ*, avril 1957, p. 197 & 195.

[123] - Christopher Browning, *The Final Solution and the German Foreign Office*, New York, Holmes & Meier 1978, p. 35 *sq*

[124] ــ تكلم ريبنتروب في شيانو بتاريخ 18 حزيران 1940 , المرجع Galeazzo Ciano, *Diario 1937-1943*, édité par R. De Felice, Milan, Rizzoli, 1980, p. 443.

[125] -

« *Führer will Madagaskar für Judenunterbringung unter französischer Verantwortung verwenden* », Langevorträge, op.cit.,p. 107.

[126] - *Das Diensttagebuch des Deutschen Generalgouverneurs, op.cit*., 12 juillet 1940, p. 252.

[127] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit., I/4,* 17 août 1940, p. 284.

[128] - *AA-PA, Inland IIg/177, note de Luther, 15 août 1940,* « Mitteilung für Hern Rademacher ».

[129] - *allianz Hitler-Horthy-Mussolini,* édité par L. Kerekes, Budapest, Akademiai Kiado, 1966, doc. 92, p. 287.

[130] -

« […]*vielleicht aber schon in wenigen Monaten* », CDJC, CXLIII-259

[131] - *Staatmänner und Diplomaten bei Hitler,* op.cit., doc. 46, 20 novembre 1940, p. 348

[132] ــ عدد كبير من المؤرخين وبخاصة فيليب فريدمان و جيرار ريتلنغر ولوسي داويدوويتز، رأوا أنه ليس هو سوى تعتيم على عملية الإبادة. ويعتقد جاكيل، في كتابه "هتلر في التاريخ" ص 51 أن لا شيء يثبت أن هتلر كان يعتمد إقامة دولة يهودية في مدغشقر. هذه النقطة يصعب تأكيدها كما يصعب نفيها. أما فيما يتعلق بي فإن أضم رأي الى رأي كريستوفر براوننع في كتابه

Christopher Browning, « Nazi Resettlement Policy and the Search for a solution to the Jewish Question, 1939-1941 », *German Studies Review*, IX, 3 octobre 1986, p. 497-519.

[133] - *Staatsmänner und Diplomaten bei Hitler*, *op.cit.*, doc.10, p.120 96. وأيضاً *Das Politische Tagebuch Alfred Rosenbergs*, *op.cit.*, p. 120 (27 janvier 1940).

[134] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, *op.cit.*, I/3, 3 novembre 1939, p. 630; 17 novembre 1939, p. 645 ; I/4, 6 février 1940, p. 34.

[135] ــ على سبيل المثال، الرسالة التي وجهها في 31 كانون الأول 1939 ، *Der grossdeutsche freiheitskampf*, *op.cit.*, vol.1, p. 132-134.
وأيضاً الخطاب الذي ألقاه في 19 تموز 1940, المجلد الثاني ، ص 50 ، وأيضاً الخطاب الذي ألقاه في 4 أيلول 1940، المجلد الثاني ، ص 93

[136] - خطاب 30 كانون الثاني 1940 و خطاب 24 شباط 1940 ص 166

[137] ــ المصدر السابق، الخطاب نفسه ، ص 154 و 175

[138] - المصدر السابق، الخطاب نفسه ص 159

[139]- « […] *dass die Juden doch am Ende immer sehr dumm sind », Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.*, I/4, p. 127.

[140]- *Der grossdeutsche Freiheitskampf, op.cit.*, vol. 2, p. 116.

[141]- "*Die Judengefahr muss von us gebannt werden. Aber sie wird doch in einigen Generationen wieder auftauchen. Ein Allheilmittel dagegen gibt es gar nicht*", Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit., I/3, p. 658.

ورد في لغة المصدر L'hybris nazis وهي من مصدر يوناني كان يطلق على الآلهة الأسطورية. أما في عصرنا الحاضر فهي تعني شعوراً عنيفاً مبعثه العوامل النفسية وبخاصة الغرور والتكبر. وبمعنى مبسط هو "جنون العظمة"

[142]- *Kriegstagebuch des OKW*, édité par P.E. Schramm, Francfort, Bernard und Graefe, 1965, vol. 1. p.257 (9 janvier 1941).

وحول استراتيجية هتلر في تلك المرحلة، يرجع الى

Andreas Hillgruber, *Hitlers Strategie, Politik und Kriegführung, 1940-1941*, Francfort, Bernard und Graefe, 1965; Saul Friedländer, *Hitler et les Etats-Unis, 1939-1941*, Paris, Le Seuil, 1966; *Das Deutsche Reich und der Zweite Weltkrieg*, stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, vol. 3 & 4, 1983-1984.

[143]- *Kriegstagebuch des OKW, op.cit.*, vol. 1, p. 275 (21 janvier 1941).

[144]- *Der grossdeutsche Freiheitskampf, op.cit*., vol. 2, p.222.

-[145] "*Er dächte über manches jetzt anders, nicht gerade freundlicher", Heeresadjdant bei Hitler 1938-1943. Die Aufzeichnungen des Majors Engel*, édité par H. Von Kotze, Stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, 1974, p. 94-95.

-[146] *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.,* 5 novembre 1940, I/4, p. 387 ; 18 mars 1941, p. 543.

-[147] *Allianz Hitler-Horthy-mussolini, op.cit.,* 6 avril 1941, doc. 102, p. 305

-[148] *Staatsmänner und Diplomaten op.cit.,* doc. 79, p. 573-574.

-[149] Franz Halder, *Kriegstagebuch,* Stuttgart Kohlhammer, vol.2, p. 77 (26 août 1940) : note de Best, 19 août 1940, CDJC. *XXIV-1*

-[150] Adam, *op.cit.,* p. 290.

-[151] Jacob Toury, "Die Entstehungsgeschichte des Austreibungsbefehls gegen die Juden der Saarpfalz und Badens", *Jahrbuch des Instituts für deutsche Geschichte,* XV, 1986, p. 447-450.

-[152] *Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs, op.cit*., 15 janvier 1941, p. 327.

[153]- كما كتب لامر الى شيراخ في 3 كانون الثاني 1940 بخصوص قرار هتلر ترحيل اليهود خلال فترة الحرب.

*« also noch während des Krieges », **TMI**, t. 29, PS-1950.*

وأيضاً Gerhard Botz, *op.cit*

[154] - Circulaire Schllenberg. 20 mai 1941, NG-3104.

[155] - CDJC, *Procès Eichmann*, séance 77, 22 juin 1961, p. K1.

[156] - « *Eine Einwanderung von Juden in den von uns besetzten Gebieten ist im Hinblick auf die zweifellos kommende Endlösung der Judenfrag zu verhindern*". Cf. Supra note 59.

[157] - Michael R. Marrus et robert o. Paxton, *Vichy et les Juifs*, Paris, Calmann-Lévy, 1981, p. 23 : CDJC, *V-59*, « Zentrales Judenamt in Paris », 21 janvier 1941.

[158]- في السابع من حزيران 1941 كتب لامر الى بورمان الذي كان يعتقد بكلام هتلر "أن لن يكون هناك يهود في المانيا بعد انتهاء الحرب"، ــ آكتن ــ وفي 24 مارس تحدث روزنبرغ عن مجمع يهودي سيتم إنشاءه بعد الحرب، ثم أضاف أن لا داعي للتحدث الآن عن مكان معين، لأن ذلك سيتم تحديده لاحقاً.

CDJC.*CXLVI-23*, « Die Judenfrage als Weltproblem », p. 67-68.

[159] ــ وثيقة

Helmut Krausnick, « Hitler und die Morde in Polen », *VfZ*, avril 1963, p.207.

[160]- *Die Tagebücher von Joseph Goebbels*, *op.cit.*, 1/3, 31 janvier 1939, p. 566.

[161]- Ibid, I/4, p. 705, 20 juin 1941, « *Das Judentum in Polen verkommt allmählich Eine gerechte Stafe für die Verhetzung der Völker une die Anzettelung des Kriegs. Der Führer hat das ja auch den Juden prophezeit.*"

[162]- CDJC, *Procès Eichmann*, séance90, 10 juillet 1961, p. N1. A1, séance 106, 21 juillet 1961, p.

[163]- Cf. Christopher Browning, « Nazi Ghettoization Policy in Poland », *Central European History*, décembre 1986, p. 343-368.

[164]- صفقات مجرمي الحرب، الحالة الأولى، 13 أيار 1947، ص 7484

[165]- Brack à Himmler, 28 mars 1941, NO-203; Tiefenbacher (Persönlicher Stab RFSS) à Brack, 12 mai 1941, NO-204.

[166]- *From the History of KL Auschwitz*, sous la direction de K. Smolen, Cracovie, 1967, vol.1, p.2-3.

4 ــ مصير اليهود السوفيات

[167]- شهادة هرمان غرايب، صفقات مجرمو الحروب، الحالة 2

« Trials of War Criminals », *Case 2 (german transcript)*, 29 septembre 1947, p. 45.

[168]- عدا المؤلفات المذكورة سابقاً ينصح بالعودة الى

Andreas Hillgruber, « Die ‘Endlösung’ und das deutsche Ostimperum als Kernstück des rassenideologischen Programms des Nationalsozialismus”, *VfZ*, avril 1972, p. 133-153.

[169]- هذا هو أيضاً موقف بيلنغ، وبروننغ حول الإبادة. كتاب "المانيا النازية وإبادة اليهود، المصدر السابق، ص 197

[170] ــ ألفريد ستريم هو المفوض العام للإدارات المركزية التابعة لوزارة العدل ــ اللاندر ــ من أجل البحث عن الجرائم النازية في لويدويغبورغ. فهو يؤيد وجود سلسلة "أوامر" صدرت إبتداء من 22 حزيران، و *Die Behandlung sowjetischer Kriegsgefangenen im Fall Barbarossa*, Heidelberg, C.F. Müller, 1981, p. 74 *sq*

ولكنه يؤيد أيضاً بأن هذه "الأوامر" صدرت عن مسؤولي الــ أس أس، وكانت تهدف الى حمل مكلفين بجرائم الإبادة الى تنفيذها تدريجياً بموجب قرارات إتخذت قبل الحملة

[171]- *Kriegstagebuch des OKW*, *op.cit.*, 3 mars 1941, p. 341; Halder, *Kriegstagebuch*, *op.cit.*, vol.2, 17 mars 1941, p. 320 ; 30 mars 1941, p. 336-337

« Zur Eröffnung des algemeinen Judenvernichtungsbefehls gegenüber den Einsatzgruppen », in *Der Mord an den Juden im Zweiten Weltkrieg, op.cit.*, p. 118.

[172]- BA-MA, *RW 19/*185, Thomas, “Aktennotiz über Vortrag beim RM am 26.2.41”.

BAK R70/15 -[173]

TMI, t. 26, PS-502. -[174]

CDJC, *CCXC-10*, "Betrifft : UdSSR", 2 avril 1941. -[175]

٢ نيسان 1941 نجد المقطع الخاص بيهود البلطيق في المذكرة الثانية Betrifft UdSSR, Denkshrift Nr. 2 », s.d ولكن الوثائق الصادرة بعد الثاني من نيسان فهي حتماً قد طبعت على آلة كاتبة بخط عريض من نوع Führermaschine وغالباً ما يشار الى مقطع من مذكرات روزنبرغ في ٢ نيسان 1941حيث يشير الى مقابلة له مع هتلر الذي يقول: لا أريد أن أكتب اليوم ما هو مطبوع في داخلي لا أنساه. (*Eichmann und Komplizen*, Zurich, Europa-Verlag, 1961, p. 97.). إن كان هتلر قد أسر له فعلاً بقراره النهائي إلا أن القرارات التالية تبدو مغايرة لذلك.

« Allgemeiner Aufbau und Aufgaben einer Dienststelle —.[176] für die zentrale Bearbeitung der Fragen des osteuropäischen Raumes », 29 avril 1941, *TMI*, t. 26. PS-1024. وأيضاً روزنزبرغ في لوز في 29 نيسان 1941. « Anweisung an den Reichskommissar des Reichskommissariats Ostland » (CDJC, *CXLV-509*) حيث يتكلم عن تشغيل اليهود من أجل إصلاح أضرار الحرب وفي بناء الطرق.

. -[177]

"Die Zivilverwaltung in den besetzten Ostgebieten" ("Braune Mappe"). "IX Richtlinien für die Behandlung der Judenfrage", CDJC, *CCLIV-2*, p. 35-36. Yitzak Arad ("Alfred Rosenberg and

the “Final Solution” in the Occupied Soviet Territories”, *Yad Vashem Studies*, XIII, 1979, p. 263-286).

[178] - BAK, *NS 19/*3874, Himmler à Bormann, 25 mai 1941, et Bormann à Lamers, 16 juin 1941.

[179] - Dietrich Eichholtz, « Der ‘Generalplan Ost’ », *jahrbruch für Geschichte*, 26, 1982, p. 256, doc.2.

[180] - Wetzel, 24 avril 1942, “Stellungnahme und Gedanken zum Generalplan Ost des Reichsführers SS”, reproduit in H. Heiber, “Der Generalplan Ost”, *VfZ*, Juillet 1958, p. 297-324.

[181] - إني أتقاسم الرأي في هذه النقطة مع آيزنبلاتر ، المصدر السابق، ص 207 ، الملاحظة الرابعة وفيها يبين حججه:

١) في رسالته المؤرخة 15 تموز 1941

O) عبارته في حزيران 1942 تشير الى قوات التدخل في 15 تموز 1941

3) مخطط يحمل نفس العبارة كانت الـــ راشا قد قامت بإعداده

[182] - سوبرا، الملاحظة رقم 14 ، ص 301

[183] ـــ.المصدر السابق

[184] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.*, I/4, p. 705

[185] - *in absehbarer Zeit », Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs, op.cit.*, 17 juillet 1941, p. 386.

[186] ـــ *Ibid,* 22 juillet 1941, p. 389.

[187] - BAK, *R 6/*21.

[188] - *ADAP*, D 13, DOC 207, p. 264

[189]- *ADAP*, D 13, annexe III, p. 838

[190]- « Trials of War Criminals », *Case 9 (german transcript)*, par exemple p. 641 (14 octobre 1947); p. 1811 (31 octobre 1947)

[191]ـــ المصدر السابق، ص 316 ـــ 317، 6 تشرين الأول 1947

[192]ـــ إن العناصر القانونية التي أبرزها ستريم نجدها في مقاله: « The Tasks of the SS Einsatzgruppen », *Simon Wiesenthal Center Annual*, vol. 4, 1987, p. 309-328.

كما يقدم كروسنيك بأن النظرية القائلة بأن أمراً قد أعطي من هتلر في ربيع 1941 فإننا نجدها في *Hitler's Einsatzgruppen*, *op.cit*

[193]- إن النظرية المعطاة ترشح واضحة من قوانين نورنبرغ التي تثبت بأن أمراً من هتلر قد أصدر قبل الحملة على روسيا. وقد طالب بتخفيف الحكم عنه ذلك الى أن أمراً قد تم إصداره من جهات عليا بحيث لا يدع مجالاً لأي تدخل لخيار أخلاقي.

[194]- شتاليكر وإعتباره ميتاً يمكن تفسيرها بتحاشي إصطدامه مع هيدريش بشان المذكرة، كما تخفي الاحتجاجات التي تبعت إصدار "الأمر".

[195]ـــ مذكرة الاقمام الخاصة بسترينباخ ZStL, *415 AR 1310/*63, E 32 vol. 2, p. 181, *sq*.

[196]- Köger (EK 6); Ehrlinger (SK 1b).

[197]- Hermann (SK 4b), Schulz (EK 5), Nosske (EK 12), Bradfisch (EK 8). هذان الأخيران أكدا على أنهم تسلموا "الأمر" قبل بداية الحملة

[198]- Jäger (EK 3), Blume (EK 7a), Filbert (EK 9), Zapp (EK 11a

[199] ــ ليس فقط لم يتم الاعتراض على شهادة شولتز وإنما تم تأكيدها من قبل "بلوم" رئيس الــ EK : الذي أكد وجهة نظر أولندروف القائلة والتي يؤكدها في خطاب هيدريش في برلين أنه "افترض" مما سمعه من نظرائه بأن الفهرر قد اتخذ قراره، ولكنه لم يقل شيئاً « Trials of War Criminals », *Case* 9, 31 octobre 1947, p. 1817.

[200] ــ المصدر السابق، 17 تشرين الأول 1947، ص 948 ــ 949 ، وأيضاً شهادة 22 مارس 1971 .ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol. 6, p. 62

[201] - Pour l'EK 7a & l'EK 9, cf. *Justiz und NS-Verbrechen*, Amsterdam, University Press Amsterdam, t. XX, n° 588, p. 726-727; t. XVIII, n° 540, p. 616-620; pour l'EK 3, cf.

[202] - ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol. 11, p. 7571-7572.

[203] - ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol. 11, p. 7578 ; ZStL, *202 AR-Z 96*/1960, P. 3582 ; *Justiz und NS-Verrechen, op.cit.*, t. XVIII, n° 540, p. 618.

[204] - مجلة عدالة، المجلد 15 *Justiz und NS-Verrechen, op.cit.*, t. XV, n° 465, p. 52 *sq :* p.194-195

[205] - قمنا بشرح الــ commando بعبارة المغوار وهي في الواقع عبارة عن مجموعة أشخاص

[206] - مجلة عدالة، العدد t. XVII, n° 519, p. 670.16

[207] - « Trials of War Criminals », *Case* 9, 8 octobre 1947, p. 538.

[208] - ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol.11, p. 7608.

[209] - ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol.6, p. 64-65

[210] - ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol.7, p.35

[211] - مجلة عدالة، المجلد 20 *Justiz und NS-Verrechen, op.cit.*, t. XX, n° 580, p.436.

[212] - هانس هيدريش، شتوتغارت، Hans-Heinrich Wilhelm, 1981 *Die Truppe des Weltanschaungskrieges*, Stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, 1981, p. 333 *sq*

[213] - قوات التدخل BAK, *R 58/*214 *sq*, *Ereignismeldungen UdSSR (EM)*, n° 22, 14 juillet 41 (EG D); n° 27, 19 juillet 1941 (EG B).

[214] - *EM*, n° 21, 13 juillet 1941; n°32, 24 juillet 1941

[215] - Einsatzbefehl Nr. 6 », 4 juillet 1941, BAK, *R 70 SU/*32

[216] - *EM*, n° 43, 5 août 1941.

5 أب 1941 يجب الأخذ بعين الإعتبار بأن التواريخ هي نفس التواريخ التي اعتمدها الـــ راشا ، لذا، فلربما يكون هناك فرق واضح ما بين هذه التواريخ وبين التقارير التي قامت قوات التدخل بتحريرها. وكذلك التقرير المذكور، فهو وارد في تقارير الـــ راشا بتاريخ 13 تموز، مما يعني أنه من الجائز أن يكون قد حرر في نهاية شهر تموز. Tätigkeits und Lagebericht der EG der Sipo und des SD in der UdSSR », 31 juillet 1941 وأيضاً ZStL, *II 201 AR-Z 76/59*, vol.2, p. 186 ; vol. 7, p. 10.

« […] *um im Sinne einer totalen Vernichtung gegen das hier noch lebende Judentum vorzugehen,* » EM, n° 43, 5 août 1941. - [217]

- [218]

"*Eine Lösung der Judenfrage während des Kriegs erscheini in diesem Raum undurchführbar, da sie bei der übergrossen Zahl der Juden nur durch Aussiedlung erreicht erden kann*", EM, n° 31, 23 juillet 1941

"*Eine Lösung der Judenfrage während des Kriegs erscheini in diesem Raum undurchführbar, da sie bei der übergrossen Zahl der Juden nur durch Aussiedlung erreicht erden kann*", EM, n° 31, 23 juillet 1941

"[...] *verwendet und verbraucht*", EM, n° 52, 14 août 1941 - [219]

EM, n° 86, 17 septembre 1941. - [220]

Yaacov Lozowick, من أجل دراسة نشاط الوحدة س خلال أشهر الحملة « Rolbahn Mord : The Early Activities of *Einsatzgruppe C"*, *Holocaust and genocide Studies.* 2.2, 1987, p. 221-241

EM, n° 24, 16 juillet 1941 - [221]

BAK, *R 6*/300, "Protooll der Besprechung überdie politische und wirtchaftliche Lage im Ostland in der Sitzung bei Reichsminister Rosenberg am 1. August 1941". - [222]

Hitler und die Befehle an die ذكره هلموت ستروستكي Einsatgruppen in summer 1941 ــ [223]

"*Andererseits hatte die sicherheitspolizeiliche Säuberungsarbeit gemäss den grundsätzlichen Befehlen eine* - [224]

möglichst umfassende Beseitigung der Juden zumZiel" ("Einsatzgruppe A Gesamtbericht bis zum 15.Oktober 1941", 31 janvier 1942, TMI, t. 37, L-180).

[225]- القيادة العامة لقوات إس إس ووحدات الشرطة كما هي المسؤولة عن أجهزة الإمدادات العسكرية

[226] - *EM*, n° 19, 11 juillet 1941

[227]- BAK, *R 90*/146, « Juden », s.d.

هذا النص يلمح الى جاكيل في الأول من كانون الثاني 1941

[228] - BAK, *R 70 SU*/15, rapport Jäger, 1er décembre 1941.

إن الأرقام التي اعتمدها هنا لا تتضمن بعض الأرقام المذكورة في نهاية التقرير المتقلق بإعدامات، غير محددة التواريخ، في تموز أو في آب.

[229] - *EM*, n° 73, 4 septembre 1941 ; *EM*, n° 108, 9 octobre 1941 ; *EM*, n° 58, 20 août 1941 ; *EM*, n° 128, 3 novembre 1941 ; *EM*, n° 89, 20 septembre 1941 ; *EM*, n° 101, 2 octobre 1941.

ما يتعلق بالوحدة أ ، مرجع الأرقام المعطاة في تقرير كاهلر ، *TMI*, t. 37, L-180.

[230] - Cf. Yehoshua Büchler, « Kommandostab Reichsführer SS : Himmler's personal murder brigades in 1941 », *Holocaust and Genocide studies*, vol. 1, 1986, n° 1, p. 11-25.

[231] - *Auf Befehl des HSSPF [...] sind alle als Plünderer überführten männlichen Juden im Alter von 17-45 Jahren sofort standrechtlich zu erschiessen*", ZStL, CSSR 397

Richtlinien für die Durhkämmung und Durchstreifung von - [232]
Sumpfgebieten durch Reitereinheiten", 28 juillet 1941, BAK, *R 70 SU*/32.

Cf. Helmut Krausnick, *Hitlers Einsatzgruppen,* Francfort, - [233]
Fischer, 1985, p. 194; *Justiz und NS-Verbrechen, op.cit.,* t. XX, n° 570, p. 47.

BAK, *NS 33*/22, "Bericht über den Verlauf der Pripjet-- [234]
Aktion vom 27.7-11.8.41.

Cf. Mathias Ber, "Die Enticklung der Gaswagen bein - [235]
Mord an den Juden" *VfZ,* juillet 1987, p. 403-418.

5ـــ الحل النهائي

PS-710. - [236]

« *In Ergänzung der Ihnen bereits mit Erlass vom 24.1.39* - [237]
übertragenen Aufgabe, die Judenfrage in Form der Auswanerung oder Evakuierung einer den Zeitverhältnissen entsprechend möglichst günstigen Lösung zuzuführen, beaufrage ich Sie hiermit, alle erfrderlichen Vorbereitungen in organisatorischer, sachlicher und materieller Hinsicht zu treffen für eine Gesamtlösung der Judenfrage im deutschen Einflussgebiet in Europa" (Ibid.).
- [238]

Ich, Adolf Eichmann, édité par R. Aschnauer, Leoni am - [239]
Starnberger See Druffel Verlag, 1980, p. 479

[240]- Luther, 2586, *IIg*, NG, *177 ; Inland* , 21 août 1942, AA-PA,

[241]- « *Wenn auch damit zu rechnen ist, dass in Zukunfit in den eingegliederten Ostgebieten Keine Juden mehr sein werden, halte ich es doch nach den augenblicklichen Verhältnissen für dringend erforderlich, das Standrecht nicht nur für Polen sondern auch für juden anzuordnen*", TMI, t. 38, R-096.

[242]- "*Im übrigen sei es zu ehrenvoll, die Todesstrafe bei den Juden durch Erschiessen zu vollzieen. Man müsse befehlen, dass sie gehängt würden*", "Wirtschaftsaufzeichnungen für die Berichtszeit vom 1.-14.8.941. BA-MA, RW 31/100.

[243]- CDJC, *Procès Eichmann*, séance 102, 19 juillet 1961, p. M1-N1

[244]- « Das Reichsministerum des Innern und sie Judenesetzgebung », *VfZ*, juillet 1961, p. 297.

[245]- Dr. Felscher, "Ergebnis der Besprechung im Hauptamt Sicherheitspolizei über die Lösung der europäischen Judenfrage", 13.8.1941. Collection D. Irving. Hitler's War, Microflm 97125/8 (Microform Academic Publishers)

هذه المؤسسة تملك نسخة من هذه الوثائق Institut für Zeitgeschichte

« *im Hinblick auf die kommende und in Vorbereitung benfindliche Endlösung der europäischen Judenfrage*".

[246]- "Aktenvermerk. Betr. Oraganisation der Umwandererzentralstelle", Posen, 2 septembre 1941.

رسالة بتاريخ 3 أيلول 1941

Coll. Irving. Hitler's War, Microfilm 97125/9

[247]ـــ يوجد هذه الوثيقة في Adalbert Rückerl, " Adalbert Rukerl *Nationalsozialistische Vernichtungslager im Spiegel deutscher "Strafprozesse*, Munich, DTV, 1979, p. 256-257.

[248]- Joseph Walk, *Das Sonderrecht für die Juden im NS-Staat,* Heidelberg, C.F. Müller 1981, p. 347.

[249]- Rosenkranz, *op.cit.*, p. 269

[250]- *Justiz und NS-Verbrechen, op.cit*., t. XXI, n° 591, p. 125 sq. Cf. Alfred Strim, *Sowjetische Gefangene in Hitlers Vernichtunskrieg*, Heidelberg, C.F. Müller, 1982.

[251]- Rudolf Hoess, *Kommandant in Auschwitz*, Munich, DTV, 1979, p. 157-158.

[252]- BAK, *NL 118/*19, 12 août 1941, p. 17-18.

[253]- Le mémorandum du 18 août de Lösener, « Das Reichsministerium des Innern und die Judengesetzgebung », *VfZ*, juillet 1961, p. 302-303

[254]- Journal de Goebbels, BAK, *NL 118/90,* 19 août 1941, p. 45.

[255]- Le mémorandum du 18 août de Lösener, « Das Reichsministerium des Innern und die Judengesetzgebung », *VfZ*, juillet 1961, p. 303.

[256]- Journal de Goebbels , ملاحظات مكتوبة بقلم رادمارشير في 13 أيلول 1941 بحسب براونغ "الحل النهائي مكاتب ألمانيا الخارجية. مذكور سابقاً ص 38 .

[257]- bak /ns/2655

[258]- H.G. Adler, *Der verwaltete Mensch,* Tübingen, J.C.B. Mohr, 1974, p. 176-177.

[259]- Notes de W. Koeppen, 21 septembre et 7 octobre 1941, BAK, *R 6/*34 a.

[260]- « *Dies würde aber den Plan einer totalen Aussiedlung der Juden aus den von uns besetzten Gebieten zunichte machen* » (« *Niederschrift über Besprechung zwischen SS-Obergruppf, Heydrich und Gauleiter Meyer [...] am 4. Oktober 1941*", BAK, NS 19/1734).

[261]- Stülpnagel, 6 octobre 1941, *H2 646,* IHTP, Mfm A 110.

[262]- *Seine Vorschläg Wurden von ir erst in dem Auenblick angenmmen, als auch von höchster Stelle mit aller Schärfe das Judentum als der verantwortliche Brandstifter in Europa gekennzeichnet wurde, der endültig in Europa verschwinden muss*" (Heydrich à Wagner, 6 novembre 1941, ibid).

[263]- *Das Eichmann Protokoll,* édité par J. von Lang, Francfort, Ullstein, 1984, p. 69 أمام المحكمة قدر أيشمان أن المقابلة كانت في آب أو أيلول. (CDJC, *Procès Eichmann,* Séance 92, 11 juillet 1961, p.Hh1) نستطيع استبعاد شهر آب للأسباب التي ذكرت أعلاه.

[264]- المصدر السابق، ص 69 ــ 70 ربما يكون أيشمان قد توجه الى بلزك في تشرين الثاني أو كانون الأول . من جهة أخرى، يظن أن الأوراق كانت ما زالت تحتفظ بأوراقها. كما أرسل أيضاً الى منسك ولكن خلال فترة الشتاء 1941 ــ 1942. كما زار في آب شلمنو حيث كانت التجهيزات في طور الخدمة، مما يجعل زيارته تقع بعد بداية كانون الثاني 1942. CDJC, *Procès Eichmann,* Séance 87, 6 juillet 1961, p. XI *sq*

[265]- Cf. Par exemple Hilberg, *op.cit.*, éd.fr., p. 186-188.

[266]- Übelhör à Himmler, 9 octobre 1941, BAK, *NS 19/*2655.

[267]- *Justiz und NS-Verbrechen, op.cit.*, t. XXI, n° 594, p. 246

[268]- *Faschismus-Getto-Massenmord, op.cit.*, doc. 212, p. 278

[269]ـــ هذه نظرية مارتن بروزات Hitler und die Genesis der : « Zur Genesis ‘Endlösung’”, *VfZ*, octobre 1977, p. 739-775; der ‘Endlösung’. Eine Antwort an Martin Broszat », *Ibid.*, 1, 1981, p.97-109 Trials of War Criminals », *Case 1 (english transcript)*, 13 mai 1947, p. 7504; 19 mai 1947, p. 7733

[270]- Trials of War Criminals », *Case 1 (english transcript)*,

[271]ـــ شهادة فيكتور براك، 12 تشرين الاول 1946، رقم 426

[272]ـــ Trials of War Criminals », *Case 1 (english transcript)*, 13 mai 1947, p.7502-7503; 14 mai 1947, p. 7514. في معرض شهادته في 13 أيار 1947، قال براك أن رحلته الى دبلن في بداية أيلول. ولكن في نفس الشهادة يتحدث غن غلوبوكنيك و"مهتمه الخاصة", كما تحدث عن اليهود الواجب ترحيلهم من الرايخ، مما يجعل من رحلته في بداية أيلول مستحيلة.

[273]- شهادة هـــ, ب, كوركاس، في 23 شباط 1947 . الرقم 3010

[274]ـــ يتكرر اسم غلوبونيك في مفكرة هملر خلال شهر تشرين الأول بتاريخ 9 و17 و20 و25 وأيضاً هناك مكالمة هاتفية بحسب *Telefongespräche* مع دوليج في الشهر عينه.

(*NS 19*/1438).

[275]- *« Es sollen die lästigsten Juden herausgesucht werden*

[276]- « Notizen aus der Besprechung am 10.10.41 über die Lösung von Judenfragen” reproduit in H.G. Adler, *Theresienstadt, 1941-1945*, Tübingen, J.C.B. Mohr, 1960, p. 720-722.

لا أخذ بعين الاعتبار الكلام الموجود في ملاحظة المايجور آنخيل المؤرخة منه بتاريخ 2 اكتوبر 1941 /( )(heeresadjudant BEI Hitler , ibid, p. 11 بحسب هذه الملاحظة يلمح الى ترحيل اليهود ثم الى الوضع في البلطيق و روتانيا، وأيضاً يهود سالونيك الذين وافق هتلر على ترحيلهم. تبعاً للبرنامج المعد من مساعده، كان من المفترض أن يكون هملر في ٢ تشرين الأول ، التاريخ نفسه، في أوكرانيا BAK, *NS 19/*1792 ,

علاقات كوبن ، ضابط الاتصال بين روزنبرغ وهتلر ، تظهر وجود هيدريش وحيداً بتاريخ ٢ تشرين الاول، ويؤكد على رجوع هملر من أوكرانيا بتاريخ 5 تشرين الأول (BAK, *R 6/*34.).

لكن الملاحظة هي بتاريخ لاحق.

277 - BAK, *NS 19/*1438

278 - CDJC, *Procès Eichmann*, Séance 98, 17 juillet 1941, p. Aa1-Bb1.

محاكمة أيخمان ، الجلسة 98 ، 17 تموز 1941

BAK, *NS 19/*1792.

279 - BAK, *NS 19/*1438

18 تشرين الاول 1941

Müller à Thomas, 23 octobre 1941, CDJC, *XXVI-7*

280 — Journal de Goebbels, BAK, *NL 118/*91, 24 septembre 1941, p. 18-19.

[281]- Wurm à Rademacher, 23 octobre 1941, cité par Browning. *The Foreign Office, op.cit.,* p. 67

[282]- Wetzel à Lohse, 25 octobre 1941, BAK, *R 90/*146.

[283]- Vertraulicher Informationsbericht einer Fahrt durch das Generalgouvernement einschliesslich Districkt Galizien », Breslau, 5 octobre 1941, p. 4, BAK, *Sammlung Brammer, ZSg 101/*41.

[284]- Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs, op.cit., 14 octobre 1941, p. 413.

[285]- BAK, *R 6/*37

[286]- *Das Dien Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs, op.cit.*, 16 octobre 1941, p. 457-458

[287]- —

[288]- CDJC, *Procès Eichmann,* Séance 106, 21 juillet 1961, p. A1 ; séance 107 24 juillet 1961, p. E1, F1

[289]- « Besprechungsprotokoll, NG-2586.

[290]- — تعميم صادر عن هملر / بوهل بتاريخ 29 أيلول 1941 *Le Système Concentrationnaire nazi (1933-1945)*, Paris, PUF, 1968, p. 309-310.

[291] - *Kriegstagebuch des OKW, op.cit.*, vol, 28 mai 1941, p. 412.

[292] - *Die Tagebücher von Joseph Goebbels, op.cit.*, I/4, 16 juin 1941, p. 695

[293] - *Wir müssen von Anfang an Erfolge haben. Es dürfen kein Rückschäge eintreten", Halder, Kriegstagebuch, op.cit.*, t. 2, 17 mars 1941, p. 319; وأيضا 4 juin 1941, P. 443. :

[294] - Journal de Hewel, 29 mai 1941, Coll. Irving Hitler's War, Microfilm 97125/4.

[295] - المصدر السابق، 20 حزيران 1941

[296] ــ المصدر السابق، 20 حزيران 1941

[297] - *Wenn es schief geht, ist sowieso alles verloren », Ibid.*, 8 juin 1941;

[298] - المصدر السابق، 29 أيار، 13 حزيران ــ 20 حزيران 1941

[299] - المصدر السابق، 22 ايار 1941

[300] - Halder, *op.cit.*, t. III, 3 juillet 1941, p. 38 ; *Kriegstagebuch des OKW op.cit.*, t. 1, 4 juillet 1941, p. 1020.

[301] - Halder, *op.cit.*, t. III, 8 juillet 1941, p. 60.

[302] ــ المصدر السابق، ., t. III, 8 juillet 1941, p. 60

[303]- جريدة هاول، 10 جويلييه 1941 *Das ist der schlimmste Schlag, den ich den Juden versetzt habe"*, Journal de Hewel, 10 juillet 1941

[304] ــ توجيه رقم 32 ب Directive n° 32b, 14 juillet 1941 , *Hitlers Weisungen für die Kriegführung, 1939-1945,* édité par W. Hubatsch, Francfort, Bernard-Graefe, 1962, p. 136-137.

[305] - *ADAP*, D 13, doc. 50, p. 47

[306]- *Lagevorträge, op.cit.*, 9 juillet 1941, p. 264

[307]-- *Staatmänner und Diplomaten*, op.cit., doc. 83, p. 598-607.

[308]- Ciano, *Journal politique*, Neuchâtel, La Baconnière, 1947, p. 50, 53

[309] ــ المصدر السابق، ص 106 يرجع الى محاكمة هادلر

[310]-- « *Länge des Krieges zehrt an den Nerven* », Ibid, p. 117-118.

311- Cité par Klaus Reinhardt, *Die Wende vor Moskau. Das Scheitern Strategie Hitlers im Winter 1941/42,* Stuttgart, Deutsche Verlagsanstalt, 1972, p. 36

312- *Journal de Goebbels*, BAK, *NL 118/90,* 17 juillet 1941, p. 5.

., 19 juillet 1941,

313- ــ المصدر السابق، 19 تموز 1941 ص 5

314- *Ibid.,* 26 juillet 1941, p. 12

315- Cf. Ernst Klink, « Die Operationsführung. Heer und Kriegsmarine", in *Das Deutsche Reich und der Zweite Weltkrieg*, *op.cit.*, t. 4, p. 489 *sq*

316- "[...] dies geschehe am besten, dass man jeden, der nur schief schaue, totschiese", "Aktenvermerk", *TMI*, t. 38, L-221

317- . Ergänzung zur Weisung 33, *TMI*, t. 34, C-052

318- . OKH, 25 juillet 1941, BA-MA, *RH 26-221*/17 ــ

Krausnick, Hitlers Einsatzgruppen, op.cit., p. 189 sq. Jürgen Föster, *"Die Sicherung des Lebenstraumes", in Das Deutsche Reich und der Zweite Weltkrieg, op.cit*., t. 4, p. 1033 sq. : Christian Streit, Keine Kamraden. *Die Wehrmacht und die sowetischen Kriegsgefangenen 1941-1945*. Stuttgart, Deutsche Verlags-Anstalt, 1978.

319- *ADAP*, D 13, annexe III, p. 835-838 ,-

320- . *Die Weizsäcker-Papiere 1933-1950,* édité par L.E. Hill, Francfort, Propyläen Verlag, 1974, p. 321 (4.2.43)

Halder, *op.cit.*, t. III, 11 août 1941, p. 170 - [321]

Die strategische Lage im Spätsommer 1941 als - [322]
Grundlage für die weiteren politischen und militärrischen Absichten"*ADAP*. D 13/1, doc. 265, p. 346.

Staatsmänner und Diplomaten, op.cit.,doc. 85, p. 618 - [323]

. Galeazzo Ciano, *L'Europe verso la catastrofe*, Milan, - [324]
Mondadori, 1948, p. 670.

Documenti diplomatici italiani, 9e série, vol. VII, doc. - [325]
512, 26 août 1941, p. 509, 511.

Journal de Goebbels, BAK, *NL 118/*90, 19 août 1941, p. - [326]
29-30, 47-48

PA AA . HADAKTEN ETZDORF. ZU 22. 22 - [327]
SEPTEMBRE 1941

.CF/ Die Weizsäcker-Papierd 1933-1950, op.cit., p. 269

(15 septembre 1941) : p. 270 (19 septembre) : p. 271 (28 JORNAL DE GOBBELS: 24 septembre 1941, p. 26 septembre) :

Monologe im Führerhauptquartier 1941-1944, édité par - [328]
W. Jochmann, Munich, Heyne Verlag, 1980, p. 55»

.

. *Sie bewahrheitet sich in diesen Wochen und Monaten mit* - [329]
einer fast unheimlich anmutenden Sicherheit. Im Osten Müssen

die Juden die Zeche bezahlen : in Deutschland haben sie sie zum Teil schon bezahlt und werden sie in Zukunft noch mehr bezahlen müssen", Journal de Goebbels, Ibid., p. 45-57.

[330] - *Monologe, op.cit.*, 8 août 1941, p. 57 : 17 septembre 1941, p. 61.

[331] ـــ المصدر السابق، ص 59

[332] - *Der grossdeutsche Freiheitskampf, op.cit., t. 3, p. 69 : "[...]wenn dieser Krieg länger dauert"*, p. 84

[333]- على العكس، يعتبر، أن هتلر قد اتخذ معظم قراراته بخصوص اليهود وبخاصة قرار قتلهم، في لحظات كان فيها الوضع يسمح له بحالات من "النشوة العارمة". Nazi Resettlement Policy » article cité, p. 519 . يبدو لي مستحيلا وصف هتلر بنفس اللفظ نشوة حالة هتلر في صيف 1941 وفي خريف 1941.

[334] - *Der grossdeutsche Freiheitskampf*, op.cit., t. 3, 12 septembre 1941, p. 65.

[335] ـــ خطاب افتتاح النجدة للشتاء، 3 تشرين الاول 1941 ص 74

[336] - Monologe, op.cit., p. 101

[337] ـــ .المصدر السابق، ص 107

[338] - Halder, *op.cit.*, t. III, p. 306

[339]- Klaus Reinhardt, *op.cit.*, p. 148; cf Rolf-Dieter Müller, "Das Scheitern der wirschaftlichen 'Blitzkriegstrategie'", in *Das Deutsche Reich und der Zweite Weltkrieg, op.cit.*, t. 4, p. 1022 *sq*

[340]- Journal de Goebbels, BAK, *NL 118/*92, 22 novembre 1941, p. 32.

خلاصة

[341]- Cf. Pierre Vidal-Naquet, *les Assassins de la mémoire*, Paris, La Découverte, 1987 ; *Ist der Nationalsozialismus Geschichte ?*, sous la direction de Dan Diner, Francfort, Fischer, 1987 ; Charles S. Maier, *The Unmasterable past : History, Holocaust and German National Identity*, Cambridge University Press, 1988.

[342]- Saul Friedländer, « From Antisemitism to Extermination », *Yad Vashem Studies*, XVI, 1984, p. 50.

[343]- Der letzte Entscheid muss ja in dieser Angelegenheit vom Führer gefällt werden" *("Trials of War* Criminals", Case 1, NO-248).

[344]- *Der grossdeutsche Freiheitskampf, op.cit.*, t. 3, p. 204

[345]- Journal de Goebbels, BAK, *NL 118/*90, 18 août 1941, p. 12 ; 26 août 1941, p. 10

[346]- *Das Diensttagebuch des deutschen Generalgouverneurs, op.cit.*, 16 décembre 1941, p. 457

[347]- Rosenkranz, *op.cit.*, p. 290.

[348]- ـــ كل شيء يشير الى كتاب مثل نولت وماير يلتقيان في الأهمية التي يعلقانها على العداء للبولشفية في خلق الحل النهائي

Ernst Nolte, *Der europäische Bürgerkrieg 1917-1945*, Francfort, Propyläen, 1987 ; Arno Mayer, *op.cit*

شراكة من أجل حوار الثقافات
مكتبة علاء الدين ومنشورات لومنوسكري

تهدف الشراكة القائمة بين منشورات لومنوسكري ومكتبة علاء الدين إلى إطلاق حوار يرتكز على معرفة الآخر وإحترامه وعلى رفض نزاعات الذاكرة وإنكار المحرقة النازّية. ونأمل من خلال إنشاء مكتبة رقمية مُتعددة اللغات تضع معلومات تاريخية وثقافية في تصرّف الجميع، بالمساهمة في بناء الجسور بين مُختلف الثقافات.

ومنذ العام 2001، أطلقت منشورات لومنوسكري من خلال برنامجها المُميّز مساحة إصدار جديدة تدخل ضمن إطار النشر.

وتُؤمّن منشورات لومنوسكري من خلال مهارة فريدة توفّق بين ثقافة النشر التقليدية وإستخدام الإبتكارات التكنولوجية الكبرى، توفّر مُستمر للكتب بشكليها الورقي والرقميّ وذلك بهدف تسهيل عملية النشر التي تُدخل الكتاب في ثقافة التنمية المُستدامة.

ويقترح فهرس مفتوح على مُختلف ميادين النشر (أدب عام وبحوث جامعيّة وأوروبا...)، حوالى 7000 مرجعا كما يضُمّ 5000 مؤلّف صدرت كتبهم في اللغات كافة. إضافة إلى ذلك يحمي كل من قانون الملكية الفكرية وحقوق المؤلفّ، كلّ الكُتب المتوفّرة. كما تنشر منشورات لومنوسكري بالتعاون مع لجان القراءة المُتخصصة، سلسلات مهمّة من الكتب بالإشتراك مع الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات والجمعيات والفاعلين في المجتمع المدنيّ.

ويقترح الموقع الإلكتروني الديناميكي والمُتجدّد قاعدة من المضامين التفاعلية من خلال الوصول المجانيّ إلى المنشورات كما يجمع حول مدونّات المؤلفين الإلكترونية، مصادر معلومات تتعلّق بالحياة الثقافيّة فضلا عن مساحة لقاء مميّزة تضمّ مؤلفين وقُراء وشُركاء ناشطين.

ويُشار أخيرا إلى أن منشورات لومنسكري هي عضو في نقابة النشر الوطنيّة الفرنسية.

www.manuscrit.com

communication@manuscrit.com

Tel : +33 (0)8 90 71 10 18

20, rue des Petits Champs

75002Paris